



كتاب

# رسالة الملوك

ومن يصلح للرسالة والسفارة

تأليف

أبي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء



حققت

صلاح الدين المنجد

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

## مقدمة

لقد عنى مؤرخو العرب أكبر عناية بالخلفاء وحركاتهم وسكناتهم ، وحروبهم وسلمهم ، حتى سجلوا ملامح وجوههم وأشكال أجسامهم ، ونقش خاتمهم .

ولكنهم لم يعنوا مثل هذه العناية ولا بعضها بحالة الشعوب ووصف مرافقهم وأحوالهم من غنى وفقر ، وصحة ومرض ، وعدل وظلم ، ولا عنوا بالنظم الإدارية كما ينبغي ، من نظام المال ونظام القضاء . ونظام الإدارة إلا تنفا قليلة هنا وهناك ، وكتبا قليلة نادرة توجز ولا تستقصى ، مما جعل الباحث عن هذه الأمور وأمثالها يعاني الأمرين ثم لا يظفر بعد الجهد إلا بالقليل الناقص .

وقد يكون هذا طبيعياً ، فتاريخ الخلفاء والملوك والحروب والغزوات وقائع مادية جزئية يسهل تسجيلها ، أما تاريخ الحركات الاجتماعية والنظم الإدارية والقضائية والسياسية فكليات معنوية ، تحتاج إلى دقة نظر وشمول بحث ، لا يصل إليهما المؤرخون والباحثون إلا بعد النضج وبلوغ درجة سامية من الرقي .

من هذه النظم المجهولة لدينا نظام السفارة : كيف يسفر الرسل إلى الملوك ، وكيف يختارون ، وما اختصاصهم ، وكيف بدأ هذا النظام ، وكيف ارتقى على مر الزمان ، وهل اتبع المسلمون نظاما واحدا في العراق وفي الأندلس وفي مصر ، أو اختلفت نظمهم ، ومن أشهر الرسل إلى الملوك وما أهم ما حدث لهم من أحداث الخج ؟

كل هذه موضوعات طريفة وهامة معا ، لأنها تدور — في الأغلب — حول مشاكل دولية ، تعمل فيها العقول الراجحة ، ويختار لها من أجل ذلك أنضج الرجال عقولا وأصلحهم بديهة ، وأقدرهم على التخلص من المواقف الحرجة — وفي عرضها على الناس دروس تحكى تصرف أكبر العقول في أكبر الأزمات ، إلى ما يتبع ذلك من عرض ما يلقاه الرسول من أم غير أهمهم ، تعيش عيشة اجتماعية وسياسية غير معيشتهم وهكذا .

ولكن - مع الأسف - لم يصل إلينا من ذلك إلا أخبار قليلة مفرقة في ثنايا أخبار الحروب والخلفاء ، وكان من حسن التوفيق أن عثر الأستاذ صلاح الدين المنجد على كتاب في هذا الموضوع - موضوع الرسل والسفراء - لابن الفراء سماه « رسل الملوك » .

وهو كتاب قيم في موضوعه ، يقدم لنا بعض معلومات مما كنا نجهلها ولكن يخرج منه القارىء وهو لا يزال يشعر بظماً يطلب معه المزيد من الرى ، لأنه ليس مقنعا ولا كافيا ولكن على كل حال - شيء خير من لا شيء . ورى قليل خير من ظماً مبيت .

فعنى الأستاذ صلاح الدين بضبطه وتصحيحه كما يرى القارىء ، ثم أوحى إليه هذا العمل أن يتعرض للدبلوماسية في الإسلام مقارنا بينها وبين الدبلوماسية في العصور الحديثة ، فكان موضوعه طريفاً طرافة الكتاب الذى نشره .

ونرجو أن يكون هذا الكتاب المنشور الأول من نوعه تتبعه كتب يعثر عليها في خزائن الكتب الإسلامية المدفونة وأن يكون البحث الأول الذى قدمه الأستاذ صلاح الدين مقدمة لبحوث طويلة مستفيضة إن شاء الله .

أحمد أمين

٤٧/١/١٨

## ببانه

أول من عثر على هذه النسخة من كتاب رسل الملوك هو المرحوم أحمد زكي باشا .  
فقد صادفه في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ضمن مجموع مرقوم ٣٠٥٢ يشتمل على كتابين .  
الأول اسمه محاسن الملوك لمؤلف مجهول ، والثاني كتابنا رسل الملوك للحسين بن محمد  
المعروف بابن الفراء .

وبادر أحمد زكي باشا إلى تصوير المجموع كله . وضمه إلى خزائنه الزكية بالقاهرة . ثم  
انتقل إلى دار الكتب المصرية وكتبت عليه هذه الأرقام : ٤١٧ / ١٩٣٩ . ذ / ١٢٩٥٦ .  
ثم أهدت دار الكتب المصرية نسخة مصورة من هذا الكتاب إلى علامة الشام  
الأستاذ محمد كرد علي . فضمها إلى مكتبته . وأعلمته ذات يوم أني فرغت من تصحيح  
كتاب الديارات للشابثي ، وأني جهدت جهدي في تحقيقه والتعليق عليه . فدفع إلي  
كتابين لأنتي أحدهما فأحققه ؛ الأول كتاب « مختصر الموافقة بين الصحابة » للزنجشري  
والثاني كتاب « رسل الملوك » لابن الفراء وقرأت الكتابين ، ثم عدت إلى الأستاذ الجليل  
بالأول واحتفظت بالثاني .

ذلك لأن كتاب الموافقة بين الصحابة جليل الفائدة فظيم الشأن غير أن موضوعاته  
شائكة لا يخرج الإنسان منها بغير جروح . أضف إلى ذلك أنه كتاب يتطلب الاطلاع  
الواسع على المحدثين وطبقاتهم ومعرفة الأحاديث ودرجاتها . ولم أك يوم عرّض ذلك عليّ  
من أهل هذا الفن لأخوض فيه . فلقد أدركت من يخوض في كل فن ويدعى معرفة كل  
علم . ويصنف في كل باب . يتغنى أن يكون علامة زمانه فيزل زلات سمته الناس بها  
جباله الزمان .

وقرأت كتاب رسل الملوك . فتبينت فيه أدبا جما وطرافة نادرة وأصالة في الموضوع  
ووحدة فيه . فأغراني ذلك على تحقيقه وتصحيحه . وأخبرت الأستاذ فواقني ودفعتني إلى  
العمل وقدم إلي الكتاب .

## وصف النسخة المصورة

اسم الكتاب : أثبت اسم الكتاب على الصفحة الأولى وهي الورقة الثانية والعشرون بعد المائة من ورقات المجموع . وفيها ما يلي :

### كتاب رسل الملوك

ومن يصلح للرسالة والسفارة ومن أمر بإرسال رسول ومن ينهى عن ذلك . وكيف ينبغي لمن أرسل إلى ملك أن يعمل للاحتياط لنفسه ولن أرسله ومن ذم من الرسل ومن حمد تأليف

أبي علي الحسين بن محمد المعروف باسم الغراء .

عدد الصفحات : ويبدأ الكتاب بالورقة الثالثة والعشرين بعد المائة . وينتهي بالورقة السادسة والسبعين بعد المائة .

فيكون مشتملاً على ثمان وعشرين ورقة أو ثلاث وخمسين صفحة .

سعة الصفحات : وسعة الصفحات مختلفة لاختلاف أعراضها . لأن طول الصفحات

جميعاً هو ١٧ سم . أما العرض فمختلف . فهو في بعض الورقات بـ  $12 \frac{1}{2}$  (١) وفي الأخرى  $11 \frac{1}{2}$  (٢) وفي بعضها ١١ (٣) أو  $10 \frac{1}{2}$  (٤) .

الهوامش : وفي أطراف الصفحات هوامش طولانية تبلغ ٢ سم وعرضانية قدرها ٣ سم .

السطور : وكل صفحة ١٥ سطراً ما عدا الصفحة ١٢٩ آ . فإن فيها ١٦ سطراً .

والصفحة ١٧٦ فإن فيها تسعة سطور . وطول السطر ٨ سم .

(١) الصفحة ١٣١ - آ٦ .

(٢) ١٢٤ - آ٢ .

(٣) ١٢٧ - آ٤ .

(٤) ١٣٢ - ب٦ .

الكلمات : وعدد كلمات السطور مختلفة أقلها ثمان وأكثرها ثلاث عشرة كلمة .

الخط : أما الخط فهو من النسخ المشوق تجده صعب القراءة في بعض الأحيان خاليا من النقط مشكولا شكلا مغلوطا ، وقد لفت نظرنا أن الحركات أثبتت على غير ما نعهد ويلاحظ أن الكسرة قد أثبتت كالف صغيرة تحت الحرف .

تاريخ النسخ : وتاريخ النسخ هو سلخ شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

وليس هناك اسم يدل على النسخ .

وأغلب الظن أن هذه النسخة فريدة في العالم ، إذ لم يذكرها بروكمن في معجمه . كما أني نفقت معظم فهارس المخطوطات ، في مكاتب برلين وباريس ولندن ، فلم أجد له ذكرا .

## مؤلف الكتاب

وقد لاقينا في البحث عن مؤلفه صعوبة ومشقة . فقد عبرنا على رجال عدة سمو بهذا الاسم مع موافقة له تارة ومخالفة لكنيته تارة أخرى . ولم أعر على ما يرجح أن أحد هؤلاء قد ألف هذا الكتاب . ونستطيع الجزم أن مؤلفه كان ممن لابس الخلفاء وسكن القصور واطلع على مكنونات الأمور وخفايا الصدور . فإن حديث محمد بن عبد الملك مع رسول ملك الروم لم يرد قط في المصادر التي بين أيدينا على وفرتها وهو ينقلها نقل واثق عليم ويناقشها مناقشة خبير ذكي . ثم إن مقايسة الخلفاء العباسيين لملوك الروم لا تتأني إلا لمن كان قد شاهد هؤلاء وعلم أخبار أولئك أو أنه قد تردد بين قصور هؤلاء وهؤلاء .

ونستطيع أن نصل إلى معرفة عصر المؤلف بطرق ثلاث .

١ - تاريخ الحوادث المنقولة .

٢ - تاريخ الأشخاص الذين ينقل عنهم .

٣ - استقرار النصوص ومقايستها بالنثر العربي في مختلف العصور .

أما تاريخ الحوادث فيبدو لأول وهلة أن مؤلف الكتاب قد يكون عاش في القرن الثالث

لأنه نقل بعض أخبار المعتصم ولم يتعرض لذكر أمور أخرى ذات صلة بالسفارات وقعت بعده . فلو أنه كان حيا - كما نحسب - لما أغفل ذكر رسالة ملك الروم إلى المقتدر بالله سنة ( ٣٠٥ ) هـ أى فى أوائل القرن الرابع . ولنوه بما لقي الوافدون من الإكرام والإجلال . وقد ذكر الخطيب وابن مسكويه والمسعودى وابن الجوزى هذه السفارة . ولقد كان فيها ما يثير الاطلاع وما هو جدير بالوصف .

٢ - تاريخ الأشخاص : ولكن تاريخ الأشخاص ينقض هذا الظن . ذلك أن المؤلف ينقل عن رجل اسمه أبوزيد فيقول : قال أبوزيد فى السياسة المختصرة . ونستطيع أن نتبين أبوزيد هذا من قول المؤلف بعد إيراد ما قاله أبوزيد ما يلى : وقال غير البلخى . فنعلم أن هذا هو أبوزيد البلخى وقد ذكر ابن النديم وغيره أن له كتاب السياسة الكبير وكتاب السياسة الصغير . ولعل هذا الكتاب الأخير هو ما يسميه ابن الفراء بالسياسة المختصرة . لكن أبوزيد مات سنة ٣٢٠ هـ على أحد الأقوال . أى فى الربع الأول من القرن الرابع . فيكون أبوزيد أقدم رجل ينقل عنه . ونستطيع أن نجزم إذن أن مؤلف هذا الكتاب شهد القرن الرابع ٣ - ثم لنرجع إلى النصوص لعلها تؤيد ما وصلنا إليه .

وإذا تتبعنا النصوص ونقدناها تبين لنا أن أسلوبها فصيح مشرف فيه انتقاء وتخير فلا ركاكة ولا التواء بل الأسلوب قصد مستقيم فيه حلاوة وله طلاوة . استمع إليه يقول : « اختر لرسالتك فى هدتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك رجلا حصيفا بليغا حولا قلبا ذا رأى جزل وقول فصل ولسان سليط وقلب حديد فطنا بلطائف التدبير مستقلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة وإصابة الرأى ساميا إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه عنك . . . »

فهذا أسلوب فصيح لا نراه فى العصور المتأخرة بل لا نراه بعد العصر الرابع . ولو أنه كان متأخرا عن هذا العصر لكان أقل إشراقا وأكثر ركاكة كالنصوص التى نراها فى التبر المسبوك للغزالي وغيره .

ونخلص من هذا كله إلى أن مؤلف الكتاب كان فى القرن الرابع للهجرة وقد يكون أدرك أوائل الخامس .

ولنتعرض الآن أسماء الرجال الذين عرفوا واشتهروا بالفراء أو بابن الفراء لنرى أيهم أقرب أن يكون موافقا اسمه اسم .

أبي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء

١ - فهناك الحسين بن محمد بن خلف أبو عبد الله بن الفراء كان أحد الشهود المعدلين وهو والد القاضي أبي يعلى . توفي سنة ٣٩٠ وكان رجلا صالحا على مذهب أبي حنيفة<sup>(١)</sup> .  
يؤخذ على هذا أمران :

( أ ) أن كنيته أبو عبد الله وكنية صاحبنا أبو علي .

( ب ) يستبعد أن يؤلف شاهد معدل على مذهب أبي حنيفة كتابا على الرسل يجري فيه هذا الجرى الأدبي وخاصة أنه لم ينقل عن أبي عبد الله ما يدل على أنه كان أدبيا ولم ينص أحد على تأليفه مثل هذا الكتاب .

٢ - وهناك الحسين بن مسعود البغوي المعروف بابن الفراء المحدث الفقيه محيي السنة مات سنة ٥١٦ . وقد نسبت دار الكتب المصرية في فهرسها هذا الكتاب له . وهي مخطئة .  
ويؤخذ على هذا ثلاثة أمور :

( آ ) اسم أبيه مسعود فهو يخالف اسم أبي صاحب الكتاب .

( ب ) لم يذكر من ترجم له أنه ألف كتابا في الرسل لنسبه إليه .

( ج ) مات في القرن السادس وليس هذا بعصر مؤلف الكتاب .

٣ - وهناك يحيى بن زياد النحوي الفراء .

وهذا يسقط من نفسه لأمر لا حاجة لتبيانها .

٤ - وهناك محمد بن الحسين بن خلف أبي يعلى ابن الفراء مات سنة ٤٥٨ . وهذا يسقط

أيضا ويلحق بمن سبقه .

٥ - وهناك الحسين بن محمد الكاتب الفراء . قال الخطيب : هو الحسين بن محمد

ابن القاسم أبو عبد الله الكاتب الموصلى . يعرف بالفراء . حدث عن أبي هارون موسى بن محمد

الزرقى حدثني عنه محمد بن أحمد الأشناني كان ينزل قطيعة عيسى . وكان صدوقا .



ويؤخذ على هذا أمور :

( أ ) يعرف بالفراء وصاحبنا معروف بابن للفراء .

( ب ) كنيته أبو عبد الله ، وكنية ذلك أبو علي .

ولكن كونه كاتباً يجعلنا نميل إليه . لأن الاختلاف الكنية كثيراً ما يقع ولعل له ولداً كان اسمه عبد الله فكنى به .

فمن بين هؤلاء المشاركة لا نجد أقرب من الأخير إلى كونه المؤلف .

وإذا تركنا المشرق وولينا وجهنا شطر المغرب رأينا أدبياً كان يعاصر ابن شهيد اسمه الحسين بن محمد الكاتب القرطبي . قال السمعاني / ٤١٩ . ويعرف بابن الفراء . ويكنى بأبي الوليد يروي عن أبي عمر بن دراج وأبي عامر بن شهيد . قال الحميدي . وقد وردت حاشية في بغية الملتبس يفهم منها أنه كان يكتب إلى اسمه أبا علي ، فإذا دققنا في هذا نجد ما يلي :

١ - أن اسمه واسم أبيه يوافقان الاسم المذكور في الكتاب .

٢ - يعرف بابن الفراء وهذا يوافق صاحب الكتاب .

٣ - كان يعاصر ابن شهيد وابن شهيد مات سنة ٤٢٦ أي في أول القرن الخامس .

٤ - كان كاتباً وهو يرجح كونه مؤلف الكتاب .

٥ - كون كنيته أبا الوليد لا تستدعي إسقاطه فقد يكون له كنيتان وخاصة بعد أن

ذكر أنه كان يضاف إلى اسمه أبو علي .

على هذا يكون مؤلف الكتاب أحد رجلين الموصلي أو القرطبي ودلائل القرطبي أقوى .

وقد يرد اعتراض على الأخير ويمكن أن يقال : إن الأندلس قد شهدت سفارات عدة

وخاصة سفارات الروم إلى عبد الرحمن ، وقد كان يمكن أن يضيف المؤلف ماجرى في قرطبة

أو ما سمع أنه جرى فيها والكتاب كله خلو من كلمة واحدة عن الأندلس . والجواب عن

هذا أن ليس من المستبعد أن يخص أندلسي كتاباً بالشرق ورساله . وقد كان المغاربة مولعين

بالشرق وأخباره يتبعونها ويؤلفون فيها وكانوا يعظمون علماءه ويبجلونهم وكانوا مفتونين

بكل ما أتى من المشرق البعيد . وهذا أمر لا محل لتفصيله هنا . ولقد ألف ابن عبد ربه

كتابه العقد في الأدب فاترجم فيه لشاعر أندلسي ولا تكلم على ناثر مغربي بل كان كل ما فيه — خلا أبيات — بضاعة من المشرق خرجت منه ثم ردت إليه .

## ميزة الكتاب

ومهما يكن من أمر فإن لهذا الكتاب ميزات كثيرة تتلخص فيما يلي :

١ — قل أن نجد في كتب القدامى وحدة متماثلة في الموضوع . وأكثر ما نجد هذه الوحدة يعتربها خلل بإضافة موضوعات ثانية إلى الموضوع الأول أو استطرادات كثيرة . وكتابنا هذا يؤلف وحدة متماسكة ، فيدور موضوعه على الرسل ، رسل الملوك ورسل الخواص .

٢ — إن موضوع الكتاب نفسه نادر ، فبحث المؤلف عن رسل الملوك والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيهم يجعل الكتاب ذا شأن . لأن هذا الموضوع ذو نسب بعلم الحقوق الدولية العامة الذي أنتجته الأعصر الحديثة . يضاف إلى ذلك أن هذه الصفات التي قررها صاحب الكتاب تشابه كل الشبه الصفات التي تطلب في أيامنا من الرسل والسفراء الدبلوماسيين . وهذا يدل على أن العرب فطنوا لهذه المبادئ التي نجدها اليوم في الدبلوماسية الحديثة وقد فصلنا هذا في دراستنا عن الرسل والسفراء عند العرب .

٣ — في الكتاب صفحات من الدبلوماسية بين العرب والبيزنطيين في العصر العباسي وفيه حوادث لم نجدها في الكتب الأخرى ، كاجتماع رسول ملك الروم بابن عبد الملك بن الزيات وما دار بينهما . وهذا الفصل من أمتع فصول الكتاب ، يبين طريقة تلقي الرسل الروم ويعطى صورة عن الأحاديث التي كانت تدور ، ثم إن المقايسة بين ملوك العرب وملوك بيزنطية رائعة ذات قيمة ، لندرة ما لدينا من النصوص القديمة عنها .

٤ — في الكتاب نصوص من كتب جواد نادرة . كخدايناماه لابن المقفع المفقود الذي يزعم بعض المستشرقين أن المؤرخين العرب أخذوا عن هذا الكتاب طريقة التأريخ التي تراها في كتبهم ، على أن النص الذي نجده في كتابنا هذا لا يدل على ما ذهبوا إليه .

وكذلك نجد نصوصاً كثيرة من كتاب السياسة العامة وهو الكتاب الذي ألفه أرسطو لإسكندر . وكان من هذا الكتاب نسخة في برلين ما ندرى ما آل إليه أمرها .

وإلى جانب ذلك نجد كثيراً من النصوص المختلفة المنقولة عن يونان والهند والفرس ، وهي تبين مبلغ شغف العرب في ذلك العصر بها وغايتهم بها . وكلها جديدة .  
وعندي أن قيمة الكتاب تظهر في هذه النصوص الجديدة التي يقدمها لنا ويطلعنا عليها ، والتي تضيف إلى معارفنا السابقة معارف جديدة حول موضوع رسل الملوك .

### زهبي في تحقيق الكتاب

وقد اتبعت في تحقيق الكتاب أصول النشر الحديثة : فقد عنيت بتصحيحه وضبطه وقابلت نصوصه وما ورد فيه من الشعر بما ورد منها في الدواوين وكتب الأدب والأخبار . وأثبت ما بينهما من اختلاف وأضفت الناقص وأشرت إلى المزيد .  
وقد أثبت رواية كاملة وجدتها في غير كتاب ولم أجدها هنا رغبة في إخراج النص صحيحاً واضحاً لا عيب فيه . ولقد شرحت ما ورد في الكتاب من ألفاظ صعب وردت إلى الصحة ما صرف منها وأبنت عن معان غوامض في الآيات ، وحققت تواريخ ملوك العباسيين وملوك الروم . وعلى الجملة فقد جهدت أن يكون الكتاب لطيفاً سهلاً جيداً .  
وألحقت به فهارس متنوعات تيسر على القارئ معرفة ما يريده أو يرغب فيه من الكتاب .

### شكر

وإني لأشكر هنا علامة الشام الأستاذ محمد كرد علي بك الذي هداني إلى هذا الكتاب فأخرجته فله الفضل في ذلك . كما أشكر الشكر الجزيل العلامة الكبير صاحب الأيادي البيض على نشر الثقافة ، الأستاذ أحمد أمين بك الذي تفضل فوافق على طبع الكتاب وقدم إلى ملاحظات كثيرة ذات شأن .

وأشكر أيضاً كل من أعانني على فهم لفظه أو حلّ جملة أو تفسير مغلق من الأساتذة والأصدقاء .

كما أشكر سلفاً من يقرأ كتابي فيجد فيه خطأ فينبهني إليه .

# أبواب الكتاب

صفحة

١

مقدمة المؤلف

الباب الأول : أذكر فيه ما جاء في كتاب الله عز وجل من ذكر الرسل ووجوب

٢

حق تعظيمهم والانقياد إليهم .

الباب الثاني : أذكر فيه لم أرسل الله تعالى البشر إلى البشر دون أن يجعل رسله

٥

ملائكة أو غيرهم من خلقه ووجه الفائدة في ذلك .

٦

الباب الثالث : أذكر فيه ما أوجبه الله تعالى على مخالفي الرسل من العذاب .

الباب الرابع : أذكر فيه أن الكتاب مقصور على معناه الذي يتضمنه لا يتعداه

إلى غيره ، وأن الرسول يتصرف في مذاهب الحجة ، وأبرهن أن

الكتاب يد والرسول لسان ، وأن الواجب على الملوك أن يقرنوا

كتبهم بالرسل لنا في ذلك من كمال الفائدة ووجوب الحجّة ، ولقطع

الرسول الأمر إذا كان مأموراً من غير مراجعة ولا احتياج إلى

٧

استئذان مرسله .

الباب الخامس : في نهى الرسول عن تعدي ما أرسل به ، وأن يخطئ برأى المرسل

ولا يصيب برأيه ، ونهيه عن الوهم بالرسالة أو التحريف لها ، وإلا

٩

أحوج إلى رسول ثان .

الباب السادس : أذكر فيه كيف ينبغي للرسول أن يغفل إذا سقر بين ملكين

وكان أحدهما يرعد ويبرق ، ويعد ويستعد ، ليصفر إليه نفسه ، وما

أجاب به بعض الرسل وقد عوتب على أنه لم يُعر شيئاً مما رآه طرفه

١٠

مما عظم به في عين من أرسل إليه ومليكه .

الباب السابع : أذكر فيه إذا لم يكن الرسول وقوراً ثابت العقل ، وورد من الأعداء

منفعة

على مَنْ يرعد ويبرق عليه ويجمع له عُدده وعدده فأكثر

الرسول التلفت أهان مرسله . ١٣

### الباب التاسع

: في أن الرسول إذا لم يكن متأنياً صبوراً سالماً من العلق<sup>(١)</sup>

وكان متلفتاً إلى ما خلفه من أهله وماله . كان سعيه فيما على

مرسله لاله ، أو عاد على يديه بأمر لم يفصله ، ورأى لم يبرمه . ١٥

### الباب التاسع

: في مَنْ دفع من رسل الملوك إلى أن حمله ملكه إلى ملك آخر

رسالة غليظة وأمره أن يؤديها على وجهها وحظر عليه أن يغيرها

عن<sup>(٢)</sup> هيتها أو تحريف شيء من معناها ولفظها ، والوجه الذي

به احتال حتى أذى الرسالة وسلم من معرفة الملك المرسل إليه

وطاد بحمد منه وقد نصح لمن أرسله وأدى مقالته . ١٧

### الباب العاشر

: في أن وهن الرسول عائد على من أرسله و < كذلك >

اختلاله وضعفه ، وأن الرسول إذا كان تاماً ذا بيان ورواء

فما فيه من فضل عائد على مَنْ أرسله ومنسوب إليه . ١٨

الباب الحادي عشر : في الرسول المحروم وما ورد فيه من كتاب الله عز وجل

وكلام البلغاء والشعراء والحكماء . ١٩

الباب الثاني عشر : أذكر فيه لم استحب في الرسول إسراف القد وعبالة الجسم ،

وما احتج به مَنْ كان قيمياً من الرسل وَمَنْ كان عبلاً . ٢٠

الباب الثالث عشر : أذكر فيه ما كانت تعمل عليه الفرس إذا آثرت أن تتخذ

من رعاياها مَنْ تندبه للرسالة والسفارة ، والمحنة التي تمتحنه بها ،

فإذا صحَّ على الابتلاء والخبرة ، حينئذ تتخذ رسولاً . ٢٢

الباب الرابع عشر : في النهي عن إرسال الرسل ، ومن جرى عليه خلل من الملوك

في تدييره<sup>(٣)</sup> لأجل كذب الرسول ، وما جوزى به من خان في

(١) في الأصل : العلق .

(٢) في الأصل : « من » .

(٣) في الأصل : « تدييره » .

صفحة

رسالته والتحذير من الاستنامة إلى الرسل ، وما كانت الفرس  
تعمله من الاحتياط على الرسل ليصحَّ لهم الخبر المورد عليهم  
إذ الأخبار مظان الصدق والكذب .

٢٥

الباب الخامس عشر : فيما كانت قريش تعمل به إذا أرادت أن ترسل رسولاً إلى  
الملك وما كانت توغر به إلى الرسول وهي في جاهليتها .

٢٨

الباب السادس عشر : في احتراس الرسول لنفسه إذا سَفَر أو ترَسَّل بين ملكين  
وهما على حرب أو مُنازلة .

٢٩

الباب السابع عشر : في النهي عن مفاتحة رسل الملك بحضرة الملاء من الناس والمنع من  
جدالهم ، وأن لا يمكنوا إلا من أداء الرسالة وتحمل الجواب .

٣٠

الباب الثامن عشر : أذكر فيه من زان مرسله بعبارته ورفع من ملكه بيانه  
وسفارته .

٣١

الباب التاسع عشر : في مَنْ دُفِعَ من الملك إلى مضيق من جواب رسول فألهمه الله  
تعالى الصواب ووقفه في الجواب .

٣٩

الباب العشرون : من عجل من الملك إلى سَفِهٍ في المكاتبة فكان حلم مَنْ كاتبه  
أوجع له مما جناه على مكاتبه .

٤١

الباب الحادي والعشرون : أذكر فيه نوادر جاءت في الرسالة ونبدأ من حِيل الملك على  
الملك حسداً لهم على إصابة رسلهم للصواب .

٤٥

## ما ترمز إليه الأقواس

آية قرآنية	﴿ ﴾
النصوص المضافة من مصادر ثانية	[ ]
الحروف أو النصوص المضافة من عند المصحح	< >
يدل على أوائل صفحات المخطوطات وأواخرها	( )
أ — الوجه الأول المفرد	
ب — الوجه الثاني غير المفرد	
ما لم يمكن فهمه	( ? )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### وبه الإعانة

الحمد لله الذي اتخذ الحمد لنفسه لينيل به ثواباً عباده<sup>(١)</sup>، ففتح به كتابه، وختم به دعاء أهل جنّته، فقال في كتابه ﴿أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وصلى الله على أكرم رسولٍ جاء بالحكمة والموعظة الحسنة، هادياً لهم إلى طاعته، وذائداً لهم عن معاصيه؛ محمد النبي وآله الطاهرين، وسلّم تسليماً.

سألتني — أيدك الله — أن أبين لك فضل الرسل، ومَن يصلح للرسالة والسّفارة، ومَن أمر من الملوك الأوائل، والحكماء الأفاضل، بإرسال رسول، ومَن نهى عن ذلك، وكيف تكون صفة الرسول، وما ينبغي لمن أرسل لملك إذا كان منازلاً لملك أن يعمل في الاحتياط لنفسه، ولمن أرسله، ومَن حُمد على قديم الوقت من الرسل ومن ذم، وما قالت الحكماء والبلغاء والشعراء في ذلك، وما ورد من ذكر الرسول في كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومَن خان ملكه لتعجل برٍّ أو فائدة، وما جازاه به مرسله على ذميمة فعله، ومَن رُسل<sup>(٣)</sup> برسالة غليظة فأداها، والوجه الذي به احتال إلى أن نجا من شر ما حمله، ومن نصّح من الرسل لملك وزانه برسالته، ورفع من ملكه بيانه وعبارته... فأجبتك إلى (٢ آ) سؤالك، اعتماداً مني لمسرتك، وعلماً أنك غنيٌّ > عن < يسير ما أعلم بكثير ما تعلم، آخذاً بالأدب في مسارعتي إلى الأمر؛ وإلى الله أرغب في الهداية والتوفيق برحمته.

(٢) سورة يونس ١٠ / ١٠

(١) في الأصل « من عباده »

(٣) رسل كآرسل (اللسان)



## الباب الاول

« أذكر فيه ما جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ من ذكر الرسل »

« ووجوب حق تعظيمهم والالتقياد إليهم »

قال الله تعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم رُسُولا منكم ، يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تبارك اسمه ﴿ رُسُلًا مَبشُرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال عزَّ من قائل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ . أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ، وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا ( ٤ ب ) رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى في أنه لا يجوز أن يُرْسَلَ إلى أمة إلا منهم مَنْ يَفْهَمُ لِقَتَهُمْ ، وَمَنْ هُوَ دَرَبٌ<sup>(٦)</sup> بها ، فهو أحجُّ عليهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ، فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾<sup>(٨)</sup> .

وقال تعالى ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ، فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾<sup>(٩)</sup> .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾<sup>(١٠)</sup> .

- |                                           |                           |
|-------------------------------------------|---------------------------|
| ( ٢ ) سورة النساء / ١٦٤                   | ( ١ ) سورة البقرة / ١٥١   |
| ( ٤ ) سورة البقرة / ١١٩                   | ( ٣ ) سورة المائدة / ٢١   |
| ( ٦ ) هو درب بالأمر أى عالم به ( الأساس ) | ( ٥ ) سورة الأنبياء / ١٠٧ |
| ( ٨ ) سورة الزمل / ١٥ - ١٦                | ( ٧ ) سورة النساء / ٦٣    |
| ( ١٠ ) سورة الأحزاب / ٤٥ .                | ( ٩ ) سورة الحاقة / ١٠    |

## أسماء رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

< أرسل > جرير بن عبد الله<sup>(١)</sup> إلى ذى الكلاع . وأرسل إلى جبلة بن الأيهم شجاع بن وهب الأسدي ، قال الواقدي : بل إلى شمر بن الحارث بن أبي شمر<sup>(٢)</sup> . وأرسل إلى المقوقس صاحب مصر حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد ، فأكرمه ووصله وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية أم إبراهيم صلى الله عليه ، ومعها خصي وأختها أم عبد الرحمن بن حستان بن ثابت<sup>(٣)</sup> ، وبيغلتة دُلْدُل ، وحمارة يعفور<sup>(٤)</sup> . وأرسل عمرو ابن العاص<sup>(٥)</sup> إلى جئفر<sup>(٦)</sup> وعبد<sup>(٧)</sup> ابني الجلندي بن المستكبر الأزديين بعمان . فأسلما

- (١) في الأصل « جابر بن عبد الله » والذي أرسل هو « جرير بن عبد الله » . انظر : الإصابة ( ٢ : ١٨٣ ) ، أسد الغابة ( ٢ : ١٤٣ ) ، الاستيعاب ( ١ : ٩١ ) .
- (٢) كذا في الأصل . وقيل بل إلى « المنذر بن الحارث بن أبي شمر » انظر : البداية والنهاية ( ٤ : ٢٦٨ ) . وفي سائر المصادر « إلى الحارث بن شمر النسائي » . انظر : الطبقات الكبير ( ٣ : ٢ ) ، ( ٦٦ : ٢ ) ، أسد الغابة ( ٢ : ٣٨٦ ) ، سيرة ابن هشام على هامش الروض ( ٢ : ٣٥٣ ) .
- (٣) على هذا جمهرة المؤرخين . وقال بعضهم « بل أهدى إليه ثلاث جوار » انظر : فتوح مصر لابن عبد الحكم ( ص ٤٣ ) ، البداية والنهاية ( ٤ : ٢٧٢ ) .
- (٤) وقيل إن اسمه « عفير » . انظر : فتوح مصر للواقدي ( ص ١٦ ) .
- وقد كان في الهدية « أشياء أخرى ، منها ألف مثقال من ذهب ، وعشرون ثوباً لينة » ذيل المذيل للطبري ( ٢٤٦٢ ) ، « وقدح من قوارير كان يشرب فيه النبي » الروض الأنف ( ٢ : ٣٥٥ ) ، « وخفان ساذجان أسودان » البداية والنهاية ( ٤ : ٢٧٣ ) ، « وعسل » الاسعاق ( ص ٢٠ ) « ومسك وعود وطيب وعمائم قباطي » فتوح مصر للواقدي ( ص ٢٠ ) .
- انظر أيضاً : فتوح مصر لابن عبد الحكم ( ص ٤٣ ) ، والمقرئزي ( ١ : ١٢٥ ) وحسن المحاضرة ( ص ٥٨ ) .
- (٥) في البداية والنهاية ( ٤ : ٢٧٣ ) أنه العلاء بن الحضرمي .
- (٦) في الأصل « خالد » وهو خطأ . وفي السيرة الحلبية ( ٢ : ٣٧٤ ) « جعفر » والصواب أنه « جعفر كجعفر » . انظر : الإصابة ( ١ : ٢٧٤ ) ، أسد الغابة ( ١ : ٣١٣ ) ، الاستيعاب ( ١ : ١٠١ ) سيرة ابن هشام — الروض ( ٢ : ٣٥٣ ) ، القاموس المحيط ( مادة جفر ) .
- (٧) اختلف في هذا الاسم . فهو « عبيد » الإصابة ( ١ : ٢٧٦ ) ، و « عباد » الإصابة ( ٥ : ٨٨ ) ، الطبري ( ٣ : ١٥٦٠ ، ١ ) ، ابن الأثير ( ٢ : ١٨٥ ) . و « عياذ » الإصابة ( ٥ : ١٢٥ ) الوفا في سيرة المصطفى لابن الجوزي ( مخطوط بيرلين 9573 الفصل الثلاثون ) ، سيرة ابن هشام ط ١٢٩٥ ( ٣ : ٧٦ ) . و « عبد الله » القاموس ( مادة جفر ) ، تاج العروس ( ٣ : ١٠٥ ) . وهو أيضاً « عمرو » إمتاع الأسماع ( ١ : ٤٣٣ ) ، و « عمار » البداية والنهاية ( ٤ : ٢٧٣ ) ، و « عبد » الإصابة ( ٥ : ١٠٠ ) ، أسد الغابة ( ١ : ٣١٣ ) ، الطبقات الكبير ( ٧ : ٢ ، ١٨٨ ) ، فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٧٦ ) . وقد أثبتنا عبداً لوروده في أمات الكتب الموثوقة وفي الأصل .

وغلبا على عُمان . < وأرسل > دَحِيَّة بنَ خَلِيفَةَ الكَلْبِيِّ إلى قِيسِرِ ملكِ الرومِ فأخذ كتابَ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم ووضعهُ على خاصرتِهِ ، ووصل دَحِيَّة ، وقال : « لو كان في بلادِي لا تَبِعْتُهُ <sup>(١)</sup> ونصرتُهُ <sup>(٢)</sup> » . وأرسل عمرو بنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ إلى النجاشي ، وأرسل سليطَ بنَ عمرو <sup>(٣)</sup> أخا عامر بنِ لوئى إلى أهلِ اليمامة ؛ قال الواقدي : « وأرسل إلى هُوذَةَ ابنِ علي الحنفي » . وأرسل الملاء بنَ الحضرمي حليفَ ( ٥ آ ) بنى أسد ، إلى المنذر بنِ ساوى العبدى وأهلِ البحرين ، وكتبَ إلى المنذر كتاباً ، فأسلموا وبعثوا بخراجهم . وكان أولَ ما وردَ المدينة خراجُ البحرين ، وهو سبعون ألفَ درهمٍ <sup>(٤)</sup> . [ وبعث المهاجر بنَ أبي أُمَيَّةَ المخزومي إلى الحارث بنِ عبدِ كلالِ الحِمَيْرِيِّ ملكِ اليمن ] <sup>(٥)</sup> . وأرسل عبد الله بنُ حُدَافةَ السَّهْمِيِّ إلى كسرى بنِ هِرْمِزٍ فلما قرأ كتابَ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم قال : « بدأ باسمه قبلي . . ! » وقد <sup>(٦)</sup> كتابه سيوراً <sup>(٧)</sup> . فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : « اللهم مزق فارس كل ممزق » <sup>(٨)</sup> ، فما أفلحوا بعد دعوة رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم .

٤

- (١) في هامش الأصل « لتبعته » .  
(٢) في الطبري ( ٣ : ١٥٦٧ ، ١ ) « إن هرقل قال لدحية : وعحك ، والله إنى لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ، ولكنى أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لا تبعته » وانظر : الروض الأنف ( ٢ : ٣٥٥ ) .  
وقد خالف بعض المؤرخين في ذهاب دحية نفسه إلى قيصر ، وزعم أن رسول الله بعث بكتابه مع دحية وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه هذا إلى قيصر . انظر : الطبقات الكبير ( ٤ : ق ١ ، ١٨٥ ) صبح الأعشى ( ٦ : ٣٥٩ ) .  
(٣) في الأصل « سليط بن قيس » . والصواب ما أثبتنا . انظر : الإصابة ( ٣ : ١٢٣ ) أسد الغابة ( ٢ : ٣٤٤ ) ، الاستيعاب ( ٢ : ٥٩٦ ) ، وكذا في الواقدي والطبري ، وابن هشام ، وإمتاع الأسماع للمقريزي .  
(٤) في معجم البلدان ( ١ : ٥٠٩ ) : « فبعث العلاء إلى الرسول مالا من البحرين يكون ثمانين ألفاً ما أتاه قبله أكثر منه ولا بعده » .  
(٥) الزيادة من سيرة ابن هشام — الروض ( ٢ : ٣٥٣ ) .  
(٦) قد : شق طولاً ( القاموس ) .  
(٧) السير الذي يقدر من الجلد ( القاموس ) .  
(٨) في الطبري ( ٣ : ١٥٧١ ، ١ ) السنة السادسة : « فقال الرسول : مزق ملكه » وفي البداية والتهامة « مزق كسرى ملكه » ( ٤ : ٢٦٩ ) أو « يمزق ملكه » نفس المصدر . ( ٤ : ٢٧١ ) .

## الباب الثاني

« أذكر فيه لم أرسل الله تعالى البشر إلى البشر دون أن يجعل رُسُلَهُ »  
« ملائكةً أو غيرهم من خلقه ووجه الفائدة في ذلك »

قد كان في قدرة الله جلَّ وعلا أن يُلقَى في قلوب الأمم الإيمان ، ويوقمهم لما يرضاه من الشرائع والأديان ، من غير أن يبعث فيهم الرسل ، ويُعرِّفَهُم الآياتِ ( ه ب ) والنُّذُرُ ؛ ولكنه ، تبارك اسمه العظيم ، لرأفته بهم ، وإحسانه إليهم ، بعث فيهم من أنفسهم مَنْ يُخاطِبُهُم بالسنتهم ، ويهديهم لمراشدِهِمْ<sup>(١)</sup> ، عاطفاً عليهم بالمجانسة ، ورؤوفاً بهم للقراية . قال الله تعالى جَدَّهُ ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم ، عزيزٌ عليه ما عنتم<sup>(٢)</sup> . حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم<sup>(٣)</sup> .

(١) المرشد : مقاصد الطرق ( القاموس ) . (٢) في الأصل « ما عنتم » .

(٣) سورة التوبة / ١٢٩ .

## الباب الثالث

« أذكر فيه ما أوجبه الله تعالى على مخالفى الرسل من العذاب »

قال سبحانه ﴿ وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾<sup>(١)</sup> .  
وقال جلَّ اسمه ﴿ وما كان رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وأوجب سبحانه العذابَ عند عصيان الرسول ، فقال تبارك اسمه ﴿ كما أرسلنا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ، فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقد فضل الله سبحانه المرسلين من أنبيائه على غير المرسلين لتبليغ الرسالة ، وتحملي ثِقَلِ<sup>(٤)</sup> الأمانة ، والصبرِ على أذى الكافرين وتكذيب الجاحدين .  
ومن أخص المنازل عند الملوك والطفها ، وأقرب الأسباب منها<sup>(٥)</sup> وأوصلها ، منزلة المترسل بينها وبين أضدادها .

(٢) سورة القصص / ٥٩ .

(٤) فى الأصل « قتل » .

(١) سورة الإسراء / ١٦

(٣) سورة المزمل / ١٥ - ١٦

(٥) فى الأصل « بها » .

## الباب الرابع

« أذكر فيه أن الكتاب مقصور على معناه الذي يتضمّنه لا يتعدّاه إلى »  
« غيره ، وأن الرسول يتصرّف في مذاهب الحجّة ؛ وأبرهن أن الكتاب »  
« يد ، والرسول لسان ، وأن الواجب على الملوك أن يقرنوا كتبهم »  
« بالرسول لما في ذلك من كمال الفائدة ووجوب الحجّة ، ولقطع الرسول »  
« الأمر إذا كان مأموراً من غير مراجعة ولا احتياج إلى استئذان مرسله »

قال الحكيم : « الكتاب يدّ والرسول لسان » .

وقال غيره : « الكتاب مقصورٌ على معناه الذي يتضمّنه لا يتعدّاه إلى غيره ، وللرسول أن يتصرّف في أنحاء الحجّة ، ويتأتّى<sup>(١)</sup> لنظم الألفّة ، ويحرص على درك البغية ، ويجتهد في نجاح الطلبة ، اجتهاد من يرى أن في تمام الأمر على يده ، وانتظامه بسعيه وسفارته ، دليلاً على موقعه ، وتيئناً بطائره . وربّما حكم الرسول في الأمور وخير في التدبير ، على حسب ما توجبه المشاهدة ويستصاب<sup>(٢)</sup> في البدء والعاقة .

قال بعض الأدباء من الحكماء :

ليس الكتابُ يبالغُ لك مبلغاً حتى يكونَ مع الكتابِ رسولُ  
ما في كتابك غيرُ ما حملتهُ لكن رسولك كيف شاء يقول  
فإذا جمعتَهُما ولم تُفردْها يُبلغَ النجاحُ وأدركَ المأمولُ  
وقال غيره ممن يجرى في الحكمة مجراه :  
اقرن كتابك بالرسول فإنه ، أفضى لما حاولتَ فيه وأعذرُ  
وإذا اقتصرتَ على الكتاب فإن من كاتبتَ في ردّ الجواب مُخَيَّرُ  
إن أثر التقديم فهو مقدمٌ أو أثر التأخير فهو مؤخر<sup>(٣)</sup>

(١) في الأصل « يتأما » . ويقال : تأتي فلان للأمر إذا تهيأ له وأناه من وجهه (اللسان) .

(٢) يستصاب : يصوب رأيه (الأساس) .

(٣) الضمير في مقدم ومؤخر يعود على الجواب .

وقال حكيم العرب في التفويض إلى الرسول :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصه<sup>(١)</sup> (٦ ب)

على أن هذا المذهب مرذول عند الحزّمة<sup>(٢)</sup> الألباء<sup>(٣)</sup> والمجرّبين العقلاء ، الذين خبروا  
الأمور بفطر عقولهم وأضافوا إليه ما استفادوا من تجارب أيتامهم .

---

(١) البيت لمجد الله بن جعفر بن أبي طالب . انظر : الإصابة ، والمحسن والساوي للبيهقي (ص ١٦٩) .

(٢) الحزّمة ج حازم . (القاموس) .

(٣) ألباء كاشداء ج لبيب وهو العاقل (القاموس) .

## الباب الخامس

« في نهى الرسول عن تعدّي ما أرسل به ، وأن يخطيء برأى المرسل »  
« ولا يصيب برأيه ، ونهيه عن الوهم بالرسالة أو التحريف لها وإلا أخوج »  
« إلى رسول ثان »

أمروا بأداء الرسالة على وجهها ، ونهوا عن الشك والتحريف خيفة احتياج ما<sup>(١)</sup> إلى رسول ثان . فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء المجيدين والحكماء المطبوعين فقال :

إني اتدبتك للرسالة بعد ما      دبرتُ أمرى مبدئاً ومُعاوردا  
اعلمُ بأنك إن أضغتَ وصيتي      فأصبتَ لم أكُ للإصابة حامدا  
وإذا أجدتَ بها فعاقك عائق      عما أردتُ بسطتَ عذرك جاهدا  
إن الرسول إذا استبد برأيه      وعصى وليّ الأمر كان مُعاندا

وقال بعض الشعراء في رسولٍ وهم فأخوج مرسله إلى رسول ثان :

شرّ الرسولين من يحتاج مرسله      [ منه ] إلى العود والأمران سيّان<sup>(٢)</sup>  
لذلك ما قال أهلُ العلم في مثل      طريق كل أخى جهل طريقان

(١) في الأصل « خيفة ما احتياج » .

(٢) سقطت في الأصل « منه » والتصحيح عن مروج الذهب ( ٢ : ٥٤٢ ) .



## الباب السادس

« أذكر فيه كيف ينبغي للرسول أن يفعل إذا سفر بين ملكين ، وكان »  
« أحدهما يردد ويبرق ، ويعد ويستعد ، لبصفر إليه نفسه ، وما أجاب »  
« به بعض الرسل وقد عوتب على أنه لم يعر شيئاً مما رآه طرفه ، مما عظم »  
« به في عين من أرسل إليه ، وملكه . »

قال الحكيم :

« اختر لرسالتك في هدتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك ، رجلاً  
حصيفاً ، بليغاً ، حوَّلاً قلباً<sup>(١)</sup> ، قليل الغفلة منتهز الفرصة (٧ آ) ذا رأى جزل ، وقول  
فصل ، ولسان سليط وقلب حديد ، فطناً للطائف التدبير ومستقلاً<sup>(٢)</sup> لما ترجو أو تحاول  
بالحزامة وإصابة الرأي ، ومتعقباً له بالحذر والتمييز ، سامياً إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه  
عنك . إن حاول جرَّ أمر أحسن اعتلاقه<sup>(٣)</sup> وإن رام دفعه أحسن رده ، حاضر الفصاحة  
مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ، وثاباً على الحجج ، مبرماً لما نقض خصمك ناقضاً لما أبرم .  
يُجبل الباطل في شخص الحق ، والحق في شخص الباطل ، متى رام احتجاجاً عنك ، ألد على  
أهل اللدد في مواقفه ومشاهدته ، محتالاً في محاورته ومكائده ، جامعاً مع هذا العلم الفرائض  
والسنن والأحكام والسير ، ليحتذى مثال من سلف فيما يورده ويصدره ، عالماً بأحوال الخراج  
والحسابات<sup>(٤)</sup> وسائر الأعمال ، ليناظر كلاً بحسب ما يراه من صوابه وخطائه . وليكن من  
أهل الشرف والبيوتات ، ذاهمة عالية ، فإنه لا بُدَّ مقتفٍ آثار أوليته ، محب<sup>(٥)</sup> لمناقبها ،  
مساوٍ لأهله فيها ، فمتى<sup>(٦)</sup> اجتمعت لك فيه هذه الخصال ، فاجعله من بطانتك ، وأطلعه

(١) رجل حول قلب : يقلب الأمور ويحتال الحيل (الأساس) وانظر الكمل للبرد (٢) :

(٧٨٥) ط . أوربية .

(٢) استقله : حمله

(٣) اعتلق الأمر بمعنى تعلقه (القاموس)

(٤) كذا في الأصل . ويرى الأستاذ كرد على أنها الحسابات .

(٥) في الأصل مكررة

(٦) في الأصل « محب »

طَلَعَ أَمْرُكَ<sup>(۱)</sup> خَطِيرِهِ وَحَقِيرِهِ ، وَاسْتَشْرَهَ فِي بَدَائِكَ<sup>(۲)</sup> لَطِيفِهَا وَجَلِيلِهَا . وَمَتَى أَخَلَّتْ بِهِ هَذِهِ الْخِلَالَ ، كَانَتْ جَنَائِتُهُ عَلَيْكَ أَعْظَمَ . وَكَانَ كَالسَّالِكِ طَرِيقًا (۷ ب) لَا يَدْرِي أَيْنَ يُوْتَمُّ مِنْهُ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ فِي السِّيَاسَةِ الْمَخْتَصِرَةِ : « وَأَنْ يَكُونَ الَّذِي تَخْتَارُهُ لِلتَّوَجُّهِ فِي الرِّسَالَةِ ، جَهْرَ الصَّوْتِ حَسَنَ الرُّوَاءِ وَالْمَنْظَرِ ، مَقْبُولَ الشَّمَائِلِ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، جَيِّدَ الْعِبَارَةِ ، حَافِظًا لِمَا يَتَبَلَّغُ لِيُوَدِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ . وَلَا يَمْنَعُهُ الصَّدَقَ عَنْ سُلْطَانِهِ رَغْبَةً يُقَدِّمُهَا فَيَمْنَعُ بِتَوَجُّهِهِ إِلَيْهِ ، وَلَا مَهَانَةً يَسْتَشْعِرُهَا فِي نَفْسِهِ ، وَتَقْدِيمَ النَّصِيحَةِ لِرَأْسِهِ<sup>(۳)</sup> . فَإِنَّهُ مَتَى لَمْ يَكُنِ الْمُسْتَكْفَى لِهَذَا الْعَمَلِ ، وَاسْتَعْمَلَ بَابًا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّمْوِيهِ ، فِيمَا يَخْتَلِفُ فِيهِ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ مَنْ يُرَاسِلُهُ وَيُشَافَهُ عَلَى لِسَانِهِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ عِدَا هَذِهِ الصِّفَةِ وَقَعَ فِي أَعْمَالِ السُّلْطَانِ بِذَلِكَ أَظْهَرُ خَلَلٌ وَأَعْظَمُ ضَرَرٌ . وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى السَّائِسِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَخْيِيرِهِ لِهَذَا الْعَمَلِ مَنْ يَصْلَحُ > لَهُ < وَيَسْتَقِيلَ بِهِ وَيُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَا يَحْتَمِلُ مَتَوَلِيَهُ عَلَى تَقْصِيرِ يَقَعُ مِنْهُ فَيَعْرِضُ أَمْرَ السُّلْطَانِ لَوْقُوعِ الْخِلَلِ وَالْإِنْتِشَارِ فِيهِ .

وَقَالَ غَيْرُ الْبَلْخِيِّ : « يَكُونُ الرَّسُولُ مَذْكَورًا ، وَسِيًّا قَسِيًّا ، لَا تَقْتَحِمُهُ الْعَيْنُ ، وَلَا يُزْدَرِي بِالْخَبْرَةِ ، عَفِيفًا جَيِّدَ اللِّسَانِ . حَسَنَ الْبَيَانِ ، حَادَّ الْبَصَرِ ، ذَكِيَّ الْقَلْبِ ، يَفْهَمُ الْإِيمَاءَ وَيُنَاطِرُ الْمُلُوكَ عَلَى السَّوَاءِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا نَطَقَ بِلِسَانِ مَرْسَلِهِ . فَإِذَا ذَكَرُوهُ عُرِفَ ، وَإِذَا نُظِرَ ( ٨ آ ) إِلَيْهِ لَمْ يُحْتَقَر . وَيَجِبُ أَنْ يُجَمَّلَ بِكُلِّ مَا أَمَكَّنَ الْوَافِدُ ؛ وَالْعَامَّةُ تَرْمِقُ الزِّيَّ أَكْثَرَ مِمَّا تَرْمِقُ الْكُفَايَةَ وَالسَّدَادَ . وَيَجِبُ أَنْ تَزَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . حَتَّى لَا تَشْرَهَ نَفْسُهُ إِلَى مَا يُبْذَلُ لَهُ وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الطَّمْعَ يَقْطَعُ الْحُجَّةَ . وَالرَّسُولُ أَمِينٌ لَا أَمِينَ عَلَيْهِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَهَنَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِفْضَالِ عَلَيْهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلرِّسَالَةِ حُدُودًا لَا يَتَّسِعُ تَعْدِيهَا ، وَحَقُوقًا يَلْزِمُ الْقِيَامَ بِهَا ، أَوْهًا إِثَارَ الصَّدَقِ ، وَتَعَمُّدَ النَّصِيحِ ، وَأَنْ يَصْدَعَ بِالرِّسَالَةِ ، وَلَهُ أَنْ يُدْمِجَ الْمَعْنَى الْغَلِيظَ مِنْهَا فِي الْأَلْفَاظِ اللَّيِّنَةِ ، وَأَنْ يَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا أَدَبَ رُسُلَهُ الْكِرَامِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَنْخَشِ ﴾<sup>(۴)</sup> .

(۱) يقال : أطلعتني طلع أمرى بالكسر أثنته سرى ( اللسان ) .

(۲) البداية : الأمر المبدع . ( القاموس ) . (۳) تقديم ، معطوف على الصدق .

(۴) سورة طه / ٤٤ .

وقال شاعر العرب :

لينوا لنا في القول إنا معشر نأبى مقادتنا على الإغلاظِ  
والله قد أمر النبي وصينوهُ<sup>(١)</sup> في وحيه بإلانة الألفاظِ

والرسول مع هذه الأمور محتاج من الإقدام والجرأة إلى مثل ما يحتاج إليه من الوقار والركانة<sup>(٢)</sup> ، لأنه ليس على كل الطبقات يشتد ، ولا لكلمها يلين . وربما لم يسغه إلا أن يصدع بالرسالة على ما فيها فمن لم يكن جريئاً حرفها ، وأخلّ بها وأفسد معانيها .

وحكى أصحاب السير فيما نقلوه ( ٨ ب ) من أخبار عبد الملك بن مروان أنه أرسل بعض أصحابه إلى الحجاج بن يوسف برسالة غليظة ، وحذره من تعديها أو إلانة ألفاظها ، فأدّاها وعاد إليه فقال له : أدّيت ما حملتك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : أما لو لم تفعل لضربت عنقك ! فقال : هذا عقاب المعصية فما ثواب الطاعة . . ؟ فأمر له بمجازة وُحْلان<sup>(٣)</sup>

(١) المراد موسى عليه السلم وأخاه هارون . (٢) ركن ككرم ركانة إذا سكن (القاموس) .  
(٣) الحُملان بالضم ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة . (القاموس) .

## الباب السابع

« أذكر فيه إذا لم يكن الرسولُ وقوراً ثابتَ العقل ، وورد من الأعداء »  
« على مَنْ يرعد ويبرق عليه ، ويجمع له عدده وعدده ، فأكثر »  
« الرسول التلفت أهان مرسله »

قال المؤلف : ومتى لم يكن الرسولُ وقوراً ، ثابت العقل شجاعاً ، وورد من الأعداء على مَنْ يرعد ويبرق عليه ، ويجمع له عدده وعدده ، فأكثر الرسولُ التلفت إلى ذلك ، ضَعَفَ مرسله وَوَهَنَهُ ، وأوهم المرسلَ إليه أن صاحبه دون قوته ومنعته .  
وأورد أصحابُ السِّير أن رسولاً لبعض ملوك الفرس<sup>(١)</sup> ورد على هشام بن عبد الملك . وقد كان أعداه وحشده ، فلم يزد الرسول على الإطراق وترك التلفت والنظر أمامه ، ولم يُعْرِ شيئاً مما أعداه له . فقبل له في ذلك . فقال : « إن عيني وقلبي مملوءان مما خلفته ورأيتي ، يَشْفَلُهُمَا عَظِيمٌ ما عندنا عن صغير ما عندكم ! » ، فوقع قوله إلى هشام ، فقال : « < قاتل > الله العليج ! إن صاحبه ( آ ٩ ) كان أعلم به إذ توخاه لرسالته » .  
وجاء في الخبر عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أُبْرِدْتُمْ<sup>(٢)</sup> إلى بريداً فليكن حسنَ الوجه حسنَ الاسم<sup>(٣)</sup> » .  
وقالت الحكماء : « ثلاثة تدل على ثلاثة : الهدية على المهدي ، والكتاب على الكاتب . والرسولُ على المرسل<sup>(٤)</sup> » .

(١) كذا في الأصل . ولعلها « الروم »

(٢) أبرد البريد أرسل به . انظر معنى البريد في : صبح الأعشى ( ٣٦٦/١٤ ) ، نقد الطالب لزغل المناصب لابن طولون ( مخطوط في خزانة المجمع العلمي بدمشق ) ورقة ٣١ آ . معبد النعم للسبكي ( ليدن - ٤٦ ) ، شفاء الغليل ( ص ٣٩ ) مفاتيح العلوم ( ص ٤٢ ) . وهارتمن في دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) حديث حسن ( الجامع الصغير ) .

(٤) في البيان والتبيين للجاحظ ( ٢ : ٨١ ) : « وكان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه ، والرسول على مقدار عقل مرسله ، والهدية على مقدار مهديها » وانظر العقد الفريد ( ٢ : ٢٥١ ) طبعة اللجنة .

وقالوا : رسولُ الرجلِ مكانَ رأيه ، وكتابه مكانَ عقله .

وقال الشاعر :

تخيّر رسولك إن الرسول يدك على عقل من أرسله  
تراه إذا كان ذا حكمة يُبلغ أحسن ما حمّله  
فيهم مُنتقِضات الأمور ويفتح أبوابها المقفلة  
ويرجع إن كان ذا غرّة<sup>(۱)</sup> عليه الأمور التي هُنَّ له

وقيل لعبد الله بن العباس رضوان الله عليه : « ما منع عليّاً رضى الله عنه ، أن يُرسلك  
يوم الحكيمين .. ؟ » ، فقال : « منعه والله ، حاجزُ القدرِ ونحنةُ الابتلاء . والله لو وجهنى  
لجلستُ في مدارج أنفاسه ، ناقضاً لما أبرم ، ومُبرماً لما نقض ، أسف<sup>(۲)</sup> إذا طار ، وأطير  
إذا أسف ، ولكن مضى قدر ، وبقى أسف ، والآخرة خيرٌ لأُمير المؤمنين . . . » .

ع

(۲) يقال أسف الطائر إذا هبط ولم يقع (اللسان)

(۱) الغرة : النفلة

## الباب الثامن

« في أن الرسول إذا لم يكن متأنياً صبوراً ، سالماً من العُلُق<sup>(١)</sup> ، وكان »  
« متلفتاً إلى ما خلفه من أهله وماله ، كان سعيه فيما على مرسله ، لاله »  
« أو عاد على يديه بأمر لم يفصله ، ورأى لم يبرمه . ( ٩ ب ) »

ويحتاج الرسول من الحلم وكظم الغيظ ما يحتاج إليه من الصبر على طول المكث وتراخي المقام . فإن الرسول رُبما وُجّه إلى سخيّف ودُفِع إلى طائش ، فبدرت إليه منه الكلمة البذيئة ، فيلحقه من سورة<sup>(٢)</sup> الغضب ، ويتملك عليه من سلطان الغيظ ما يتخون عزمه ورأيه . ويقطعه عن استيفاء حُججه وإيفاء كلِّ ما في رسالته . وهو مع الحلم والكظم أخلق بالنجاح وبلوغ الأراد . وإذا لم يكن متأنياً صبوراً ، مكيناً من عتله ، فمُنَى بالملك الحازم ، المحمّر لرأيه ، المراجع لنفسه ، الذي<sup>(٣)</sup> لا يُمضى إلاّ الرأي المتعقّب المنقّح ، لم يخلُ الرسول من أن يهجم به العُلُق<sup>(٤)</sup> والعجلة على إحدى خلتين لا ثالث لهما : إما أن ينقاد إلى مؤاتاة من أُرسِل إليه على ما أتى له فيه الحظّ ، وعلى مرسله الغبن ، حرصاً على سرعة الكثرة وتعجّل الأوبة ، وإما أن يعود بأمر لم ينفصل ، ورأى لم ينبرم<sup>(٥)</sup> ، فيرجع كما بدأ .

(١) العلق : كذا في الأصل . وهي ، كصرد ، العلائق والأشغال ( القاموس ) وقد تكون العلق أو القلق .

(٢) في الأصل : « صورة » وسورة الغضب وثوبه ( القاموس ) .

(٣) في الأصل مكررة

(٤) العلق = الضجر وضيق الصدر وقلة الصبر . انظر الكامل للبرد ( ١ : ١٠ ) . وهي في

الأصل القلق وما أثبتناه أحكم وأوسع .

(٥) يقال : أبرمت العقد أحكمته فانبرم ( المصباح ) .

ومن أمثالهم : « رب عجلة تهب ريثاً » . على أن الأول قد قال : وللريث في بعض  
الأحايين أسرع » .

وقال بعض الشعراء :

وأول ما يكون الغيث طلاً ويكثر ودقه فيصير غيثاً

وقال الآخر :

وما راح محروم ولا راث مُنْجِحُ (١٠٠)

## الباب التاسع

« في مَنْ دُفِعَ من رُسُلِ الملوكِ إلى أن حَمَلَهُ ملكُهُ إلى ملكِ آخر »  
« رسالة غليظة وأمره أن يؤديها على وجهها ، وحَظَرَ عليه أن يغيرها »  
« عن (١) هيئتها ، أو تحريف شيء من معناها ولفظها ، والوجه الذي به »  
« احتال ، حتى أدى الرسالة وسَلِمَ من مَعَرَّة (٢) الملك المرسل إليه »  
« وعاد بحمد منه وقد نصح لمن أرسله وأدى مقالته »

ورد في سيرة الفرس أن أحد ملوكهم أنفذ إلى بعض الملوك المجاورين له رسالة مع بعض من اختر (٣) ثقته وعرف صدق لهجته وأمانته . وكانت غليظة ، وحَظَرَ عليه أن يغيرها عن هيئتها أو يحرف شيئاً من معناها ولفظها ، وحدَّره من تجاوز ما رسم له من ذلك . فأدى إلى الملك المرسل إليه منها ما أحفظه وأغاظه . فقال الملكُ للرسول : « إن صاحبك لم يَجِبْهني بهذه المقالة ، وأنت المجترئ بها عليّ ، والمالئ منها سمعي وقلبي ، وما شفاء غيظي ، وما تسكين حفيظتي إلا المبالغة في عقابك » . فقال له الرسول : « هوّن عليك أيّها الملك ! فإن لكل مقال جواباً — وإن قبُح — أدبته على حاله » . قال له الملك : « هيات ! إنك تتوجه إلى مَنْ تجلّه عن سماع ما يسوؤه وتلقّيه بما يُحفظه » . فقال الرسول : « إن من العجب أن ألقاك بمقالته وآمنُ بادرتك ، ونيتي عليك ، ثم ألقاه بكلامك فلا أثق بحلمه ونيتي معه .. ! » . فأذهب بهذا القول حفيظته (٤) وسَلَّ سخيمته (٥) ، وقال : « مثلك من يُرسل بين الملوك ، فالرسولُ مُبلِّغ غير مَلموم » .

(٢) المعرّة الأذى (القاموس)

(٤) الحفيظة الحمية والفضب

(١) في الأصل « من »

(٣) في الأصل « اختار »

(٥) السخيمة المقد



## الباب العاشر

« في أن وهن الرسول عائد على مَنْ أرسله ، و < كذلك > اختلاله »  
« وضعفه . وأن الرسول إذا كان تاماً ذا بيان ورُواء ، فما فيه من فضل »  
« عائد على من أرسله ، ومنسوب إليه » . ( ١٠ ب )

ومتى كان الرسول دون مرسله في رأى وعقل ورُواء ونُبل ظُنَّ بمرسله أكثر من  
اختلاله . ومتى كان أتمَّ منه وأزِيدَ في هذه الأحوال ، ظُنَّ بمرسله فوق ذلك من التمام .  
فَعَوَّارٌ<sup>(١)</sup> الرسول يَعْرِى<sup>(٢)</sup> المرسل ، وإن كان فاضلاً ، واختلالُ المرسل لا يعر الرسول إذا  
كان كاملاً . ويحتاج الرسول من التصوّن والنزاهة إلى ما يحتاج إليه من ترك الإفراط في  
الانقباض والحشمة حتى لا يكون غَرَضُهُ فيما يُعرضُ عليه من عظيم البر ، بَيْعَ دينه ولا  
خيانةَ مرسله ولا بيع أمانته . ولا يأبى من يسيره ولطيفه ما يوجب قبوله الأُنس . ويوقَعُ  
الامتناع منه النَّفَارَ والوحشة .

(١) العوار بالفتح العيب والحرق ( القاموس )  
(٢) يعر من المرة وهى العيب والشين ( اللسان )

## الباب الحادي عشر

« في الرسول المحروم ، وما ورد فيه من < آيات > كتاب الله عزَّ »  
« وجل ، وكلام البلغاء والشعراء والحكماء » .

وقد ذمَّ الله سبحانه الرسول المحروم الذي < لا > تنجح على يديه الأمور ، وإن كان العسر واليسر جارئين بمقاديره ، جَلَّ وعلا ، فقد قال عزَّ وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُوَ كَلٌّ<sup>(١)</sup> عَلَى مَوْلَاهُ ، أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ . . . ﴿<sup>(٢)</sup>

ويُستحب من الرسول أن يُشعر نفسه النجاح ، ويُمكن في قلبه الظفر ، فيتلقى الأمور بنشاط القدرة ، ويُباشرها بعلوِّ الهمة . لا كالمضعوف<sup>(٣)</sup> الذي يُبَعِّدُ على نفسه الأمور وَيُشْعِرُهَا اليأس ( ١١ آ ) لِيَضَعَ عنها مَوْنَةَ السعي ويكفيها الأعمال < و > الاحتيال والدأب في بلوغ الآمال ، كما قال بعض الشعراء .

قَلَّ مَا يَنْجَحُ الرَّسُولُ  
وَأَرَى الْيَأْسَ نَفْسَهُ  
إِنَّمَا الْمُنْجَحُ الْمَمَكُّ  
الَّذِي يَرْكَبُ الْعَسْرَ  
لُ إِذَا اسْتَشَعَرَ الْخَوَرَ  
قَبْلَ أَنْ يَبْلُوَ الْخَبَرَ  
نُ فِي نَفْسِهِ الظَّفَرَ  
يَرَى عَلَى أَنَّهُ يَسَرَ<sup>(٤)</sup>

وقال بعض الشعراء :

وَكُنْتُ إِذَا بَعَثْتُ بِهِ رَسُولًا  
وَأَنْسَانِي وَمَا وَجَّهْتُ فِيهِ  
وَيَرْجِعُ - لَا رَعَانِي اللَّهُ - فِيهِ  
يَرُدُّ بِرَأْسِهِ أَبْدًا جَوَابِي  
بداني قبل أن يمضي بيأسٍ  
على أنني ذكورٌ غيرُ ناسٍ  
إلى بخيبة بعد احتباسٍ  
أرانيه<sup>(٥)</sup> الإله بغير راسٍ

(٢) سورة النحل / ١٧٦

(١) الكَلُّ الثقل

(٣) طمست الضاد في الأصل . والمضعوف هو المضعف على غير القياس ( القاموس )

(٤) اليَسْرُ محرّكة السهل ( القاموس ) (٥) في الأصل «أرانيه إله» ولا يستقيم الوزن به .

## الباب الثاني عشر

« أذكر فيه لم استحب في الرسول إسراف القَدَّ وعبالة الجسم »  
« وما احتج به من كان قبيهاً<sup>(١)</sup> من الرسل ومن كان عبلاً »

ويُستحب في الرسول تمام القَدَّ وعبالة الجسم<sup>(٢)</sup>، حتى لا يكون قبيهاً<sup>(٣)</sup> ولا ضئيلاً. وإن كان المرء بأصفره، ومخبوءاً تحت لسانه؟ ولكن الصورة تسبق اللسان، والجنان يستر الجنان (١١ ب) ولذلك ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « يؤذن لكم، فيقدم أحسنكم اسماً، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجهاً، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم... وكانت أعين الملوك تسبق إلى ذوى الرُءاء من الرسل؛ وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا ينقص اختيارها حظاً من حظوظ الكمال؛ ولأنها تُنفذُ واحداً إلى أمة، وفذاً إلى جماعة، وشخصاً إلى شخوص كثيرة. فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسياً جسيماً يملأ العيون المتشوفة<sup>(٤)</sup> إليه فلا تقتحمه، ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره.

وجاء في التاريخ أن الشعبي لما دخل على عبد الملك بن مروان برسالة الحجاج اقتحمه ناظره واستصغره قبل أن يمتحن ما وراء ذلك من عقله وبيانه وفضله وحكمته. فقال: « إنك لدميم يا شعبي! » فاحتاج الشعبي إلى تمحل<sup>(٥)</sup> العذر وإطاف الجواب، فقال: « زوحت في الرحم يا أمير المؤمنين »<sup>(٦)</sup>.

ولما أوفد بعض الملوك رسوله إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان وسياً جسيماً يملأ العين، فأحب معاوية عيبه، فقال: « ما هذه القدماء<sup>(٧)</sup> فيكم...؟ »، فقال الرسول: « عنوان نعم الله عندنا! ». فكان هذا الجواب غاية في الإحسان والتداد، لأنه اعتد

(١) قوفاً، وفقاً إذا ذل وصفر في الأعين وهو قبيهاً كأمير وقبي (الأساس).  
(٢) العبالة الضخامة وامتلاء الجسم، والعبال المتلى الجسم. (٣) في الأصل « قبيها ». (٤) تشوف من السطح: تطاول ونظر وأشرف (القاموس). (٥) تمحل احتال.  
(٦) انظر ما دار بين عبد الملك والشعبي من حديث في العقد الفريد (١: ١٩٨) وفي الشذرات (١: ١٢٧): « قيل له: ما لنا نراك ضئيلاً، قال: إنى زوحت في الرحم ». (٧) القدماء الغلظ والجفاء.

العبالة مؤهبة ، وكان جواب الشعبي تمحلاً لأنه علم أن ( ١٢ آ ) الدمامة عيبٌ ونقيصة .  
وقد قال شاعر العرب :

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ <sup>(١)</sup> ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طَوَاهَا  
فَكَأَنَّ الْمَلُوكَ أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَجْمَعَ هَذِهِ الْفَضَائِلَ عَلَى مَرَاتِبِهَا فِي رُسُلِهَا فَيَكُونُ الرَّسُولُ  
جَسَنَ الْأَسْمِ وَالْخَلْقَ وَالْبَيَانَ .

وتقول الرواة : ما نعرف رسولاً أطف ، ولا كتاباً أوجز ، من هُذِّهْدُ سُلَيْمَانَ وَكُتَابِهِ .  
وهو قوله عز وجل ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى  
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وعيبَ بعضِ الرسل بالقصر والدمامة ، وكان أديباً ، فطناً ، فأنشد بديهاً :  
عقلُ الرسولِ وبسطةٌ في رأيه      خيرٌ له من نُبْلِهِ وبهائه  
فإذا أخلَّ بذى الترشُّلِ رأيه      لم يُغْنِهْ عنه جميلُ رِوَاثِهِ  
ماضراً هدهدَ آلِ داودَ مع ال      إنجاحِ ظاهرٍ قبحه وقمائه  
فمضى وعاد إلى النبيِّ مبشراً      بالنصحِ في إيداعه وأدائه

(١) في الأصل « القماء » .

(٢) سورة النمل / ٣١ .

## الباب الثالث عشر

« أذكر فيه ما كانت تعمل عليه الفرس إذا آثرت أن تتخذ من رعاياها »  
« مَنْ تَدْبِهَ لِلرِّسَالَةِ وَالسِّفَارَةِ ، وَالْمَحْنَةَ الَّتِي تَمْتَحِنُهُ بِهَا ، فَإِذَا صَحَّ عَلَى »  
« الْإِبْتِلَاءِ وَالخَبْرَةِ ، حِينَئِذٍ تَتَّخِذُهُ رَسُولًا »

قال الحكيم : رسولك ترجمان عقلك

من كتاب « أخلاق الملوك »<sup>(١)</sup> ( ١٢ ب )

« وليكن الرسول صحيحَ الفطرة<sup>(٢)</sup> والمزاج ، ذا بيان وعبارة ، بصيراً<sup>(٣)</sup> بمخارج الكلام ووجوهه<sup>(٤)</sup> ، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها ، صدوقاً للهجة ، لا يميلُ إلى طمع<sup>(٥)</sup> ، حافظاً لما حُمِّلَ ، وعلى الملك أن يمتحن رسوله محنة طويلة قبل أن يجعله رسولاً .  
ما كانت تعمل عليه ملوك الفرس في المحنة .

« إذا آثرت أن تتخذ من رعاياها مَنْ تجعله رسولاً [ إلى بعض ملوك الأرض ]<sup>(٦)</sup> كانت تمتحنه محنةً طويلة . فأول ما تبتدئُ به من محنته أن توجهه رسولاً إلى بعض خاصة الملك و [ مَنْ ]<sup>(٧)</sup> في قرار داره ، في<sup>(٨)</sup> رسائلها . ثم تُقدِّمُ عيناً لها عليه يحفظ رسالته<sup>(٩)</sup> ويكتبها على نصِّ كلامه ومعانيه . فإذا رجع الرسول بالرسالة وجاء العينُ بما كتب من ألفاظه ، قابل بها الملك ألفاظ الرسول ، فإن اتفقت ، أو اتفقت معانيها عرف بها الملك صحة عقله وصدق لهجته . ثم جعله الملك رسولاً إلى عدوِّه ، وجعل عليه عيناً يحفظ ألفاظه ويكتبها ، ثم يرفعها

(١) انظر كتاب « التاج في أخلاق الملوك » المنسوب للجاحظ ص ١٢١ .

(٢) في صبح الأعشى ( ١ : ١١٦ ) : « الفكرة » .

(٣) في الأصل « وبصيراً » .

(٤) في التاج « بمخارج الكلام وأجوبته » وكذا في صبح الأعشى ( ١ : ١١٦ ) .

(٥) في التاج « لا يميل إلى طمع ولا طبع » والطبع الشين والعيب .

(٦) الزيادة من التاج ( ص ١٢٢ ) .

(٧) في الأصل « وفي رسائلها » .

(٨) في التاج : « من يحضر رسالته » .

إلى الملك . فإن اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك ، علم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ، ولم يتزايد للعداوة التي بينهما . فإذا صحَّح على الابتلاء والخبرة جعله الملك رسولاً إلى ملوك الأمم المخالفة<sup>(١)</sup> له ووثق به . ثم (آ ١٣) كان من الملك الموجه به أن<sup>(٢)</sup> يقيم خبره مقام الحجّة<sup>(٣)</sup> .

من آيين الفرس<sup>(٤)</sup> .

كان من سنتهم أن الملك إذا أرسل رسولاً جليلاً ذا مرتبة شاهرة<sup>(٥)</sup> ومنزلة عامرة ، إلى رجل صغير المنزلة غامض المرتبة برسالة ، أن يكون المرسل متذلاً لمن أرسل إليه ، وجالساً بين يديه ، وموفياً له حق الرياسة عليه ، حتى يتم ذلك الأمر ، ثم بعد ذلك يعود كل واحد منهما إلى منزله .

من « السياسة العامة »<sup>(٦)</sup>

”واعلم يا اسكندر أن الفرس أصحاب قال ، فاستعمله معهم ، فإنه باب من تجريد البخت<sup>(٧)</sup> فإذا أرسلت إليهم رسولاً فلا ترسله سليم العين اليمنى ، فإنهم يتطيطرون به ؛ وذلك لأنهم يقولون إنها للشمس . وإذا دخل رسولك عليهم فليأخذ ما أمكنه ولا يدفع إليهم شيئاً . ومُرّه ألا يحك رأسه ولا يشير بيده إليهم ، فإذا قعد فلا يقعد بأمرهم في المرة الأولى ، فإنهم يفتنون ويتقونك بسببه . وليرد عليهم رسولك في كل ما يقولون : لا ، إلا أن يكون أمراً بيناً . فإن سأله عن خاصة الملك قال : كما يحب أن يكون صديقه ، وهو على خلاف ما يريد أعداؤه<sup>(٨)</sup> . وإذا انصرف فلا يكتر التلفت إلى بلادهم ، فإنهم يكرهون ذلك . ولا يتناول

(١) في الأصل « المخالفة » . (٢) في الأصل « لا يقيم » ولا يستقيم المعنى بها .

(٣) ورد هذا النص في صبح الأعشى بألفاظ مخالفة . (١ : ١١٦) .

(٤) في شفاء الغليل (ص ١٦) « آيين بمعنى العادة . أعجمى عربيه المولدون » قلت : ولابن المقفع كتاب اسمه « الآيين » نقل عنه ابن قتيبة في عيون الأخبار نقولاً كثيرة . واستعمل الجاحظ هذه الكلمة في البيان والتبيين ، كثيراً .

(٥) كذا في الأصل ، ولعلها بمعنى مشهورة .

(٦) في الأصل « العامة » . انظر التعريف بهذا الكتاب في ملحق فهرست الكتب في هذا الكتاب

(٧) تجريد أى إخراج ، والبخت الحظ (شفاء الغليل ٣٦) .

(٨) في الأصل « ما يريدون أعلاوه » .

من داخل مدينتهم ولا من خارجها (١٣ ب) ولا من أنهارها شيئاً<sup>(١)</sup> . فإنهم يكرهون ذلك ويتطهرون به .

قال حكيم العرب : بالرسول يُعتَبَرُ المرسل .

ومن وصية المهلب بن أبي صفرة ليزيد ولده : « وليكن الرسول بيني وبينك من يعقل عنى وعنك . وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه . فإن كتاب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع رأيه .

---

(١) في الأصل « شئ » .

## الباب الرابع عشر

« في النهي عن إرسال الرسل ، وَمَنْ جَرَى عَلَيْهِ خَلَلٌ مِنَ الْمُلُوكِ فِي »  
« تذييره <sup>(١)</sup> لأجل كذب الرسول ، وما جوزى به من خان في رسالته ، »  
« والتحذير من الاستنامة <sup>(٢)</sup> إلى الرسل ، وما كانت الفرس تعمله من »  
« الاحتياط على الرسل ليصح لهم الخبر المورَد عليهم ، إذ الأخبار »  
« مظان الصدق والكذب »

قال الحكيم : إذا كذب السفير بطل التديير .

من « السياسة الخاصة » :

« أقلل الرسل يا اسكندر إلى الملوك ، فإن الآفات منهم كثيرة . وإذا أرسلت رسولا  
فاختبر ذكاه وفهمه . واحذر أن يكون سريعا أو كثير الكلام أو مُعْجَبًا أو ممن يحب  
شرب النبيذ . وأرسله إن قدرت جاهلا بخبرك لم يُقِم في جوارك إلا يسيرا ، وغير خابر بما  
يجرى عليه تديرك ولا قائم مُلْكِكَ . وراقبه <sup>(٣)</sup> ، ومُرّه ألا يقطع كلام من يُحدِّثه ،  
فإنها خصلة لا تكون في أديب . وأرهبه من مجاوزة ما تأمره به ، ومُرّه ألا يشرب نبيذاً ؛  
فإن الفرس يمتثلون للرسل بالتحاب ويستخرجون بهن مخايل صدورهم . »

من حكمة الفرس :

كان أردشير بن بابك ( ١٤ آ ) يقول : « كم من دم سفكه الرسول بغير  
حِلَّةٍ و <sup>(٤)</sup> [ من ] <sup>(٤)</sup> كم [ من ] <sup>(٤)</sup> جيوش قد هلكت ، وعساكر قد انتهكت ، ومال قد اتُهب ،  
وعهد قد نُقضَ بخيانة الرسول <sup>(٥)</sup> [ وأكاذيبه ، وحق على الملك إذا وجّه رسولا ] <sup>(٤)</sup> إلى  
ملك آخر أن يردفه بأخر ، وإن وجّه رسولين أتبعهما باثنين . وإن أمكنه ألا يجمع بين  
رسولين في طريق لثلا يتلاقيا فيها ولا يتعارفا فيتواطأ <sup>(٦)</sup> على قولٍ فليفعل . ثم عليه إذا

(١) في الأصل « تذييره » . (٢) نام إليه سكن واطمان كاستنام ( القاموس ) .

(٣) في الأصل « وراقبه » . (٤) الزيادة التي بين القوسين من إلناج ( ص ١٢٢ ) .

(٥) في المحاسن والمساوي للبيهقي ص ١٦٩ « بجناية » .

(٦) في الأصل « لثلا يتلاقيان ولا يتعارفان فيتواطآن » .



أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر ألا يُحدث في ذلك شيئاً [ خيراً أو شراً ]<sup>(١)</sup> حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكى في كتابه إليه كتابه الأول حرفاً بحرف . ومعنى معنى . فإن الرسول ربما حُرِمَ بعض ما أمثل فافتعل الكتب وحرش<sup>(٢)</sup> المرسل [ على المرسل إليه ]<sup>(١)</sup> ، فأغراه [ به ]<sup>(١)</sup> وكذب عليه<sup>(٣)</sup> .

من سيرة الاسكندر :

ذُكر أنه وَجَّه رسولاً إلى بعض الملوك فجاءه برسالة على الصواب شك في حرف منها إذ هو ناقض لجميعها . فقال الاسكندر للرسول : ويلك إن الملوك لا تخلو من مقوم<sup>(٤)</sup> [ إذا مالت ]<sup>(٥)</sup> ومسدد إذا كتبت ، وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ جيدة المعاني ، واضحة العبارة ، فيها حرف ينقضها ، أفعلني يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل أنا على يقين منه ! . قال : فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفاً حرفاً ، وتعاد إلى الملك مع رسول ثانٍ ، فتقرأ عليه وتترجم له . قال : فلما قرئ عليه الكتاب ومر به الحرف الذي أنكره ( ١٤ ب ) الاسكندر أنكره الملك . ثم أمر المترجم له فقال : ضع يدي على هذا الحرف ، فوضعها ، فأمر أن يُقطع ذلك الحرف بسكين ، فقطع من الكتاب ، وكتب إلى الاسكندر : « رأسُ الملكة [صححة]<sup>(٦)</sup> فكرة<sup>(٧)</sup> الملك ، ورأسُ الملك صححة لهجة الرسول . إذ كان الرسول عن لسان الملك ينطق ، وإلى أذنه يؤدي ، وقد قطعت ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان الكاذب سبيلاً » .

فلما جاء الرسول بهذا الكتاب إلى الاسكندر دعا الرسول الأول ، فقال له : « ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكي<sup>(٨)</sup> ؟ » ، فأقر الرسول أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الوجه إليه . فقال الاسكندر : « فأراك سعيت لنفسك لا لنا ، فلما فاتك

(١) الزيادة التي بين القوسين من التاج .

(٢) في الأصل « خرص » وقد تكون حرص كما في التاج . وحرش أغمرى .

(٣) أورد الفلغشندي ( ١ : ٧٣ ) هذه الجملة بألفاظ مخالفة . وأورد هذه الحكاية صاحب المحاسن

والساوي ( ١٦٨ - ١٦٩ ) ، وصاحب تنبيه الملوك والمكابد ( ص ٨٩ - مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ) .

(٤) في الأصل « من مهوم » والتصحيح عن التاج .

(٥) ( ٦٥ ) الزيادة من التاج . ( ٧ ) في التاج « فطرة » .

(٨) في التاج : « فساد ملكين » وفي صبح الأعشى ( ١ : ١١٨ ) « ما بين ملكين » .

بعض ما أملت جعلت ناراً<sup>(١)</sup> في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! « فأمر بنزع لسانه من قفاه<sup>(٢)</sup> .  
قالت الهند : إذا أرسلت رسولاً إلى الملك ، فليكن فصيحاً بلُفتك ولفته ، فإن لم تجده  
على ما تؤثره في لفته ، فليكن فصيحاً في لُفتك ذا بيان وعارضة ولسان . قد سلم من عُنْجُهِيَّةِ  
الصَّبِي ، وأحكمته التجارب ، وحلبَ الدهرَ أشطُرَه<sup>(٣)</sup> ، وكان أحد رجلين : إما رجل  
يعتقد الفوز في الآخرة بنصيحتك ، ويقيمك إماماً ياتمُّ بك ، ويجعلك طريقه إلى الله  
تعالى ، أو ذا عقلٍ ( ١٥ آ ) وصدقٍ وذليلٍ من عيالٍ وأهل ، يلتفت إليهم وتطلبه نفسه  
بالرجوع والعودة ، ولا يجترم عليك جرماً يعلم أنهم مأخوذون به ومطالبون بسببه ومعاقبون عليه .

---

(١) كذا في الأصل . وفي المحاسن والساوى\* ( ص ١٦٩ ) « ثاراً » .  
(٢) وردت هذه القصة في كتاب « محاسن الملوك » ( مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ص ٦١ )  
بألفاظ متقاربة . ووردت في كتاب « التبر المسبوك في نصيحة الملوك » للغزالي ص ٧٤ بألفاظ مختلفة .  
(٣) أي خبر ضروره ، وصر به خيره وشره وشدته : رخاؤه ( اللسان ) .

## الباب الخامس عشر

« فيما كانت قريش تعمل به إذا أرادت أن ترسل رسولا إلى الملوك »  
« وما كانت توغر به إلى الرسول وهي في جاهليتها »

روى<sup>(١)</sup> الواقدي أن قريشاً في الجاهلية كانت إذا أرسلت رسولا إلى بعض الملوك قالت له : « احفظ شيئاً : انتهز الفريضة ، فإنها خلصة ، وبيت<sup>(٢)</sup> عند رأس الأمر لا ذنبه . وإيتاك وشفيعا مهينا [ فإنه أضعف وسيلة ]<sup>(٣)</sup> وإيتاك والعجز فإنه أوطأ<sup>(٤)</sup> مَرَكَب . وعليك بالصبر فإنه سبب الظفر . ولا نخض الغمر حتى تعرف القدر<sup>(٥)</sup> . »

فإذا توجه للمسير قالت : « اللهم قَوِّ ضَعْفَتَهُ ، واحرس غفلته ، وشُدِّ مَنَّتَهُ<sup>(٦)</sup> ، اللهم أطو عنه ( ١٥ ب ) غول الأرض وهو لها ، وحببه إلى أصحابه ، واحمله على ركابه<sup>(٧)</sup> ، وسلم له عَصَبَهَا وقَصَبَهَا ، وادراً عنه وعنهما الأعراض والأمراض ، حتى تؤديه سالماً إلى سالمين . »

من وصية الاسكندر

« يا إسكندر ، إيتاك أن تستعين بمعين مهين ، فيضع من قدرك ويسوء ذكرك . »

من كتاب كلية ودمنة

« يُعتبر عقل المرسل<sup>(٨)</sup> برأى رسوله ونفاذه ، فمن كان شأنه اللين والمواتاة أنجح في رسالته . والرسول يُلين القلب إذا رفق ، ويخشن [ الصدر ]<sup>(٩)</sup> إذا خرق<sup>(١٠)</sup> . »

( ١ ) كان هذا الباب في الأصل مدرجاً تحت عنوان الباب السادس عشر . وههنا مكانه فرددناه إليه

( ٢ ) في العقد الفريد ( ١ : ٥٣ ) : « وتبت . »

( ٣ ) الزيادة من العقد . ( ٤ ) في العقد « أذل »

( ٥ ) القدر مبلغ الشيء ، وقد تكون الفور . ( ٦ ) المنة القوة

( ٧ ) الركاب ككتاب الإبل ، واحديثها راحة . ( ٨ ) في الأصل « الرسول »

( ٩ ) الزيادة من كلية ودمنة ( ٢ : ٢٣٧ )

( ١٠ ) والذي في كلية ودمنة : « . . . واعلم أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل

المرسل . فعليك باللين والرفق والحلم والتأني ؛ فإن الرسول هو الذي يلين الصدر إذا رفق ، ويخشن الصدر إذا خرق » ( اليوم والغربان — مثل الأرنب وملك القبيلة ٢ : ٢٣٧ ) .

## الباب السادس عشر

« في احتراس الرسول لنفسه إذا سَفَرَ أو ترَسَّلَ بين ملكين وهما على »  
« حرب أو منازلة »

من (١) حكمة العرب :

قال أكرم بن صيفي في وصيته لولده لما بعثه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغه  
مبعثه : « لا تُحَدِّثَنَّ أمراً دوني ، فإن الرسول إذا أحدث الأمر من عنده خرج من يدي  
الذي أرسله ، واحتفظ بما يقول لك إذا ردك ، فإنك إن توهمت أو نسيت أفسدت رسالتك  
وجشمتني رسولا غيرك » .

من حكم يونان :

قيل لافلاطون الحكيم : « أي الرسل أنجح ؟ » قال : « الذي له جمال وعقل ! » .

(١) كان هذا الباب في الأصل مدرجاً تحت عنوان الباب الخامس عشر .

## الباب السابع عشر

« في النهى عن مفاتيحة رسل الملك بحضرة الملأ من الناس ، والمنع من  
« جداهم وأن لا يُمكنوا إلا من أداء الرسالة وتحمل الجواب »<sup>(١)</sup>

من السياسة العامة<sup>(٢)</sup> :

« لا تُفأتح يا اسكندر رُسلَ الملوك إليك ، ولا تَبسُطهم إلى مساءلتك بكثرة استخبارك ،  
وحسبُ الرسول إيصالُ ما معه من كتابٍ أو رسالة . واعلم يا اسكندر أنك إن أُلزمتَ  
الرسول الحُجَّةَ لم يكن في ذلك فخر ، وإن أُلزمتَ خصمك ذلك عابك<sup>(٣)</sup> . »

(١) كان هنا الباب مدرجاً تحت عنوان الباب الثامن عشر ، وههنا مكانه .

(٢) في الأصل « العامه » .

(٣) في الأصل « وعابك » ولعلها كان قبلها حرف سقط .

## الباب الثامن عشر

« أذكر فيه مَنْ زان مرسله بعبارته ، ورفع من ملكه بيانه وسفارته »

قال (١) : إذا أنفذك ملك في رسالة إلى ملك آخر أو عدو له فاستمع ما يكتبه ، وصِرْ إلى الملك فاعرضه عليه ، فإذا رضيه ، سألته أن يوقع عليه بخطه « هذه رسالتي » . و < إذا > صِرْتَ إلى الملك الآخر . فاعرض عليه الرسالة من غير أن تُظهِره (٢) على أن عندك ذلك الرسم . فإذا أجابك حفظت ما أجابك ، ثم أثبت رسالة الملك الأول ، وجواب الملك الثاني في رسم ، ثم اعرضه على الملك الثاني . فإذا رضيه سألته أن يوقع فيه بخطه : « هكذا أدى إلى الرسالة ، وهذا جوابي عنها » فإنه ربما اصطُح (٣) الملكان ، وتناكرا (١٦ آ) ألفاظا تقع الإحالة فيها عليك فيكون ذلك سبباً لعظيم الإثارة .

من (٤) كتاب « تصفية الأذهان » .

حكى الفضل بن مروان (٥) وزير المعتصم قال : كانت الرسل من جهة الملوك إذا جاءت بالهدايا جعل اختلافهم إلى . فتكون المؤامرات فيما يجرى معهم من ديواني ، فكنت أسأل الرسل عن سيرة ملوكهم وأخبار عظماهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكه ، فقال : « بذل عُرْفه (٦) ، وجرّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب مِقَّةً ورغبة (٧) . لا يعسفُ جُنْدَه (٨) ولا يُخْرِجُ رِعِيَّتَه . سهلُ النَّوَالِ ، حَزَنُ النِّكَالِ . الرجاء والخوف معقودان في يده » . قلت (٩) : فكيف حكمه ؟ قال : يردّ الظلم ويردع الظالم ، ويُعطى كل ذي حق حقه ، فالرعيّة

(١) كان هذا الباب مدرجاً تحت عنوان الباب السابع عشر ، وهما لا يتوافقان . وما في هذا الباب عدا الفقرة الأولى منه يدل على أن ههنا مكانه .

(٢) في الأصل « تظهر » (٣) في الأصل « ربما اصطلحا الملكان » .

(٤) في هامش الأصل « الباب التاسع عشر » وأرى أنها مقعمة ، وأن الكلام صلة الباب الثامن عشر لموافقته عنوانه ، ومخالفته ما في الباب التاسع عشر الذي سيأتي .

(٥) في زهر الآداب ( ١ : ٢٥٣ ) : « قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل . . . ثم أورد القصة .

(٦) العرف المعروف ( القاموس ) . (٧) في زهر الآداب « رغبة ورهبة » .

(٨) في زهر الآداب « لا ينظر جنده » . (٩) في الأصل « قال » .

( ۱۶ ب ) اثنان : راضٍ ومغتبط ، قلتُ : فكيف هيتهم له ؟ قال : يُتصوّر في القلوب . فتُنغضى له العيون . ( قال ) : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي إليه ، وإقبال عيني عليه ، فقال لترجمانه : ما الذي يقول الرومي ؟ قال : يصف ملكهم وحسن سيرته . فكلم الترجمان بشيء ، فقال الترجمان : يقول إن ملكهم ذو أناةٍ عند القدرة ، وحلمٍ عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام . قد يسرّ رعيته جميع نعمته ، وقد يضرّهم بعنيف عقوبته <sup>(۱)</sup> . فهم يتراءونه <sup>(۲)</sup> ترائي الهلال جمالاً <sup>(۳)</sup> . ويخافونه مخافة الموت نكالاً . قد وسّعهم عدله ، وردعهم سطوته وكيدته <sup>(۴)</sup> ، لا تمهينه مزحة ، ولا تؤيسه غفلة . إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع . فالناس اثنان : راجٍ وخائف . فلا الراجي خائب ، ولا الخائف بعيد الأمل . قلتُ : فكيف هيتهم له ؟ فقال : لا ترفع العيون إليه أجفانها ، والأبصارُ إنسانها ، كأن رعيته قطار رفرت <sup>(۵)</sup> عليها صقور صوائد <sup>(۶)</sup> .

جاء في سيرة المعتصم بالله أنه وجّه رسولا إلى ملك الروم . فلما اجتمع الرسول بالملك ، ورأى الملك هيبة الرسول ، وكثرة تجملته . وما صحبه من الرحل والآلات التي لا يكون ( ۱۷ آ ) مثلها إلا لعظماء الملوك قال له : كم تُرزق من مال سلطانك ؟ قال : أرزق أنا وولدي في كل شهر عشرين <sup>(۷)</sup> ألف درهم أو نحوها . قال : ففتح فتحاً ، قط ، كان السلطانُ به معنياً ؟ قال الرسول : لا . قال الملك : نازلت رجلاً مشهوراً بالفروسيّة من أعداء سلطانك فقتلته مجاولاً ؟ قال الرسول : لا . قال : فاستنقذت خليفةً أو وليّ عهد وقد أجبج <sup>(۸)</sup> في مضيق أو معركة لم يظنّ الخلاص منها . فوجد بإقدامك وقد أحجم نظراؤك فرجّه ؟ قال الرسول : لا . قال الملك : فبأي شيء تستحق هذا الرزق الكثير ؟ قال الرسول للملك : إن للخلفاء خدماً يتصرفون في أنحاء الخدم ، لكل طائفة مذهب يُجتَبون له ويُحتملون عليه ، لا يكلفون سواه ،

( ۱ ) في زهر الآداب ( ۱ : ۲۵۴ ) : « قد كسا رعيته جميل نعمته وخوفهم عسف نعمته » .

( ۲ ) في الأصل « برأونه » . ( ۳ ) في زهر الآداب « خيالاً » .

( ۴ ) في الأصل « وكيله » . ( ۵ ) في الأصل « رفرت » .

( ۶ ) في زهر الآداب : ( ۱ : ۲۵۴ ) : « حدثت الأمون بهذين الحديثين فقال . كم قيمتهما عندك ؟

قلت ألفا درهم . قال يا فضل : إن قيمتهما عندي أكثر من الخلافة . أما عرفت قول علي بن أبي طالب كرم

الله وجهه « قيمة كل أمرى ما يحسن ! » أفتعرف أحداً من الخطباء والبلغاء يحسن أن يصف أحداً من

خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت : لا . قال : فقد أمرت لها بعشرين ألف درهم . . . » .

( ۷ ) في الأصل « عشرون » ( ۸ ) يقال لجج القوم إذا خاضوا في اللجج ( أساس ) .

ولا يُراد منهم غيره : فمنهم مَنْ يُعَدُّ للفتوح فهو يلبسُ السِّلَاحَ ويقود الجيوش ، ومنهم من يُعَدُّ للقضاء فهو يلبس المبردات <sup>(۱)</sup> والدينيات <sup>(۲)</sup> . ومنهم مثل من يصلح أن توفده الخلفاء للملوك ، ويتحمَّل رسائلهم إلى مثلك من أهل الجلالة والقدر ، والسناء <sup>(۳)</sup> والذكر . فلولا تقهم بي ، وعلمهم بمناصحتي وصدقني فيما أورد وأودى ، صادراً ووارداً ، لما رأوني أهلاً للتوجه فيما توجهت فيه إليك ، وقليل لمثل هذا الرزق مع ( ۱۷ ب ) هذا التحمل ومع < هذا > المحل من الخلافة ، وهي من الجلالة على ما هي . فسكت سكوت معترف ولم يقل في ذلك شيئاً .

من كتاب « تصفية الأذهان »

حدثت الداكني قال <sup>(۴)</sup> : كنتُ جالساً عند الحسن بن سهل ، وعنده رسول ملك الخزر ، وهو يحدث عن أخت الملك يُقال لها « خاتون » قال : أصابتنا سنة احتدم شواظها علينا بحرارة المصائب وصنوف الآفات والنوائب . ففزع الناس إلى الملك ، فلم يدر ما يجيبهم ، فقالت له خاتون : « أيها الملك [ إن خوف الله ] <sup>(۵)</sup> خلق <sup>(۶)</sup> لا يخلق جديده ، وسبب لا يمتن عزيرته . وهو دليله على استصلاح مملكته وزاجره عن استفسادها . وقد رغب إليك رعيتك بفضل العجز عن الالتجاء إلى من لا تزيده الإساءة إلى خلقه عزراً ولا ينقصه العود بالإحسان إليهم ملكاً . وما أحد أولى بحفظ الوصية من الموصى ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحسن الرعاية من الراعي . ولم تزل في نعمة لا تغيّرها نقمة ، وفي رضى لم تكدره سخطة ، إلى أن جرى القدر بما عمى عنه البصر وذهل عنه الحذر <sup>(۷)</sup> . فسلب الموهوب ، والسالب هو الواهب . فعُدَّ إليه بشكر النعمة ، وعُذبه من فطيع النعمة ، ولا تنسه ينسك <sup>(۸)</sup> ، ولا ( ۱۸ آ ) تجعل الحياء من التذلل للمعز المذل شراً كما بينك وبين

( ۱ ) كذا في الأصل

( ۲ ) الدينيات : واحدها دنية قلنسوة محددة الأطراف وليست من كلام العرب . كان يلبسها القضاة والأكابر ( تاج العروس ) وانظر الشذرات ( ۲ : ۲۳۴ )

( ۳ ) السناء : الرفعة

( ۴ ) في زهر الآداب ( ۱ : ۲۵۴ ) : « قال الجاحظ : حدثني حميد بن عطاء ... »

( ۵ ) الزيادة من زهر الآداب ( ۶ ) في الأصل « علو »

( ۷ ) في الأصل « الحديث » ( ۸ ) في الأصل « ينسك »



رعيتك ، فستحق مذموم العاقبة . ولكن مرهم ونفسك بصرفِ القلوب إلى الإقرار بكنه  
القدرة ، وتذليل الألسن في الدعاء بمحض الشكر له . فإن الملك ربما عاقب عبده ليُرْجِعَهُ  
عن سيئ فعله إلى صالح عمله ، ولِيَبْعَثَهُ عَلَى دَائِبِ<sup>(١)</sup> شُكْرِهِ يُحْرِزُ بِهِ فَضْلَ أَجْرٍ . فأمر  
الملك أن تقوم فتذرم بهذا الكلام ، ففعلت . فرجع القوم عن بابه ، وقد علم الله منهم  
قبول الوعظ . فدرت عليهم أخلاف الخيرات ، ونزلت عليهم بركة السموات ، وعاد ضيقهم  
فرجاً وشدتهم انفساحاً<sup>(٢)</sup> .

أخبر الواقدي قال : مات رسول ملك الروم بدمشق في زمن معاوية ، فوجد في جيبه  
لوح ذهب مكتوب فيه حفرأ : إذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، وإذا مات الاعتصام عاش  
الانتقام ، وإذا ظهرت الخيانات قلت البركات .

وُجِدَ فِي سِيرَةِ الْمُعْتَصِمِ أَنَّ بَاسِيْلَ<sup>(٣)</sup> مَلِكِ الرُّومِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُوْلًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ : « مِنْ  
بَاسِيْلِ بْنِ فُلَانٍ - حَتَّى انْتَسَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ آبَاءٍ أَوْ أَرْبَعَةِ مَلُوكٍ - إِلَى أَخِيهِ الْمُعْتَصِمِ .  
« إِنْ الْمُلُوكُ لَمْ تَزَلْ يَغْزُو بَعْضُهَا < بَعْضًا > ، وَيَعْلُو بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ . وَرَبَّمَا أُتِيَتْ  
مِنْ وَرَاءِ ( ١٨ ب ) السُّوءِ . وَقَدْ كَانَ مِنْهَا بَرْبَطَةٌ<sup>(٤)</sup> مَا كَانَ وَتَبَيَّنَتْ وَجْهَ الْخَطَا فِيهِ .  
وَقَدْ كَلَّتْ لِي بِالصَّاعِ أَضْوَعًا فِيمَا فَعَلْتَ بَعْمُورِيَّةَ . وَأَنَا أَسْأَلُكَ بِالطَّيْنَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي أَنْتَ مِنْهَا  
أَنْ تُنْعِمَ عَلَيَّ بِإِطْلَاقِ بَطَارِقَتِي ، فَإِنَّهُمْ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بَطْرِيْقًا<sup>(٥)</sup> . وَأَنَا أَقْتَدِي كُلَّ وَاحِدٍ

(١) في الأصل « ذات »

(٢) في زهر الآداب ( ١ : ٢٥٥ ) : « فاعترف لها الملك بالفضل ، فتكلمها الملك ، فاجتمعت  
الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحبوب . » انظر التتمة في المصدر المذكور

(٣) لعل المؤلف وهم في نقل هذا الاسم . لأن هذا الكتاب أرسل إلى المعتصم إثر وقعة عمورية  
أى بعد سنة ٨٣٨ م كما يتضح منه . وباسيل الأول Basils I ولى الحكم في بزنطية سنة ٨٦٧ م أى  
بعد تسع وعشرين سنة من تاريخ وقعة عمورية . وبعد خمس وعشرين سنة من وفاة المعتصم ( توفي المعتصم  
في حدود سنة ٨٤٢ م ) . وكان باسيل هذا معاصراً للمعتز والمهتدي والمعتد . ومن المؤكد أن مرسل  
الكتاب هو توفيل بن ميخائيل Théophile الذى ولى الحكم سنة ٨٢٩ م وتوفي سنة ٨٤٢ م . وقد  
كان معاصراً للمعتصم ، ومانا معاً في سنة واحدة . وهو الذى هاجم بزنطية . وقد ذكره المؤرخون العرب  
كثيراً . انظر : بزنطية والعالم الإسلامى لديمومين . و Larousse Illushée ( ٧ : ٩٩٥ ) ومهروج  
الذهب ( ٤ : ١٥ ) وابن الأثير ( ٥ : ٢٤٦ ) . وصبح الأعشى ( ٥ : ٣٩٩ )

(٤) بزنطية مدينة بين ملاطية وسميساط في طرف بلاد الروم . انظر : معجم البلدان ( ٢ : ٩١٤ ) .

وفيه كانت الواقعة . فسار المعتصم على أثرها ونزل عمورية . انظر مهروج الذهب ( ٤ : ١٥ )

(٥) البطريق للروم كالفواد للعرب ويُقال لمن كان على عشرة آلاف رجل . انظر : المغرب  
( ١ : ٤٠ ) مفاتيح العلوم ( ص ٧٧ ) ، شفاء الغليل ( ص ٣٨ )

منهم بمائة من المسلمين . وقد تهادت الملوك قبلنا . وقد وجهتُ مع رسولي من الثياب الديباج المذهبة أربعين ثوباً ، طول كل ثوب منها أربعون ذراعاً في عرض عشرين . وذكر سائر ما أهداه وصفته ، وأرسل بذلك بطريقاً وخادماً وجماعةً معهما . فلما وصلوا أخذ محمد ابن عبد الملك الكتب وتوصل إلى علم ما تضمنت ، وردّها بخواتيمها وقال : أمير المؤمنين مشغول عنها . فكانت الهدية موقوفة ستة أشهر ثم أُذِن للرسول فدخل على الملك ، فلما رآه المعتصم قال : أرانا قد أضربنا بك لطول مقامك ! قال : كلاً ، إن طول المقام أوجب لي الذمام . ولم نزل نسمع من حكائنا أن إبطاء الرسول يُؤذِن بالنجاح . وما ضربني مقام قرَّب منك ، وأشهدني نعم الله عندك . فأعجب المعتصم بما تُرجم له من كلام الرسول وقبل هديته .

فأقبل عليه محمد بن عبد الملك ( ١٩٠ آ ) الزيات فقال له : كم خراج بلدكم ؟ قال : أقلُّ من مائة ألف دينار<sup>(١)</sup> . فقال محمد : هذا غلّة بعض ضياع أمير المؤمنين . فقال الرسول : نحن أحزم وأحكم في باب الخراج منكم . أنتم تستخرجون من الناس ما لا فتكسبون عداوتهم ، وتوغرون صدورهم ، ويسرق المال عمالكم ويُعطون عليه الأرزاق . ثم يُحمل من بلد إلى بلد آخر . فيذهب ويتخرّم<sup>(٢)</sup> في الطريق . وتحتاجون أن يُسلم إلى خزنة وحرّاس ، ثم تخرجه إلى رجالكم . ونحن جعلنا خراجنا رجلاً ، فكفينا هذه المؤنة ، وصيرنا هذا المقدار الذي ذكرته لك رسماً للخراج لئلا يبطل اسمه ، فأمیناً عداوة الناس وحفظنا المال وكفينا ما أنتم فيه .

قال المؤلف : فسكت محمد بن < عبد الملك > الزيات ، ولم يجر جواباً إلى الرسول . وقد كان الجواب ممكناً والحجة متوجهة عليه والخطأ في القول لازماً له . وذلك أن رجال

(١) في معجم البدان ( ٢ : ٨٦٦ ) . . . . . سأل المعتز بالله أحمد بن اسرائيل عن خراج الروم فقال : يا أمير المؤمنين خرجنا مع جدك المعتصم في غزاته . فلما توسط بلد الروم صار إلينا « بسيل الحرشني » ، وكان على خراج الروم . فسأله محمد بن عبد الملك عن مبلغ خراج بلدهم ، فقال : خمسمائة قنطار ، وكذا وكذا قنطارا . فقال : حسبنا ذلك فإذا هو أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار . فقال المعتصم : اكتب إلى ملك الروم . إني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا وكذا . وأخس ناحية في مملكتي خراجها أكثر من خراج أرضك فكيف تابذني ؟ » ا١ . انظر أيضاً أحسن التقاسيم للمقدسي ( ص ٦٤ ) .

(٢) يتخرم : ينقص .

الحرب بمثابة الجوارح التي لا يجوز أن تمرن بعمل من الأعمال ، ولا مهنة من المهن غير اختطاف الأرواح وصيد الرجال وإعمال الحيلة في التسليم من اللقاه والسكر والفر ، وفي الإقامة والتحيز<sup>(١)</sup> ، فلما صارت الروم أهل تنابة<sup>(٢)</sup> وأصحاب فدان وزراعة ومهن وصناعة ، نشأ الأبناء على ما عليه ( ١٩ ب ) الآباء فركنوا إلى الدعة وهابوا الحروب ، ونكصوا عن لقاء الأعداء وصيد الرجال . وصاروا جمع العصا ، وخشوا الفلّس<sup>(٣)</sup> ، فحينئذ صار الرجل الواحد من المسلمين لا يهاب لقاء الجمع الكثير من الروم ، وله تسلط عليهم واقتدار على تفریق جماعتهم . هذا مضاف إلى ما وعد الله به في كتابه من النصر ، وأن المائة منهم غالبية للمائتين ، بعد أن زال حكم الواحد بعشرة رحمة وتخفيفا . ثم صار الملك منهم لا تتعلق به رغبة ؛ إذ هو قليل المال ، نزر الجباية . فلما أحست الروم بعدم الرغبة امتنعت من الخطار بأنفسها ، وقلّ من يعمل للأخرة منهم ، وإنما تخاطر التماساً للشوبة والجزاء . وتحقق العليج منهم أنه إذا أُسِرَ وحصل في بلاد الإسلام ، يُؤمَّر أو يُقوِّد ، ويُعفى من كد التعب ودأب النَّصَب ، ويصير بعد الذلّ عزيزاً وبعد المهنة والإذالة<sup>(٤)</sup> وادعاً مكرماً . وصار ما بأيدي الروم من الضياع والإقطاع كأنما<sup>(٥)</sup> هو كالمُلكِ لهم ، يرثه خلف عن سلف ، والحق الذي لا يجب لغيره شيء فيه ؛ وإن غيّر أو بدّل على ما سنتهم الآن جارية من البدل ، فإنما ينقل من مشى إلى مصيف أو ربيع إلى خريف ، وصار الملك إذا دعت ضرورة إلى انتزاع بعض ما في أيديهم كانوا العدو الحاضر ( ٢٠ آ ) المُشارك في الدار ، غير المأمون<sup>(٦)</sup> الضرر والغوائل ، المُطالب بالدحول والطوائل<sup>(٧)</sup> ، الواضح الفساد ، العديم الرشاد ، فكيف صار أحكم من فعل المسلمين في الخراج ؟

وقد كنتُ أعرف عن الروم أن أحسن الرتب والمنازل عندهم رتبة الكاتب ، وأن

(١) انحاز القوم تركوا مراكزهم إلى آخر

(٢) تنأ بالبلد إذا قطنه والاسم التناءة

(٣) الفلّس ورقة الجزية . وقد تكون العَلَز وهو قلق وطلع بصيب الأسير من المهم

(٤) أذله إذالة أهنته (٥) في الأصل «كاعاء»

(٦) في الأصل «الغير مأمون»

(٧) الذحول نج ذحل : الثأر ، أو طلب مكافأة بجنابة جنيت عليك ، أو عداوة أتيت إليك .

والطوائل ج طائلة ؛ وهي العداوة (القاموس)

الشاكري<sup>(١)</sup> أجل رتبة منه ، حتى علمت الآن قلة احتياجهم إلى من يحفظ الارتفاع ويحمل أعباء الملك . وتساوى كافتهم في البلادة . وقلة العلوم . ولعمري إن نوازع الروم وأغراضهم ودواعيهم وأوطارهم أقل من نفقات المسلمين ودواعيهم . ولو أُلزم<sup>(٢)</sup> ملك الروم من في بلاده من المؤن والمقارم ما يلزم في بلاد المسلمين ، لما قامت لهم قائمة ، ولا احتاجوا إلى أحد أمرين : إما اجتياح أموال رعاياهم ، أو التسلط على من يجاورهم ، وحياسة ما في أيديهم إليهم . والرومي إذا تجمل قطع الثوب الديباج الذي من عمل زوجته وابنته وأخته ، يقيم على لابسه عشرين سنة إذا صانه من البذلة . ولا عهد للرومي بالشرب<sup>(٣)</sup> والعصب<sup>(٤)</sup> ، والمعلم<sup>(٥)</sup> ، والمذهب ، والمصنف ، والمنير<sup>(٦)</sup> ولا باستعمال<sup>(٧)</sup> الرومي والأصبهاني ، ولا برفيع التوني<sup>(٨)</sup> الذي يودع أنابيب الذهب والفضة ؛ هذا ما لا عهد لملوكهم به . فكيف لوضائعهم<sup>(٩)</sup> . والملك منهم ( ٢٠ ب ) وغيره يتساويان في اللباس : إنما هو الطلي<sup>(١٠)</sup> والديباج والمسده<sup>(١١)</sup> . وأوانيتهم

(١) في مفاتيح العلوم ، وشفاء الغليل أن الشاكري هو الخادم

(٢) في الأصل «لزم»

(٣) الشرب : الثوب الرقيق من الكتان (المخصص) . وكان من تنيس في المناسج للقماش نحو خمسة آلاف منسج يصنعون فيها الثياب الشرب التي لا يصنع مثلها في الدنيا ، وكانت تحمل منها إلى بغداد . انظر : ابن أبياس ( ١ : ٥٠ ) ، ابن حوقل ( ص ٣٢٣ ) ، الاضطخري ( ص ١٦٧ ) ويصفه دوزي بما يلي :  
espèce de toile de lin très fine et très précieuse. I : 740 suppl.

(٤) العصب ثياب رفاق تنسب إلى اليمن (المخصص) ، وإذا كانت القصب فتكون القماش الرقيق من الكتان . انظر ابن أبياس ( ١ : ٤٨ — ٥٠ )

(٥) ضرب من ثياب فيها علامات . علم الثوب وأعلمه جعل فيه علامة (تاج العروس)

(٦) نرت الثوب ونيرته فهو منير : جعلت له نيراً أي علماً ، أو كان له أهداب (تاج العروس)

(٧) في الأصل « بالاستعمال »

(٨) التوني نسبة إلى تونة جزيرة قرب تنيس ودمياط في مصر يضرب المثل بحسن ثيابها وطرزها .

انظر معجم البلدان ( ١ : ٩٠١ ) و دوزي ( I:155 Suppl )

(٩) الوضائع ج وضيفة — الأدياء — أو أسماء أقوام من الجند تجعل أسماءهم في كورة لا يغزون

منها (القاموس) أو المسالغ (طبقات الناس عند العرب في مفاتيح العلوم ص ٧٧)

(١٠) الطلي ثياب تصنع من القنب ، وهي أرق من الديبق وأبقى على الكد . انظر مهراج الذهب

( ١ : ١٢٢ ) ومعناها اللغوي المصبوغ أو المدهون . انظر قاموس لين Lane ص ٨٦٢ ، والزخرفة

المنسوجة لمرزوق ( ص ٦٦ )

(١١) كذا في الأصل ، ولعلها المسدي

الذهب والفضة . ولو ابتاع أحد ملوكهم قحفاً<sup>(١)</sup> خزفياً<sup>(٢)</sup> بمائة دينار يلحقه الصدع فلا يساوى درهما ، أو من مخروط البلور ورفيع المحفور ما إذا بات ندياً من الماء أو النيذ في غلافه تصدع وعادت القطعة التي تساوى ألف دينار بالنزر اليسير من الثمن . وكذلك الزجاج المحكم والقلب سليم ( ؟ ) وغرائب الصينى من الصحون البلق والمشمى والسواد والزمردى والخافقيات الفاتقات < و > الرشيدى الشفاف ، ومُح الطرائف ، هذا ما لا يملكونه<sup>(٣)</sup> على الأمر الأكثر ، إنما يهدى إليهم ويسمعون<sup>(٤)</sup> بذكره ، فأما القروش عندهم فمن صنعهم أيضاً . إنما هي<sup>(٥)</sup> الديباج والطنافس والقطف<sup>(٦)</sup> . والبزبون<sup>(٧)</sup> فأما طميم<sup>(٨)</sup> القرقوبى<sup>(٩)</sup> ، ومذهب الديبق<sup>(١٠)</sup> ، ورفيع الخسروانى<sup>(١١)</sup> ، فتفرد بملكه ملوك الإسلام . وأغذية الروم الشواء والصليق . وأكثرها فى صيدهم مما فى مروجهم < من الطير > والدواب . < ولولا الإطالة > لاستقصيت القول فى المصارفة والهداية إلى طرق اللؤم والندالة التى جعلها الله وقفاً عليهم دون الأمم فهى فيهم جمّة كثيرة ..

(١) فى الأصل « قحفا »

(٢) فى الأصل « قزحيا »

(٣) فى الأصل « لا يملكوه »

(٤) فى الأصل « ويسمعوا »

(٥) فى الأصل « هو »

(٦) القُطْف ج قطيفة على الشواذ (المخصص) وهى الدثار المحمل (القاموس)

(٧) البزبون كمصفور ، على قول ، رقيق الديباج (تاج العروس) أو الثياب الحريرية المختلفة

الألوان الموشاة بالزهور . انظر فى دائرة المعارف الإسلامية مقالة الأستاذ Streck عن Arménie وكتاب التبصر بالتجارة للجاحظ (ص ١٧)

(٨) الطميم ضرب من الأقمشة الغالية ، وكأنه الديباج المطرز بالذهب . انظر: Kremer, Beitrage

Zur Arabischen Lexicographie P. 12 والزخرفة المنسوجة لزوق ص ٧٦ . وقال المقرئى

(١ : ٤١٦) إنه نوع من أنواع الخسروانى

(٩) القرقوبى نسبة إلى قرقوب من مدن واسط مشهورة بأنماطها (المقدسى ص ١١٩) وانظر .

الاصطخرى (ص ٩٣) . ويقول صاحب كتاب (الفاطميون فى مصر) إن هذا القماش كان يصنع أيضاً فى

دمياط وتيس ، وإنه مشهور بألوانه اللامعة (ص ٢٥٧ حاشية ٥) ويقال إن المزر الفاطمى خلف

خريطة كان أمر بعملها سنة ٣٥٣ من الحرير الأزرق التسترى القرقوبى المنسوج بالذهب . انظر المقرئى

(١ : ٤١٧)

(١٠) دبيق قرية من قرى دمياط تنسب إليها الثياب المثقلة ، والعمائم الشرب والديبق العلم المذهب

(المقرئى : ١ : ٢٦٦) وانظر مقالة الأستاذ Becker عنها فى دائرة المعارف الإسلامية . والمقدسى

(ص ١٠٤) وابن حوقل (ص ١٠٢) وياقوت (٢ : ٥٤٦)

(١١) نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب إلى عطاء الأ كاسرة (الحقاجى) وانظر :

المغرب (ص ٦٠) و دوزى (Suppl. 173)

## الباب التاسع عشر

« في مَنْ دُفِعَ من الملوك إلى مضيق من جواب رسول ،  
فألمه الله تعالى الصواب ووقفه في الجواب »<sup>(١)</sup>

جاء في سيرة المنصور بالله ( ٢١ آ ) أنه ورد عليه من طاغية الروم رسل كثير ، بلغ من  
دهاء بعضهم وفطنتهم أن أخذ المنصور من رأيه<sup>(٢)</sup> واستعمل مشورته . واجتهد بعضهم في  
إصاق عيب بالمنصور في محاورته ، فألمه الله المنصور من سداد الجواب وبيان الحجّة ، ما ليس  
في وسع أحد أن ينطق به إلا عن إلهام وتوفيق .

أما الأوّل ، فإن المنصور أمر بعض ثقاته أن يطوف معه فيريه مدينته ويوقفه على  
مبانيه وممالكه . فلما نظر إلى ذلك كله ، وأعادته إلى المنصور قال للرومي : كيف رأيت  
ما شاهدت ؟ قال : كل ما رأيت جليل نبيل ، إلا ثلاثة أشياء . قال : ما هي ؟ قال : النفس  
خضراء ولا خضرة لك ، والماء حياة ولا حياة لك ، وعدوك معك — يعني السوق — .  
وكانت السوق مخالطة لقصره . قال المنصور : أما الخضرة فإني خلقت للجد لا للهزل ، وأما  
الماء فحسبي<sup>(٣)</sup> منه ما بلب الشفة وروى الصدى<sup>(٤)</sup> ، وأما مجاورة العوام ، فما أبالي أن يطلع  
على سرّي خاصتي وعامتي لأني لا أني<sup>(٥)</sup> فيه وأحصنه . فلما انصرف الرسول تعقب الرأي  
وتبينه ، فعلم أن الصواب فيما قاله الرسول . فعمر العباسية<sup>(٦)</sup> ، وكان يطل عليها . وأجرى  
من كرخايا<sup>(٧)</sup> وغيره ما أجراه ، ونقل السوق إلى الكرخ<sup>(٨)</sup> . ( ٢١ ب ) .

(١) هذا هو العنوان الأصيل لهذا الباب . أما العنوان السابق فقد أقم في غير مكانه

(٢) في الأصل « أخذ من المنصور من رأيه »

(٣) في الأصل « محي » (٤) الصدى : العطش

(٥) لا أني : لا أقصر

(٦) العباسية محلة ببغداد مشهورة — كانت بين يدي قصر المنصور — وهي منسوبة إلى

العباس بن محمد بن علي . أنظر : معجم البلدان ( ٣ : ٦٠٠ )

(٧) كرخايا نهر كان ببغداد . ذكره الشعراء ، لم يكن له أثر زمن ياقوت . أنظر . معجم البلدان

( ٤ : ٢٥٢ )

(٨) أنظر هذه القصة مختصرة في الطبري ( ٣٢٣ / ١٠ / III ) . وانظرها مروية باختلاف في

اللفظ في تاريخ بغداد ( ١ : ٧٨ ) وزيادات ونقص في معجم البلدان ( ٤ : ٢٥٤ )

وأما الرسول الآخر فإنه طيف به أيضاً ، فرأى < على > الجسر خلقاً من ذوى الزمانة<sup>(١)</sup> والعاهة يتصدقون ويسألون . فقال الرسول للربيع ، وكان معه : ما فى ملك صاحبك عيب غير أمر هؤلاء الزمنى . وقد كان يجب أن يُراعى أمرهم حتى لا يجتمع عليهم - مع الزمانة - الفقر والمسئلة . فقال الربيع : لم يذهب < ذلك > عنه ، ولكن بيوت الأموال لا تتسع لذلك . وبلغ المنصور ماجرى بينهما ، فاغتاظ<sup>(٢)</sup> على الربيع . فلما حضره الرسول قال : بلغنى مقالك للربيع آنفاً ، وليس الأمر على ما أجابك به . وقد كان فى مالى ما يسعهم ويوفى على سدّ مفقرهم<sup>(٣)</sup> ، ولكن أمير المؤمنين أفكر<sup>(٤)</sup> فى أمرهم ، فأحبّ ألا يستأثر على سائر رعيتيه ممن صحّح الله جسمه . وبسط يده بملك الدنيا والآخرة وثوابها . فترك لهم سبيلاً إلى الصدقة واصطناع العرف ، ونصيياً فى ابتغاء الثواب بالإفضال . فعقد العليج ثلاثين وقال وقد أومى<sup>(٥)</sup> إلى الأرض : « قالون<sup>(٦)</sup> ، قالون<sup>(٧)</sup> » .

(١) الزمانة العاهة : زمن زمانة فهو زمين وزمين ج زمنى . (القاموس)

(٢) اغتاظ على صاحبه وتغيظ . غضب (الأساس)

(٣) المفقر ج مفقررة . بمعنى الفقر ، وهو جمع شاذ (اللسان)

(٤) أفكر بمعنى فكر (القاموس)

(٥) كذا فى الأصل بمعنى أوما ، ولها وجه

(٦) معناه فى الرومية «جيد» . انظر : روضة المحبين (ص ١٨٧) ، وشفاه الظليل (ص ١٥٧)

أو «أصبت» انظر المغرب فى ترتيب العرب (٢ : ١٣٣) .

(٧) فى كتاب الوزراء والكتاب للجھشيارى (ص ١٣٣) : «فقال الرومى : الحق ما قاله أمير

المؤمنين . « وقد رويت هذه القصة فى الكتاب المذكور بألفاظ مختلفة . وفيه «عمارة بن حزة» بدلا من «الربيع بن يونس» .

## الباب العشرون

« من عَجِلَ من الملوك إلى سَفَه في المكاتبه ، فكان  
حلمٌ من كاتبه أوجَعَ له مما جناه على مكاتبه »

جاء في السيرة أن هشام بن عبد الملك كتب إلى ملك الروم كتاباً كان عنوانه : « من  
هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين ، إلى الطاغية ملك الروم . » فلما وصل إليه الكتاب وقرأ  
العنوان قال : « ما ظننتُ أن الملوك ( ٢٢ آ ) العقلاء يسبون ، وما كان يؤمنه أن أكتب  
إليه : « من ملك الروم ، إلى الملك المذموم ، الأحمق المشؤم ! » وأعاد الكتاب ولم يفضّه  
ولا قرأه ، ثم سار عَقْبِيه فشَعَّتْ<sup>(١)</sup> بلاد الإسلام .

كتب نقفور ملك الروم إلى هارون الرشيد بعد أن استولى على مملكة الروم : « من  
نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب . أما بعد فإن الملكة<sup>(٢)</sup> التي كانت قبلي أقامتك  
مقام الرُخ<sup>(٣)</sup> ، وأقامت نفسها مقام البَيْدِق<sup>(٤)</sup> ، فحَمَلَتْ إليك من أموالها ما كنتَ حقيقاً أن  
تحمل إليها أمثاله . لكنَّ < ذاك من > ضعف النساء وحقهن . فإذا قرأتَ كتابي فارددْ  
ما حصل قبلك من أموالها ، وافْتَدِ نفسك بما تقع المصادرةُ عليه<sup>(٥)</sup> وإلا فالسيف  
بيني وبينك<sup>(٦)</sup> .

(١) شَعَّتْ : فرَّق

(٢) في الأصل « الملكة » . وفي الأغاني ( ١٧ : ٤٤ ) « هذه المرأة »

(٣) الرُخ من أدوات الشطرنج الكبار ، والجمع رُخْخَة

(٤) من أدوات الشطرنج الصغار . أصل معناه الرجل ، وجمعه بيادقة ، وهو معرَّب دخيل

(٥) في الأصل « عليك »

(٦) لهذا الكتاب روايتان غير هذه . ففي الأغاني ( ١٧ : ٤٤ ) : « أما بعد ، فإن هذه المرأة

كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ، ووضعت نفسها موضع السوق ، وإني واضعك بغير ذلك الموضع ،

وعامل على تطرَّق بلادك والهجوم على أمصارك ، أو تؤدي إلى ما كانت المرأة تؤدي إليك والسلام . »

وفي صبح الأعشى : ( ١ : ١٩٢ ) « أما بعد . فإن هذه المرأة وضعتك موضع الشاه ، ووضعت

نفسها موضع الرُخ ، وينبغي أن تعلم أنني أنا الشاه ، وأنت الرُخ ، فأدِّ إلى ما كانت تؤدي إليك . »



فلما قرأ الرشيدُ الكتاب ، استفزّه الغضب ؛ حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه دون أن يخاطبه<sup>(١)</sup> ، واستعجم الأمر على الوزير من أن يُشير عليه أو يتركه يستبد برأيه . فدعا بدواة وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من هارون الرشيد إلى نِقفور<sup>(٢)</sup> ملك الروم

« قرأتُ كتابك يا ابن الفاجرة<sup>(٣)</sup> ، والجواب ما تراه<sup>(٤)</sup> دون أن تسمع به<sup>(٥)</sup> والسلام<sup>(٦)</sup> .

وشخص لوقته ، حتى أناخ على هرقل<sup>(٧)</sup> ، ففتح وغنم واصطفي ، وأفاد وأحرق (٢٢ ب) واصطلم<sup>(٨)</sup> . فطلب<sup>(٩)</sup> نِقفور المودعة على خراج يؤديه في كل سنة ، فأجابه إلى ذلك . فلما رجع عن غزوته ، وصار بالرقّة ، نقض نِقفور العهد وخان الميثاق عما أخذ عليه ، فمات هيئاً لأحد إخباره بذلك إشفاقاً عليه وعلى أنفسهم من الكرّة في مثل تلك الأيام . فاحتال وزيره يحيى ابن خالد بشاعر من أهل جنده<sup>(١٠)</sup> يكنى أبا محمد ، ويسمى عبد الله بن يوسف<sup>(١١)</sup> فقال :

(١) في الطبري ( III/٦٩٥/١١ سنة ١٨٧ ) « وتفرّق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو فعل يكون منهم . »

(٢) في صبح الأعشى ( ١ : ١٩٢ ) « يقفور » والصواب بالنون لأن أصله « Nicephore » .

(٣) في الطبري ( III/٦٩٦/١١ ) وابن الأثير ( ٦ : ٦١ ) : « يا ابن الكافر » .

(٤) في الأغاني ( ١٧ : ٤٥ ) « ما تراه عياناً لا ما تسمعه » وكذا في مروج الذهب وتاريخ أبي الفداء ( ٢ : ١٨ ط . قسطنطينية )

(٥) في الطبري ( III/٦٩٦/١١ ) والأغاني ( ١٧ : ٤٥ ) « تسمعه »

(٦) ورد هذا الكتاب في صبح الأعشى كما يلي : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نِقفور كلب الروم . أما بعد ، فقد فهمتُ كتابك ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام على من اتبع الهدى . » انظر صبح الأعشى . ( ١ : ١٩٢ ) و ( ٦ : ٤٥٧ )

(٧) مدينة بيلاد الروم ، وهي بالفرنسية Heraclée انظر معجم البلدان وصبح الأعشى ( ٥ : ٣٥٠ ) .

(٨) اصطلم : استأصل (٩) في الأصل « وطلب » .

(١٠) في الأصل « من أهل جدّة » وكذا في الأغاني ( ١٧ : ٤٥ )

(١١) في الوزراء والكتاب ( ص ٢٠٧ ) « عبد الله بن محمد الشاعر المعروف بالمشي » وفي الطبري ( III/٦٩٦/١١ ) « ويقال هو الحجاج بن يوسف التيمي » وفي ابن الأثير ( ٥ : ١١٨ ) « الحجاج بن يوسف التيمي » وانظر المنتظم لابن الجوزي ( ٥ : ٢ : ٢٠ )

نَقَضَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ نِقْفُورٌ وَعَلِيهِ دَائِرَةُ الْبُورِ تَدُورُ (١)  
 أَبَشِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ غُمُّ (٢) أَتَاكَ بِهِ الْإِلَهِ الْكَبِيرُ (٣)  
 فَتَحَ يُزِيدُ عَلَى الْفَتْوحِ مُؤَيَّدٌ (٤) بِالنَّصْرِ فِيهِ لَوَاؤُكَ (٥) الْمَنْشُورُ  
 فَلَقَدْ تَبَاشَرْتَ الرَّعِيَةَ أَنْ أَتَى بِالغَدْرِ مِنْهُ وَافِدٌ وَبَشِيرٌ (٦)  
 وَرَجَّتْ يَمِينُكَ أَنْ تَعْجَلَ غَزْوَةَ تَشْفِي النُّفُوسَ ، مَكَانَهَا مَذْكَورٌ (٧)  
 نِقْفُورٌ إِنَّكَ حِينَ تَغْدُرُ أَنْ نَأَى عَنْكَ الْإِمَامَ لَجَاهِلٍ مَغْرُورٍ  
 أَظَنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلَتٌ هَبْلَتِكَ أُمَّكَ مَا ظَنَنْتَ غُرُورٌ (٨)

وقال أبو العتاهية :

تَجَلَّبَبْتَ الدُّنْيَا لِهَارُونَ بِالرِّضَا وَأَصْبَحَ نِقْفُورٌ لِهَارُونَ ذِمِّيًّا (٩)

وقال غيره (١٠) :

(١) في الأصل «نقض العهد الذي ...» ولا يستقيم الوزن بها . وفي الأغاني (١٧ : ٤٥) .

«نقض الذي أعطاكه تقفور فعليه ... ..»

(٢) في الوزراء والكتاب (ص ٢٠٨) «فتح»

(٣) في الأصل «غم أتاك به إله الكبير»

(٤) في ابن الأثير : (٦ : ٦١) «مؤمناً» (٥) في الأصل «لَوَّ أَوَّل»

(٦) في الأصل «بالنقض عنه وافد» (٧) في الطبري بعد هذا :

أَعْطَاكَ جَزِيَّتَهُ وَطَاطَأَ خَدَّهُ حَذَرَ الصَّوَارِمِ وَالرَّدَى مَحْذُورِ  
 فَأَجْرَتَهُ مِنْ وَقْعِهَا وَكَأَنَّهَا بَأْكَفْنَا مُشْعَلُ الضَّرَامِ تَطِيرُ

(٨) هبلتك أمك أي ثكلتك . وفي الطبري بعد هذا :

أَلْفَاكَ حَتَفَكَ فِي زَوَاخِرِ بَحْرِهِ فَطَمَمْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِمَامِ بِحُورِ  
 إِنَّ الْإِمَامَ عَلَى اقْتِسَارِكَ قَادِرِ قَرَّبَتْ دِيَارَكَ أُمَّ نَأَتْ بِكَ دُورِ  
 لَيْسَ الْإِمَامُ ، وَإِنْ غَفَلْنَا ، غَافِلِ عَمَّا يَسُوسُ بِحِزْمِهِ وَيُدِيرُ  
 مَلِكٌ تَجَرَّدَ لِلْجِهَادِ بِنَفْسِهِ فَعَدُوهُ أَبْدَأُ بِهِ مَقْهُورِ  
 لَا نُصَحُّ بِنَفْسٍ مِنْ يَفْشُ إِمَامَهُ وَالنَّصْحُ مِنْ نَصْحَاتِهِ مَشْكُورِ  
 نَصَحَ الْإِمَامَ عَلَى الْأَنَامِ فَرِيضَةَ وَأَهْلَهَا كَفَّارَةَ وَطَهْرُورِ

وفي الوزراء والكتاب (ص ٢٠٧) «فقال الرشيد ليحيى : قد علمت أنك احتلت في إسماعى هذا الخبر

على لسان المكى ، ونهض نحو الروم فافتتح هرقلة .

(٩) كذا في الطبري . وفي الديوان (ص ٣١٥) «تجلَّبَبْتَ» . انظر القصيدة في الديوان وفي

الأغاني (١٧ : ٤٥) .

(١٠) في الطبري (III/٦٩٨/١١) أنه «الحجاج بن يوسف التيمي»

لجئت بنقفور أسباب الردى عبثاً لما رأته بغيل الليث قد عبثاً<sup>(١)</sup>

وكتب باميل بن إليون<sup>(٢)</sup> ملك الروم إلى المعتصم أمير المؤمنين يسفه عليه (٢٣ آ) ويتوعده ويتهدده . فأمر بإجابته ، فكل عمل له نسخة طولها واستوفى معانيها ، واحتج عليه من كتابه بما فسح به دعواه ، وأبطل عليه ما حكاه . فلما قرئت عليه النسخ امتطولها وقال : ليكتب إليه بما أنا ممثليه ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع به ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار » .

وسار تلوا كتابه ، فخرّب بلاده ، وسبى رعيتيه ، واستولى على أكثر مملكته ، ولولم ينزع<sup>(٣)</sup> له بالطاعة لأتى على نفسه .

(١) القبيل الأجمة الكثيرة الحجر . وفي الطبرى بعد هذا :

ومن يزرغيله لا يخل من فزع  
خان اليهود ، ومن ينكت بها فعلى  
كان الإمام الذى تُرجى فواضله  
فرد ألفته من بعد أن عطفت  
إن فات أنباه والخلب الثبنا  
حديابه لا على أعدائه نكتنا  
أذاه ثمر الحلم الذى ورننا  
أزواجه مرهاً بيكته شعثنا

(٢) انظر الحاشية ذات الرقم (٣) من الصفحة (٣٤)

(٣) نزع له بالشيء : أقر (الفاموس)

## الباب الحادي والعشرون

« أذكر فيه نوادر جاءت في الرسالة ، ونبدأ من حيل الملوك على الملوك »  
 « حسداً لهم على إصابة رسلهم للصواب ، به ختمت الكتاب »

من خدانا ما (١) الكبير .

كانت ملوك الفرس إذا وفد عليها رسول اشترطت عليه أربع خصال وسامحته بما بعدهن مما عساه أن توقعه فيه الأقدار . وهي : ألا يكذب (٢) < الملك > فإن الكذب لا رأى له . وألا يجيبه عما < لا > يسأله عنه ، فإنه دليل على الموق (٣) < و > سوء الأدب ، ولا يمدحه في وجهه بما يخالف أفعاله ؛ فإن فيه استخفافاً (٤) به ، ونصرة (٥) على لزوم ما لا يجمل من الأفعال ، ولا يحرّشه على الرعيّة ، فإنها إلى حسن الرأي فيها أحوج .  
 وكان زياد بن أبيه (٢٣ ب) شرط على رسله النافذة برسائل إلى البلدان أن يقول : « لا يحملك أحد رسالة إلا أبلغتنيها ، ولا يكلمك أحد في حاجة إلا رفعتها إلى » . فسئل عن ذلك من فعله ؟ فقال : « التبرّع بالأخبار تقع عنه الفوائد العظيمة » . وأنشد بيت طرفة :  
 سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
 قال رسول ملك الروم لعمر رضى الله عنه وقد طلبه فوجده نائماً في المسجد : « عدلت ، فأمنت ، فمنت . وجرنا ، فحنفنا ، فخرسنا » .

وجّه عبد الملك بن مروان الشعبي برسالة إلى ملك الروم بكتاب . فأعطاه الجواب ، ودفع إليه رقعة مختومة وقال له : إذا أدبت الجواب ، وأوصلت الكتاب ، فأعط صاحبك

(١) كذا في الأصل . وفي الفهرست (ص ٣٠٥) : « وبين الكتب التي ألفتها الفرس في السير والأسمار الصحيحة التي للوكهم كتاب (خدای نامه) وفيه (ص ١١٨) : « وقد نقل ابن المقفّر كتاب خداینامه في السير إلى العربية » .  
 (٢) في الأصل « يكذبه » والضمير راجع على الملك  
 (٣) الموق : الحق في غباوة (القاموس)  
 (٤) في الأصل : « استخفاف »  
 (٥) في الأصل : « نصرته »

هذا الكُتَيْبُ (١). فلما انصرف الشعبي وأدى وأوصل وأراد الانصراف، ذكر الرقعة وقال :  
يا أمير المؤمنين حملني رقعة وقال « كيت وكيت » فقال عبد الملك : لعلها كيدةٌ من كيداتهم ،  
هاتها ! . فدفعها إليه ، فلما فضاها وقرأها إذا فيها : « العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف  
يملكون غيره ! » (٢). فلما وقف الشعبي على ما تضمنت الرقعة ، خلع عقله ، واستطار لته ،  
وأظهر بَلَهًا ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، إنما كُبرتُ في عينيه لأنه لم يَرَكَ ، ولو رآكَ  
لاستحقرني ! » فقال له : « أحسنت يا شعبي ! ولكن أتدرى ما أراد بما كتب ؟ » ،  
قلت : لا . قال : « حسدني عليك ، فأراد أن يغرِبنِي ويحملني ( ٢٤ آ ) على قتلك » .

وجاء في أخبار بغداد أن جريرَ بن اسماعيل البَجَلِي (٣) بعثه المنصور برسالة إلى سليمان  
ابن عليّ ، وهو بالبصرة . قال : فأجازه بثلاثة آلاف (٤) درهم . فقال له جرير : أغرَّ الله  
الأمير ، تجيزني بهذا مع طول الشُّقة وتحْمُلُ المشقَّة ؟ قال له سليمان : هي جائزة عمك خالد  
إتاي حين أتيت برسالة من هشام . قال جرير : إن أقرَّ الأمير أن بني هاشم مثل بجيلة ،  
قبلت الثلاثة ! فضحك وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

قال الشاعر في مدح رسوله :

أقول لأَيْمَنٍ ومضى رسولاً      مع أَيْمَنٍ السَّعادة والنجاحُ  
وأَيْمَنُ حَيْثُ أُمَّ أُنِي بِنُجْحٍ      وقابله من الأمر الفلاحُ  
وما كذب الرجاء له غدوٌّ      حميدٌ في الأمور (٥) ولا رواحُ

وقال البحترى يصف رسوله :

وكانَ الذكاء يبعث منه      في سواد الأمور شعله نار  
< و > قد قررتُ في أوَّل هذا ، < أن > الكتاب رسول والقلب مرسله ،

(١) في ابن عساكر ( ١ : ١٤٥ ) ... قال الشعبي فلما دخلتُ عليه جعل لا يسألني عن شيء  
إلا أجبتُه . وكانت الرسل لا تُعطى الإقامة ، فأمكنني عنده أياماً . حين أردتُ الانصراف قال لي :  
« أمن بيت الملكة أنت ؟ » قلتُ : لا ، لكنني رجل من العرب . فدفع إلي رقعة خاصة وقال : إذا  
رجعت إلى صاحبك فأبلغه جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا ، وادفع له هذه الرقعة ... »  
(٢) انظر بقية الرواية

(٣) البَجَلِي نسبة إلى بجيلة كسفينة حى باليمن من معد . (القاموس)

(٤) في الأصل « بثلاثة ألف » (٥) في الأصل « في الأمير »

وأنهم أجمعوا على أن يكون الرسول حسن الوجه والاسم والكنية والعشيرة .  
وجاء في أخبار مصر أن عبد العزيز بن مروان لما تقلدها ودخل فصل الشتاء هرب  
خيفة من الوباء إلى حلوان ، وتديرها قاطناً بها ، واستخلف على مصر ( ٢٤ ب ) معاوية  
ابن حديج<sup>(١)</sup> . فاحتاج إلى بعض الأمر ، فأنفذ إليه رسولاً لم يكن على الشرائط المقررة .  
فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ قال : أبو طالب . فتطير به وقال : يا عاض بظر أمه ، أسألك  
عن اسمك فتكني ؟ فقال : اسمي : (مدرك) . قال : ممن ؟ قال : من بني لاحق ، فتطير به  
وباسمه وكنيته وعشيرته ، وتغيظ على معاوية بن حديج ، فحُمّ لوقته وساعته ، فكان في  
هذه العلة هلاكه<sup>(٢)</sup> .

قال حكيم يوناني : « إذا أرسلك السلطان في رسالة فلا تزد في رسالته ، ولا تزل عن  
نصيحته ، ولا تؤثره على الحق ولا تعدل عن الصدق ، ولا يملك تقصير المرسل إليه على  
أن تحكى عنه ما لم يقل ، وتنسب إليه ما لم يفعل ؛ فإنك لا تخلو في ذلك من فريضة تقطع  
لسانك ، وخيانة تضر سلطانك ؛ فاحفظ رأسك من عثرة لسانك ، واجعل لدينك من دنياك  
نصيياً ، وكُن من نفسك على نفسك رقيباً ، وصير لكل جارحة من جوارحك زماماً من  
العقل والنهي ، ولباماً من الورع والتقى .

وإذا عملت على إرسال رسول استنصحه فاختر فهمه وفطنته ، واستبر<sup>(٣)</sup> دينه  
وأمانته ، وألزمه الوفاء والعفة ، وجنبه الإكثار والخفة ، وحذره أن يزيله عن جميل الصدق  
أو سبيل الحق عاجل بر وإكرام ، وتبجيل وإعظام . ( ٢٥ آ ) فإن كذب الرسول يفوت  
المراد ، ويولد الفساد ، ويُبطل الحزم ، وينقض العزم . واعلم أنه موسوم بعقله وموزون بفعله .  
وأن معاييب الرسل ومعاييرهم<sup>(٤)</sup> أحسن من معاييبك ومعاييرك ، ومناقبهم ومآثرهم أحسن من  
مناقبك ومآثرك ، لأن بهم يُستدل على مقدار معرفتك بمقادير الرجال ، ويوقف على كيفية  
تصرفك بمصاريف الأعمال . فأحسن الاختيار لهم والاستظهار عليهم . واعلم أنهم أساس

(١) معاوية بن حديج بمهملة ثم جيم مصغراً . انظر تهذيب التهذيب ( ١٠ : ٢٠٣ )

(٢) انظر : خطط المقرئ ( ١ : ٢٠٩ )

(٣) استبر كسبر : امتنع غور الشيء . (٤) المعايير العيوب

الملك وحراسه ، فلا تفعل مراعاة أحوالهم ، ولا تهمل مكافأة أفعالهم . وأول المحسن ما يستحقه بحسن الوفاء ، والمسيء ما يستوجب من سوء الجزاء ، ليتصرفوا على الأمانة ويتعففوا عن الخيانة إن شاء الله .

وجاء في سيرة المأمون أنه أرسل رسولا إلى ملك الروم فلما وصل إليه ، وأوصل ما صحبه من الكتب ، وأقام أيتاما ، استأذنه في الدخول إلى الأسرى فأذن له . فدخل إليهم وسألهم عن أخبارهم ، فأعلموه ما هم عليه . فلما أراد الخروج عنهم قام إليه رجل من أهل بغداد ، وأنشده أبياتا ، وسأله أن ينشدها المأمون .  
والأبيات (١) :

خرجنا من الدنيا فلسنا من أهلها	ولسنا من الأحياء فيها ولا الموتى (٢)
ألا أحد يرثي لأهل محلة	بأرض بلاد الروم في ضنكها أسرى
كانهم لم يعرفوا غير أسرهم	ولم يعرفوا إلا الشدائد والبلوى
طوى عنهم الأخبار قصر ممتنع	له حارس ، تهذا العيون وما يهدا (٢٥ب)
إذا دخل السجن يوماً لحاجة	فرحنا وقلنا (٣) جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا (٤) ، فجل حديثنا	إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت	وإن سمجت جاءت على عجل تترى (٥)

فلما وصل الرسول إلى المأمون فأنشده الأبيات ، أبكاه وأحزنه . فافتحه (٦) واستنقذهم ،

(١) نسبها المسعودي في المروج ( ٢ : ٢٩٥ ) إلى الفضل بن يحيى . ونسبها الجاحظ في المحاسن والأضداد إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ( ص ٥٩ ) ، ونسبت في شذرات الذهب إلى أبي العتاهية ( ١ : ٣٣١ ) وقال : كان الفضل بن يحيى ينشدها في سجنه  
(٢) في عيون الأخبار ( ١ : ٨١ ) ، والمحاسن والأضداد ( ص ٥٨ ) . « خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها » وقبل هذا البيت :

للى الله أشكواه منه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى

(٣) في عيون الأخبار ١ : ٨٢ « عجبتنا وقلنا »

(٤) في عيون الأخبار ( ١ : ٨٢ ) « وتعجبنا الرؤيا » .

(٥) في عيون الأخبار ( ١ : ٨٢ ) « وإن قبحت لم تحبس وأنت عجلي » .

وفي المحاسن والأضداد ( ص ٥٩ ) :

فإن حسنت كان بطيئاً مجيئها وإن قبعت لم تنتظر وأنت عجلي

وليس البيت بمستقيم .

(٦) كذا في الأصل . ولعل قبل هذا الحرف جملة ساقطة .

وفتح بعد ذلك من بلاد الروم مدناً جليلة وحصوناً منيعة واستباح قلاعاً شاهقة ، وقفل من بلاد الروم إلى مصره<sup>(١)</sup> .

قال الشاعر في تخير الرسول وانتخابه وترك التسميح فيه :

إنَّ الرسولَ مكانَ رأيكِ فالتمس      للرأيِ آمنَ مَنْ وَجَدْتَ وأنصحا  
تأبى الأمورَ على الغبيِّ فإن سعى      فيها الذكي فبالحرا<sup>(٢)</sup> أن تصلحا  
فإذا تخيَّرتَ الرسولَ فلا تكن      متجوِّزاً في أمره متسمِّحاً  
وتوخَّ في حُسنِ اسمه وروائه      قولَ النبيِّ تيمُّناً وتنجُّحاً  
واجعله إمَّا ماضياً أو نافذاً      أو ياسراً أو مُنجِحاً أو مُفلحاً

وقال الآخر يمدح رسوله ويذكر حرصه واجتهاده ويمنه وبركته .

مبشراً في حيث وجهته من المناجيح الميامين

كان ما يقضيه من حاجة أبعثه فيها له دوني (آ٢٦)

قال شاعر العرب<sup>(٣)</sup> في إفهام الرسول وصاته ، وتكرير القول عليه إلى أن

يلقنه ويفهمه :

إذا أرسلتَ في أمر رسولاً      فأفهمه وأرسله أديبا  
ولا تترك وصيته بشيء      وإن هو كان ذا عقل لييبا<sup>(٤)</sup>  
فإن ضيَّعتَ ذلك فلا تلمه      على أن لم يكن حفظ الغيوباً<sup>(٥)</sup>

كتب بعض الظرفاء إلى بعض إخوانه كتاباً وصف فيه رسولاً فقال في فصل منه :

« ... وقد رسمتُ بيني وبينك في<sup>(٦)</sup> النقل إليك عنى ، وإلى عنك ، لطيفاً ظريفاً لو كان في عينٍ لما قذيتُ ، أو على يمامة<sup>(٧)</sup> لما تأودت ، تفهمه اللحظة ، ويلقن<sup>(٨)</sup> الإشارة ويستغنى

(١) في الأصل « إلى مصر » .

(٢) الحرا الخليق ، ومنه بالحرا أن يكون ذلك ( القاموس ) .

(٣) وردت هذه الأبيات في مهدّب الأغاني ( ٩ : ١٣ ) لأبي العطاء السندی .

(٤) في المحاسن والمساوي للبيهقي ( ص ١٦٩ ) « أريباً » .

(٥) في المحاسن والمساوي ( ص ١٦٩ ) « علم الغيوباً » .

(٦) في الأصل « والنقل » . (٧) اليمامة : الفصن .

(٨) لقين : فهميم .



عن العبارة . لا يردّه حجاب ولا يُغلق عنه باب . أرق من الهوى<sup>(١)</sup> ، وأخفى من الطيف في الكرى ، إن رأيتَه مفضباً رضيتَ ، أو مُحَفَظاً عَفَوْتُ . أو مهموماً سَلَوْتُ ، وكتب أسفل كتابه :

أكرم رسولِي فإنه أذنٌ      تسمعُ عني ومقلّةٌ تنظرُ  
أذنو من النازح البعيد به      ولم أغب عن جميع ما يحضر  
ما ندم اثنان ظلَّ بينهما      بالرفق والالطف عاقل يسفر

وقال الآخر في الإسراع برسوله :

جُعلتُ فداءك لا تحبِسَنُ      رسولِي إليك ولا تُخَلِفَنُ موعدي (٢٦ب)  
ولا تُرْجِعَنَ رسولِي إليك      رجوع رسول أبي الأسود

وقال الآخر<sup>(٢)</sup> :

إن تشقَّ عيني بها فقد سعدتُ      عينُ رسولِي وفرتُ بالخبر<sup>(٣)</sup>  
وكلمًا جاءني الرسول لها      رددتُ عمداً في طرفه نظري  
تظهر في وجهه محاسنها      قلته أثرت فيه أحسن الأثر  
خذ مقلتي يا رسول عاريةً      فانظر بها واحتكم على بصري

وقال الآخر<sup>(٤)</sup> في المعنى وزاد زيادة ملح بها :

بعثتك مشتاقاً<sup>(٥)</sup> ففرتَ بنظرة      وأغفلتني حتى أسأتُ بك الظناً

(١) كذا في الأصل .

(٢) في محاضرات الراغب (٢ : ٤٧) أنها لمحمد بن أمية . وفي الطبري ، وابن الأثير ، وتاريخ بغداد لطيفور (ص ٢٩١) أنها للعباس بن الأحنف . وليست في ديوانه المطبوع .

(٣) في الأصل « قررتَ بالنظر » ولا يستقيم الوزن . وعند طيفور (٢٩١) « وفرت بالخبر » وهو ما أثبتنا .

(٤) في محاضرات الراغب (٢ : ٤٧) ، والطبري (١١٥٢/١١ III سنة ٢١٨) أنها للمأمون . وفي العقد الفريد (٤ : ٣٧٦) : « عتب المأمون على جارية من جواريه ، وكان كلفاً بها ، فأعرض عنها ، وأعرضت عنه . ثم أحزنه الهوى وأقلقه الشوق . فأرسل يطلب مراجعتها ، وأبطأ الرسول . فلما رجع أنشأ يقول :

• في الطبري ... وابن الأثير (٥ : ٢٢٩) « بعثتك مرتاداً » .

وناجيتَ مَنْ أهوى وكنْتَ مقرَّباً<sup>(١)</sup>      فياليتَ شعري عن لقائك<sup>(٢)</sup> ما أغنى<sup>(٣)</sup>  
وأمرحتَ<sup>(٤)</sup> طرفاً في محاسن وجهها      ومتمتَ باستسماع نغمتها أذناً<sup>(٥)</sup>  
فياليتني كنتُ الرسولُ ، وكننتي      فكنتَ الذي يقصى وكنْتَ الذي يُدنى<sup>(٦)</sup>  
وقال آخر :

هجر الرسول بهجر مرسله      فبقيت لا عيناً ولا أثراً  
صحت نصيحتة لمرسله      فأراه يهجر كلما هجرا  
واستأذن المديني في توجيه رسول فملح :

أئذني للرسول يأتيك مني      بكتاب ولا تردى جوابي  
فلعمرى ما حسرتى منك إن قا      سبتُ فيك العذاب دون العذاب (٢٧٧ آ)  
إنما حسرتى تذكُّرُ ما بي      من بلاء وليس تدرين ما بي  
واعلميه ، ولا تشبي عليه      أنا راضٍ بالعلم دون الثواب  
وقال شاعر العرب<sup>(٧)</sup> :

<إذا> أرسلوني عند تقدير حاجة<sup>(٨)</sup>      أمارس فيها كنتُ نعم الممارس  
ونفمي نفع الموسرين وإنما      سوامي سوام المقترين المفالس<sup>(٩)</sup>  
وقال الآخر ، وقد خاف أن يُعاد إليه رسوله بغير ما أربه :

ياسوء منقلب الرسول ل مخبري بخلاف ظني  
إني أعيدك أن تكو ن شغلتي وشغلتَ عني

- (١) في الطبري ... وتاريخ طيفور ( ٢٩٠ ) « مباعداً » وفي العقد ( ٤ : ٣٧٦ ) « مبعداً » .  
(٢) في الطبري ... « عن دنوك » .  
(٣) وبعده في الطبري : أرى أثراً منه بعينك بيئاً      لقد أخذت عينك من عينه حسناً  
وفي العقد : أرى أثراً منها بعينك لم يكن      لقد سرقت عينك من وجهها حسناً  
(٤) في العقد « ونزمت طرفاً » .  
(٥) في العقد « وتمتت باستسماع نغمتها أذناً » .  
(٦) في محاضرات الراغب :  
ألا ليتني كنتُ الرسول وكانني      فكان هو المقصى وكنْتُ أنا المدمنى  
(٧) في حماسة أبي تمام ( ٢ : ٢٧٠ ) أنها ليزيد بن الطرية .  
(٨) في الأصل « تعذر » ولا يستقيم الوزن ، والتصحيح من الحماسة .  
(٩) في البيتين إقواء . وكذا وردا في الحماسة .

وقال الآخر :

وابعث رسولاً في ملاطفةٍ قد أحكمت أحكامه الخيل  
تمن عليه غباوة وترى أفعاله كالنار تشتعل

وجاء في أخبار الشعبي أنه قال : قال لي ملك الروم لما شيعني وقد قلتُ من عنده :  
« كنتُ أحبُّ أن أسألك عن ثلاث . وكان حسنُ حديثك ينعني من ذلك . قلتُ :  
فليسألني الملك الآن عما أحب . قال : خضابك هذا حين غيَّرتَه ألا رددته إلى سجيته  
وسنَّخه<sup>(١)</sup> الأول أو تركته كما<sup>(٢)</sup> غيره الله تبارك وتعالى ! . قلتُ : الجوابُ عن هذا السؤال  
أن هذه سنة نبينا صلى الله عليه وسلم . قال الملك : سننُ الأنبياء لا مترك لها ولا احتجاج  
عنها . قال الملك : فهل للعرب من الأمثال مثل أمثال العجم ؟ قلتُ نعم . < قال > فعرَّفني  
منها مثلاً واحداً ، قلتُ : ابن آدم إذا<sup>(٣)</sup> ( ٢٧ ب ) لم تستحى فاصنع ما شئت . قال :  
هذا الذي لا يشبهه مثل ! قال : فأخبرني أيُّما أفضل أنت أم أبوك ؟ قلتُ أبي أفضلُ مني .  
قال : فمن أفضل أنت أو ابنك ؟ قلتُ : أنا أفضل من ابني . قال : هكذا نجد صفتكم  
أن الآخر فالآخر شر حتى يكون الآخر بمنزلة الكلاب<sup>(٤)</sup> . قال . قلتُ فإن ابن عم نبينا  
عبد الله بن العباس يروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيجيء في آخر الزمان أقوام  
تكون وجوههم وجوه الأدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين أمثال الذئاب الضواري ، ليس

( ٢ ) في الأصل « عما » .

( ١ ) السنخ : الأصل .

( ٣ ) في الأصل مكررة .

( ٤ ) في تاريخ ابن عساكر ( ٧ : ١٤٦ ) : وجهني إلى ملك الروم ، فلما كلمني قال : أنت أحقُّ  
بوضع صاحبك منه . فقلتُ : على بابهِ عشرةُ آلاف كلهم خير مني . فقال : هذا من عقلك ! ثم قال :  
أريد أن أسألك عن ثلاث خيال ، فإن خرجتَ منهن فأنت أعلم الناس . قلتُ : سأل . قال : حتى  
تخرج وأشيعك وأسألك عنهن ، فتمضي وليس في نفسي منهن شيء . فلما شيعني قلتُ : سأل عن  
الثلاث خيال . فقال : يا شعبي لكم مثل ؟ قلتُ : نعم ، ليس في الأرض مثل مثله . قال : وما هو ؟  
قلتُ : إذا لم تستحى فاصنع ما شئت . فقال : حسبك ما سمعتُ بهذا المثل قط . قال يا شعبي لم غيَّرت  
لحيتك بصفرة ، ألا صبرت على البياض كما ابتليت أو رددتها إلى نسجها الأول فغضبت بالسواد ؟ فقلتُ :  
هذه سنة نبينا . فقال : ما جاء به النبيون فليس فيه حيلة . قال : فأخبرني أنت خير أم أبوك ؟  
قلتُ أبي خير مني . قال : وأنت خير من ابنك ؟ قلتُ : نعم . قال : وابنك خير من ابن ابنك ؟ قلتُ : نعم .  
فقال الحمد لله الذي أظفرتني بك يا شعبي ، آخركم قرودة وخنازير إذا كنتم تزدادون في كل قرن شراً .  
وانظر الشذرات ( ١ : ١٢٧ ) فقد رويت بلفظ مختلف أيضاً .

في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكون<sup>(١)</sup> للدماء ، لا يرعون<sup>(٢)</sup> عن قبيح . إن تابعتهم واروك<sup>(٣)</sup> ، وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ، وإن ائتمنتهم خانوك . صبيهم عارم ، وشابهم شاطر ، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر . الاعتزاز بهم ذل ، وطلب ما في أيديهم قفر . الحلیم فيهم غاو ، والأمير بالمعروف مُتهم ، والمؤمن مستضعف ، [والفاسق فيهم مُشرف]<sup>(٤)</sup> . السنّة فيهم بدعة ، والبدعة سنة . فعندئذ يُسلط الله عليهم شرارهم ، ويدعو خيارهم فلا يُستجاب لهم<sup>(٥)</sup> .

قال الحسين بن محمد<sup>(٦)</sup> : قد أكثرت من الإيجاز والاقتصار ، وذلك أني أكثرت رسوم الأبواب ، وقَلَّلت ما ضَمَّنتها . لأن الثابت إذا أفاد المعلوم أغنى عن التكرير والإعادة . ولم أروني كل باب إلا الفقرة المفردة < و > الخبر المنقطع . ولم أقوِّ الحجج<sup>(٧)</sup> وأعرض < على > الأقوال إثارة منى لترك التطويل ، وعلماً منى بأن اليسير يُغني عن الكثير ، لأنك بحمد الله ممن نشأ في دواوين الأدب ، ورُبِّي في حجور ( ٢٨ آ ) العلماء ، واغتذى بالعلوم ، وارتاض بالفكر والفِطن ، وغنى بالإشارة عن العبارة ، والتلويح عن التصريح . والله يجمّل الزمان ببقائك ، ويدافع لنا عن مهجتك وحوِّ بائك<sup>(٨)</sup> ، ويبقيك علماً للعلم وينبوعاً للفهم ، ما أظلم ليل وأضاء نهار ، وما غرّدت على أُنكها الأطيّار ، بغالب أفضيته ، ونافذ مشيئته ، إن شاء الله تعالى .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد

خاتم النبيين ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين

بتاريخ سلخ شهر المحرم ، أوّل سنة ٧٩٠ من الهجرة

النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم . ( ٢٨ ب )

تام

(١) في جمع الزوائد ( ٧ : ٣٢٦ ) « سفاكين » .

(٢) في الأصل . « لا يرعون » . (٣) في جمع الزوائد « واروك » .

(٤) الزيادة من جمع الزوائد .

(٥) قال الهيثمي في جمع الزوائد ( ٧ . ٣٢٦ ) « روى الطبراني هذا الحديث في معجمه الكبير ،

وفيه محمد بن معاوية النيسابوري وهو متروك » .

(٦) في الأصل « الحسن بن محمد » . (٧) في الأصل « الحجج » .

(٨) الحوباء : النفس .



# رِسَالَةُ الْمَلِكِ

وَمَنْ يَصِلُحُ لِلرَّسَالَةِ وَالسَّفَاوَةِ

## الجزء الثاني

### فصول في الدبلوماسية

الرسائل والسفراء

في بلاد الغرب وبلاد العرب

تأليف

صلاح الدين المنجد



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه فصول قصار فيها إيجاز وتبسيط دفعني إلى كتابتها ما قرأته عن الرسل والسفراء في كتاب رسل الملوك لابن الفراء الذي حققته . فجاءت متممة له . وقد عنيت أن أجلو فيها صفحة من أمتع صفحات الدبلوماسية الإسلامية في العهود الخوالي تتعلق بالرسل والسفراء . وقصدت أن تكون مقدمة لدراسة واسعة عن الدبلوماسية في الإسلام . هذه السياسة التي كان لها شأن كبير في تاريخ المسلمين وعلاقاتهم بالأمم المجاورة .

وإني لأفخر أن تكون هذه الفصول أول ما يكتب في هذا الموضوع باللغة العربية في هذا العصر ؛ إذ ندر أن تجد عن الرسل والسفراء العرب وأحوالهم وصفاتهم وما يتعلق بهم ما يشفي الغلة أو يرضى النفس .

ولقد حاولت أن أبين هنا كل ما يتعلق بالرسل والسفراء في الإسلام منذ عهد الرسول حتى فتح القسطنطينية . وأظهر أن جميع الميزات والأوضاع التي تتبع اليوم في الدبلوماسية الحديثة — وليدة العصور الأخيرة — كانت معروفة لدى العرب في القرون الخالية . عدا أمور قليلة . وأن بعض هذه الميزات والأوضاع كانت ذات صفة حقوقية بمعنى أنه كان ينفذ ويحترم .

ولقد اضطررت في سبيل ذلك أن أتحدث في القسم الأول من هذا الكتاب عن المثلين الدبلوماسيين في الغرب وأن أردف ذلك بما يتعلق بالرسل والسفراء لدى العرب ، لتكون المقايسة واضحة جلية ، وليعلم القارئ ما عندهم اليوم وما كان عند العرب أمس .

وكان من الطبيعي أن يختلف نهجى في القسم الأول عن النهج الذي اتبعته في القسم الثانى . ذلك لأن أحوال المثلين الدبلوماسيين في الغرب مقررة معروفة . فجهدت في تلخيصها وتبسيطها ونقلها ، في حين أن أحوال المثلين في الإسلام ما تزال مجهولة . فأنا آتى إذن بأشياء جديدة . ولا بد لى من سوق الأدلة لأدعم رأياً أذهب إليه وأبلغ هدفا أريد إدراكه ؛ ومن هنا كانت كثرة النصوص والاستشهادات . فلا أقرر إلا بعد الاستشهاد ، وإذا قطعت بشئ سقت أدلتى عليه .



ولا أزعج أن هذه الفصول كاملة ، رغم ما عانيت في جمع موادها وإظهارها كما ترى . وأرجو أن تعقبها فصول أكثر سعة منها . غير أنها مع ذلك جديدة تحتاج إليها البلاد العربية ، في يقظتها الدبلوماسية التي تراها في جميع الأقطار ، رغم إيجازها .  
وإنه لواجب أن أشكر العلامة الكبير الأستاذ أحمد أمين بك الذي تفضل بالموافقة على طبع هذا الكتاب ووقف على نشره . كما أشكر سلفاً من يدلني على خطأ وقعت فيه لأجتنبه .

والحمد لله

صلاح الدين المنجد

ستان الرئيس - دمشق  
أكتوبر سنة ١٩٤٥

## القسم الأول

الرسول والسفراء في الغرب



# الفصل الأول

## الباب الأول

تعريف السفير — الرسل عند القدامى من الفرس والمصريين والبرانيين  
وأهل يونان — الرسل في القرون الوسطى — الرسل قبيل معاهدة  
وستفاليا — الرسل بعد معاهدة وستفاليا — عصر الدبلوماسية العظمى

السفير أو الرسول شخص كلف المثل أمام حكومة أرسل إليها ليبقى لديها ويتكلم  
باسم من أوفده أو يقضى أموراً مضي لإنجازها وتذليل المصاعب دونها . وقد عرف المصريون  
والفرس والبرانيين وأهل يونان وخاصة الرومان عادة الترسل والسفارة . فكان بعضهم  
يرسل إلى بعض رسلا يدافعون عن الحقوق ويحلون المصاعب وينجزون الأمور . وقد سمي  
أهل يونان والرومان هؤلاء الرسل باسم « أوراتور » ومنحهم حقوقاً خاصة يتمتعون بها ،  
على أن هذه الحقوق لا تماثل حقوقهم في أيامنا ، ولا تشاكل ما أقره لهم الشرع الدولي من  
مميزات وصفات .

فلما أظلت الناس القرون الوسطى قامت في أوربة حكومات متباينة ، وكان لكل  
منها صبغة ووجهة ، فبقيت طوال أجيال لا يرسل بعضها الرسل إلى بعض إلا قليلاً . لأن  
العالم المتمدن يومئذ كان في الأغلب يقوم في مملكة واحدة ذات شأن ، وكان ما تعداها  
من الممالك والأمم أدنى من أن يوازي بها أو يرسل الرسل إليها . وكان الملوك يرسلون الأمراء  
إذا اضطروا في أحيان شتى فينوبون عنهم في احتفال يقام أو زواج يعقد ، أو ترسل  
يجري ، ولينجزوا لهم خواص أمورهم التي كانوا لا يميزونها من أمور الناس ومصالح الرعية .  
وكان البابا في أحيان أخرى يرغب إلى الملوك والأمراء في إرسال رسل إليه يقدمون له باسمهم  
الطاعة ويؤكدون الولاء والخضوع .

ولعل البابوات كانوا السباقين الأوائل إلى إيفاد رسل إلى ملوك فرنسا وإمبراطور  
برنطية . وكان هؤلاء الرسل يسمون « المسؤولين Responsables » ، ثم انقلبوا إلى سفراء

دائمين ، يطلق عليهم اسم « نواب البابا » لدى ملك فرنسا وعاهل إنجلترا وغيرها .  
ثم جرى ملوك فرنسا على هذه السُّنة ، فكان للويس الحادي عشر رسل مقيمون  
لدى ملك إنجلترا ودوق برغونية . ولما تكاثرت مصالح الفرنسيين واتسعت أعمالهم وتشابكت  
قضاياهم اضطر ابنه شارل الثامن إلى إجبار الأمراء أن يكون لهم رسل دائمون عند سائر  
الملوك . فالتمثيل السياسي الدائم كان إذن نتيجة سياسة التوسع التي ظهرت في القرن  
السادس عشر .

على أنه لم يكن لهؤلاء الرسل نظام خاص يجرون عليه . وكانت الدبلوماسية يومئذ تمنح  
هؤلاء صفة تمثيل الملك في كل شيء . ومن هنا نشأت عوائق النفقات والتكاليف التي  
يتطلبها التمثيل ، والتي كانت الدولة تعجز عن القيام بها ، لأن نفقات من يتكلم باسم الملك  
لا حد لها ولا حصر ؛ كلما اتسعت كان ذلك أدل على عظمة الملك ورفعة مكانته . فلم يكن  
بدء ، والأمر كما رأيت ، من اللجوء إلى انتقاء هؤلاء الرسل من ذوى الترف والثراء الذين  
ينفقون إنفاق من لا يخشى الفقر في سبيل إظهار عظمة الملك دون أن تخسر الدولة خساراً عظيماً .  
ولم يصبح الرسل والسفراء دائمين يقومون في ديار الحكومة التي أرسلوا إليها إلا في  
ثنايا القرن السادس عشر ( القرن العاشر الهجري ) وقد انقسموا منذ ذلك الحين إلى فئات .  
وفي القرن السابع عشر حددت صفات الفئة الثانية منهم . ويمكن أن تتخذ معاهدة وستفاليا  
Westphalie ( ١٦٤٨ ) مبدءاً لوضع أسس ثابتة لنظام الممثلين السياسيين . ثم كان لمعاهدة  
اوترخت Utrecht ( ١٧١٣ ) أثر كأثر معاهدة وستفاليا في ذلك .

وبين معاهدة وستفاليا ومؤتمر فينا قام أعظم عصر دبلوماسي عرفته أوربة في تلك  
الأزمنة . ووجد التمثيل السياسي ميداناً واسعاً . وأصبح الرأي العام يفرض الحوادث فرضاً  
دون أن يتابع سيرها . وجعلت وفرة مصالح الدول وتضاربها أمر تمثيل ممثل واحد ، دولة  
واحدة ، في الدول جميعاً ، مستحيلاً . فكثر أنواع الممثلين ، وكان لهم شأن يفوق شأنهم  
اليوم ، لأن بُعد عواصم الدول بعضها عن بعض ، وصعوبة نقل الأخبار ، ورغبة الحكومات  
في عرفان ما يجري في كل دولة ، كان يشوقها لتسقط الأخبار وسرقة الأسرار . وقد عرف  
منهم في هذه الحقبة ثلاثة ضروب : وزير مطلق Plénipotentiaire ، وزير مقيم Resident ،

وزير قائم بالأعمال Chargè D'Affaires . وما كاد مؤتمر فينا يقوم حتى كانت قضية الممثلين السياسيين وصراتهم وصفاتهم ، نظراً لما جرى من قبل ، من أكثر القضايا التي بحثها المؤتمر شأنًا وأعظمها أثراً .

### الباب الثاني

تصنيف الرسل والسفراء — الملحق ذو الرقم ١٧ من معاهدة فينا —

#### بروتوكول إيكس لاشايل

كان أمر تصنيف الرسل من أهم القضايا التي تناولها مؤتمر فينا . وإلى زمنه يرجع عهد تصنيف الممثلين الدبلوماسيين المتبع في أقطار العالم إلى يومنا هذا . وقد كان هذا المؤتمر قد عقد في التاسع عشر من آذار سنة ١٨١٥ من قبل الدول الثمان التي وقعت في معاهدة باريس سنة ١٨١٤ أي النمسا وأسبانيا وفرنسة وبريطانيا العظمى والبرتغال وبروسية وروسيا والسويد وهاك الملحق الذي تضمن نظام الممثلين وتصنيفهم :

« نظام درجات الممثلين الدبلوماسيين الصادر في التاسع عشر من آذار ١٨١٥ — مؤتمر فينا الملحق السابع عشر .

« لتلافي الحيرة التي كثيرا ما حدثت أو التي يمكن أن تنشأ أيضا عن مطامع التقدم في المراسم والتشريفات بين الممثلين الدبلوماسيين المختلفين . فقد وافق مفوضو الدول الثمان التي وقعت في معاهدة باريس على المواد التالية وهم يعتقدون أن من الواجب دعوة رؤساء الدول الأخرى إلى اتباع النظام نفسه .

« المادة الأولى : يصنف الموظفون الدبلوماسيون ثلاثة أصناف :

١ — السفراء ، الليغا ، النونس . Ambassadeurs, Legats, Nonces.

ب — الرسل المبعوثون Envoyés الوزراء Ministres Plènipotentiaires

ج — وسائر المعتمدين لدى وزراء الشؤون الخارجية .

« المادة الثانية : أن للسفراء والليغا والنونس وحدهم صبغة تمثيلية .

« المادة الثالثة : أن الرسل الدبلوماسيين المكلفين القيام بمهمات رسمية فوق العادة

لا يمتازون في هذه الناحية من غيرهم من حيث الرتبة .

« المادة الرابعة : يحتل الرسل الدبلوماسيون مكانهم بين رسل الدول الأخرى في كل صنف باعتبار تاريخ تبليغهم وصولهم الرسمي .

« المادة الخامسة : يحدد في كل دولة أسلوب موحد لاستقبال الموظفين الدبلوماسيين في كل صنف .

« المادة السادسة : إن صلات القرابة ما بين البلاطات المختلفة لا تكسب موظفي هذه البلاطات الدبلوماسيين رتبة ما .

« المادة السابعة : إن الترتيب الذي ينبغي اتباعه في توقيع الصكوك والمعاهدات الجارية بين الدول المختلفة التي تقبل بنظام التصنيف هذا يعين بالقرعة .

« ضمّ هذا النظام إلى بروتوكول ممثلي الدول الثمان المطلقى الصلاحية التي وقعت في معاهدة باريس في اجتماعهم المنعقد في التاسع عشر من آذار ١٨١٥ » .

وفي سنة ١٨١٨ عقد مؤتمر ايكس لاشايل وبحث مرة ثانية في الأحوال الدبلوماسية فأصدر المؤتمر ماحقا هذا نصه :

مؤتمر ايكس لاشايل Congres D'Aix-La-Chapelle بروتوكول ٢١ نوفمبر ١٨١٨ :  
« قطعاً لدابر المناقشات المزعجة التي قد تحدث في المستقبل بشأن أمور خاصة تتعلق بأصول التشريرات الدبلوماسية لم تبت في ملحق مؤتمر فينا الذي بحث في المسائل المختلفة المتعلقة بالدرجات، قرّرت البلاطات الخمسة أن يؤلف الوزراء المقيمون المعتمدون لديها، بالنسبة لدرجاتهم، طبقة متوسطة بين وزراء الدرجة الثانية والقائمين بالأعمال Chargés Metternich, Castlereagh, Wellington, Richelieu, Ihardinberg, Bernstorff, Nesselrode, Capo D'Istria

حول هذا التصنيف : ونتج عن بروتوكول ايكس لاشايل أن أصبح الممثلون الدبلوماسيون أربعة أصناف . الصنف الأول : السفراء وسفراء الليغا والنونس الذين يعتبرون سفراء عاديين . والصنف الثاني : الرسل والوزراء المطلقو الصلاحية المعتمدون لدى الملوك ورؤساء الدول . وقد جرت العادة أن يضاف إلى هؤلاء ( الأنترنونس ) وهم رسل البابا وأقل مرتبة من النونس . والصنف الثالث : الوزراء المقيمون وقد أضيفوا في بروتوكول ايكس لاشايل ووافقت الدول في أيامنا على اعتمادهم . والصنف الرابع :

القائمون بالأعمال والرسول الموقتون والدائمون المعتمدون لدى وزراء الشؤون الخارجية .  
ونرى أن مؤتمر فينا في وضعه نظام التصنيف الدبلوماسي كان مصدرا لتقاليد دبلوماسية  
جرت الدول عليها حتى يومنا . وأهم ما فيه أن المعتمدين المكلفين بمهمات مؤقتة لا يحق لهم  
من جراء ذلك أن يطالبوا بالرقى إلى مراتب أرفع من مراتبهم . ومن ناحية أخرى فإن  
صلات القرابة والمصاهرات بين الأسر الموجودة في البلاطات المختلفة لا تكسب المعتمدين  
الدبلوماسيين المنتسبين إلى هذه الأسر امتيازاً خاصاً . وأمر آخر له شأنه هو تصنيف هؤلاء  
الممثلين الدبلوماسيين حسب تاريخ وصولهم الرسمي . وهذا هو أساس أنظمة التشريفات  
بعينه . ثم لجى إلى القرعة لترتيب توقيع المعاهدات والاتفاقات إذا اقتضت الحاجة ذلك .

### الباب الثالث

#### إيضاح الأعمال — إيضاح الأسماء

ولعل من الطرافة أن نتبع أعمال كل صنف ونفسر كل اسم .  
أما كلمة السفير *Ambassadeur* فتتحد من أصل جرمانى من كلمة *Ambacht* ومعناها  
ممارس السلطة القضائية باسم رئيس الدولة في الكور والأقاليم . ثم أطلقت على أرفع صنف  
من الرسل الذين يمثلون رؤساء دولهم لدى رؤساء الدول الأخرى ، ولا يفاوضون وزير الشؤون  
الخارجية بل رئيس الدولة وحده .

أما الليغا *Legat* فهو سفير البابا يوفد للقيام بمهمة سياسية خاصة أو ليمثله في أمر من  
الأمر . وتنتهى مهمته بانتهاء عمله ، ومن هؤلاء من هم دائمون . وينتقون عادة من الكرادلة  
*Cardinaux* . ومنهم من يطلق عليهم اسم *Legats Missi* وهم سفراء البابا الذين يعنون  
بالتمثيل الدبلوماسي ويمثلون البابا لدى رؤساء الدول المسيحية .

أما النونس فهو سفير البابا الدائم غير أنه يقوم علاوة على مهمته السياسية التي يكلف  
القيام بها بوظائف روحية ودينية .

أما الأنترنونس التابعون للبابا فيعتبرون كالممثلين الدبلوماسيين من الدرجة الثانية ، ولم  
يكن لحامل هذا الاسم من قبل صبغة دينية ، وكانت النمسا قد عينت لدى الخلفاء العثمانيين في



الحقبة الواقعة بين سنتي ١٦٧٨ و ١٨٥٦ ممثلاً دبلوماسياً يحمل اسم أنترونونس . ثم اختص سفراء البابا من الدرجة الثانية وخدم بهذا الاسم .

أما الوزراء المفوضون فهم أقل درجة من السفراء إذ لا يمثلون رئيس دولتهم وليس لهم الحق في مفاوضته رأساً .

أما الوزراء المقيمون فقد ظهروا بظهور السفارات الموقته وكان من النادر باديء بدء أن يكون للدول ممثلون دائمون مقيمون في الدول الأجنبية ، وكان أحدهم إذا اضطر إلى إطالة إقامته في إحدى البلاد أطلق عليه لقب « المقيم » . ولما أصبحت المهمات الدائمة من القواعد العامة لازم هذا اللقب وزراء الدرجة الثالثة .

والقائمون بالأعمال هم ممثلون دبلوماسيون ولكن من طبقة أدنى . ولهم حكم الوزراء العامين باعتبار أنهم مدعوون في كل حين إلى النيابة عن رؤساء البعثات كلما نشبت خلافات فجائية أو قام نزاع بين البلدين وذلك لصعوبة مراجعة وزراء الدرجة الأولى أو الثانية في مثل هذه الأحوال .

وينبغي أن يميز القائمون بالأعمال من القائميين بالأعمال الوكلاء . أما الأوائل فهم ممثلون دبلوماسيون عاديون يعينون لمراتب ثابتة دائمة وعليهم إدارة الأعمال الدبلوماسية ، شأنهم في ذلك شأن الممثلين من الدرجات الأخرى . والفرق الفرد بين القائميين بأعمال وبين وزراء الدرجات الثلاث الأخرى أنهم لا يعتمدون لدى رؤساء الدول ، بل يرسلون إلى وزراء الشؤون الخارجية . أما القائمون بالأعمال وكالة فهم ممثلون يكلفون بمهمات موقته وعليهم إدارة أمور البعثات بالوكالة بانتظار تسمية موظف أكبر ، وزيراً كان أو سفيراً . ويقوم بهذه الوكالة في أحيان كثيرة موظفو المفوضيات والسفارات من الدرجة الثانية .

## الباب الرابع

### إصلاح التصنيف

محاولة جمعية الأمم الإصلاح — استفتاء الدول Referendum

وقد لاقى تصنيف الممثلين الدبلوماسيين على الشكل الذي أقره مؤتمر فيينا ثم مؤتمر

إيكس لاشايبيل القبول لدى الحكومات كلها ، لأنه يستند على تقاليد قديمة ويمتاز بأنه كما زعموا يوافق العقل والمنطق .

إلا أن محاولة قامت في السنين الأخيرة لإصلاح هذا التصنيف . وكانت جمعية الأمم أولى الداعيات إلى هذا الإصلاح . فقد أُلّف مجلس هذه الجمعية في عام ١٩٢٤ لجنة من ذوى الرأى والخبرة لجمع القانون الدولى . فأعد أعضاؤها جريدة بالقضايا ذات الصلة بالشرع الدولى التى رؤى أنها خليفة بأن تفرد لها مباحث خاصة . وقد كان لتصنيف الممثلين الدبلوماسيين المكان الأول فى هذا المسرد .

وكلفت لجنة فرعية مؤلفة من عضوين تقديم تقرير خاص بذلك . فاقترحت تصنيفاً جديداً ، وجهت هذه اللجنة إلى الدول فى اليوم الثانى من نيسان سنة ١٩٢٧ ثلاث مسائل تسألها رأياً فيها . فصوتت ثمانى حكومات من سبع وعشرين حكومة على إجراء التعديل (النمسا ، استونيا ، لتوانيا ، هولنده ، البرتغال ، سلفادور ، السويد . . . ) كما اقترحت اللجنة الفرعية ، وتقدمت أربع دول أخرى (الدانمارك ، فنلندا ، هنغاريا ، بولونيا) بملاحظات ذات شأن لتبنى تقرير اللجنة الفرعية ، واحتفظت ثلاث دول أخرى برأىها : (استراليا ، مصر ، رومانيا) .

وقد صرحت البرازيل بأن الأمم الديمقراطية الحديثة لا تعتبر الميزة المعطاة للقرار تحويراً للمبادئ الجمهورية . وبينت إحدى عشرة دولة بصراحة بأنها تعارض كل تعديل للنظام المتبع : (إفريقية الجنوبية ، ألمانيا ، بلجيكا ، أسبانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، بريطانيا العظمى ، زيلندا الجديدة ، الهند ، النروج ، فرنسا ، اليابان) ، وقد دعمت بلجيكا وأسبانيا معارضتهما بحجج قوية جدا ذات شأن .

والظاهر أن أعظم الدول لا ترغب فى التعديل ، بل تميل إلى إبقاء النظام الذى وضعه مؤتمر فينا . على أن التعديل لا بدّ واقع بعد حين .

## الباب الخامس

### صفة التمثيل - اقتراحات جديدة

وثمة أمر يحتاج إلى تفصيل . فقد رأيت أن في بنود ملحق مؤتمر فينا السابع عشر عناية بأمرين : الأول ظاهري يرمى إلى تلافى المنازعات التي كانت تحدث في التشريرات بين الممثلين الدبلوماسيين ، وهي منازعات قد كان من الممكن تلافيتها دون الاستعانة بتصنيف وهمي لا يقره المنطق . والثاني ، وهو الأمر المقصود يرمى إلى ضمان الشأن الأول لمثلي الدول الكبرى .

والواقع أن المفوضين المطلقى الصلاحية الذين قرروا ذلك حاولوا بادى الأمر أن يصنفوا الدول نفسها ، وكانوا يستهدفون من وراء ذلك تحديد مدى نفوذ سلطان كل دولة . فلما رأوا أن في هذا من المشقة والعنت ما لا يستهان به ، وأن دونه صعوبات وأهوالا عظاما لا تذلل عادوا إلى تصنيف الممثلين الدبلوماسيين . ومع ذلك فقد حصروا صفة تمثيل الملك والتكلم باسمه في السفراء والليغا والنونس .

فماذا قصدوا من صفة التمثيل هذه ؟

لقد كانوا يقصدون أن السفير يمثل الدولة نفسها ويتعاقد مع رئيس الدولة المعتمد لديه مباشرة .

وقد أقام العلماء حول صفة التمثيل هذه نقاشاً واسعاً فيه من الطرافة الشيء الكثير . فقد ذهب Ferreira إلى أن هذا التعريف الذي عرفت به صفة التمثيل مشوب بخطأ بين ، لأن السفراء يومئذ كانوا لا يمثلون رؤساء دولهم في مصالحهم الخاصة ، ولأنهم كانوا من جهة ثانية لا يستطيعون التعاقد مع رؤساء الدول بلا تدخل وزير الدولة . كما أن من الخطأ أن لا يعترف لمثلي الدولة الدبلوماسيين ذوى الدرجة الثانية أو الثالثة بالصفة التمثيلية .

فليس الملك في الوضع الراهن للشرع الدولي العام ذا سيادة مطلقة لأن الأمة وحدها هي ذات السيادة . وإن ما يكلف المثلون القيام به هو في الحقيقة مصالح الأمة كلها ، فينتج عن ذلك أن هؤلاء الدبلوماسيين سواء أ كانوا ينتمون إلى دولة عظيمة أم حقيرة ، ملكية أو

جمهورية ، وسواء ألقبوا سفراء أو وزراء فإنهم يستمدون سلطتهم من مصدر واحد ، ويقومون بتمهة جليلة واحدة . إنهم يدافعون عن مصالح متشاكلة ، ويهدفون أهدافاً متشابهة هي : مصالح الأمة .

ولذلك نجد أن بين كتب الاعتماد التي يحملها السفراء أو الوزراء ذوو الصلاحية المطلقة وبين واجبات هؤلاء وحقوقهم ، ثم بين الامتيازات والحصانات التي اعترف لهم بها ، والصلات التي تصل بعضهم ببعض أو الحكومات التي ينتسبون إليها ، مساواة مطلقة . فإذا اعتبرنا ما تقدم لم نجد ما يبرر تصنيف السفراء قبل الوزراء ، بل يمكن القول بأن تطبيق نظام مؤتمر فيينا وإيكس لاشايل عمل يخالف دستور البلاد التي لا تقرّ بالسيادة إلا للأمة وحدها .

وذهب Gustavo Guernero إلى أنه إذا كان الخطأ في فهم الصفة التمثيلية التي ميزت السفراء من غيرهم قد أثار نقداً في القرن الخالي فإننا لا نجد ما يدعو الآن إلى الاحتفاظ بألقاب مختلفة لتسمية أشخاص يقومون بعمل ذي هدف واحد . ويؤيد علماء الشرع الدولي هذا الرأي . فقد كتب كلوبر Kluber سنة ١٨١٩ أنه يجب اعتبار الممثل الدبلوماسي من حيث الأعمال التي يكلف القيام بها ممثلاً للحكومة . وله أن يتصف بالصفة التمثيلية . وأضاف إلى ذلك أن هذه الصفة واحدة يتصف بها الوزراء جميعاً بصرف النظر عن طبقاتهم .

ونادي فيرارا Ferreira بإسقاط اسم السفراء من المجموعة الدبلوماسية باعتبار أن نظام الحكومات الدستورية لا يسمح بالتعاقد بين الملوك مباشرة ، وهؤلاء يتكلمون باسم الملوك ويعقدون العقود مع الحكومات باسم الملوك أيضاً . ويضيف إلى ذلك أن هذه الطبقة الأولى طبقة السفراء متى ألغيت باعتبار أنها تخالف دستور البلاد ، وأبطلت معها المراسم التي تمتاز بها والتي لا تأتلف هي وعادات هذا العصر واتجاهاته ، عندئذ يصبح اسم سفير لقب الوزراء الذين ندعوهم ممثلي الدرجة الثانية والذين ينبغي أن يتبوؤوا الدرجة الأولى في الدبلوماسية منذ اليوم . واستنتج برادير فودير Pradier Fodere أن تحقيق هذه الرغبة هو تحقيق أمنية العقلية الحديثة المعاصرة . ومن المؤكد أنه ينبغي أن لا توجد سوى فئة واحدة من الوزراء العامين

مادام هؤلاء لا يتكلمون باسم حاكم أو ملك ، وإنما يتكلمون باسم أمة ويمثلون مصالحها .  
والأم وحدها هي صاحبات السيادة .

ويوجز سواريز José-Leon Suarez في الاستنتاج فيقول (١٩١٩) : لما كان مصدر  
لتمثيل الدبلوماسية هو سيادة الأمة ، وكانت هذه السيادة مطلقة فمن البديهي أولاً أن لا يكون  
صبغة تمثيلية واحدة ، ومن المنطق ثانياً أن لا توجد سوى طبقة واحدة من الممثلين  
الدبلوماسيين .

وكتب Fiore بهذا الشأن فقال : « . . . . » وإن من الصعب تعيين الفرق بين ممثلي  
الدرجة الأولى وممثلي الدرجة الثانية . إن رئيس السلطة التنفيذية أو رئيس الدولة هما اللذان  
يعتمدان ممثلي الدرجتين على السواء . ولقد كان تمييز السفراء من الرسل قد بنى باديء بدء  
على أساس كان له من قبل وجه . فقد كانوا يمنحون السفراء في ذلك الحين حق عقد الاتفاقات  
مع رؤساء الدول مباشرة ، في حين أن الآخرين رغم أنهم معتمدون لدى هؤلاء الرؤساء  
ما كان يسمح لهم بالتعاقد مباشرة مع رئيس الدولة . فكانوا يعتقدون أن الشخص الذي  
يتمتع بالشأن الكبير والصلاحية الكبرى ، وهي التعاقد مع رئيس الدولة ، هو أرفع شأنًا من  
الوزير القائم بالأعمال . إن تمييزاً كهذا لا شأن له اليوم لأن تطور الحكومة لا يسمح  
للحوك بالتفرد بإدارة شؤون الدولة . فصلاحية هؤلاء الممثلين الدبلوماسيين قد أصبحت في  
الواقع واحدة .

ويهرأ البارون سيلاسي Scilassy في كتابه Manuel Pratique De Diplomatie  
Moderne من نظام السفارات ويسميه « مقبرة السفارات » . ويقول : « إن الاختلاف الموجود  
في الدرجات اليوم بين السفراء والوزراء يرجع أمره إلى تقاليد تاريخية لا إلى تباين شأن  
هذه المراتب نفسها . فكم من وزراء دبلوماسيين كانت مهمتهم أدق شأنًا وأكثر خطراً من  
مهمات السفراء في دول أخرى » . ودعا إلى إطلاق لقب واحد على جميع الممثلين الدبلوماسيين  
حتى ممثلي البابا .

في هذا كان علماء الشرع الدولي الأميون يفكرون منذ زمن بعيد سبق تأسيس جمعية  
الأم . وتلك كانت مبادئهم . وما دام الشرع الدولي ينزع نحو تفكير جديد في الأمر فلا  
يعقل بعد الآن أن يثابر على مراعاة تقاليد لا فائدة منها ولا شأن لها .

## اقتراحات جديدة

ذلك ما قاله علماء الشرع الدولي وما أخذوه على النظام القديم . ولقد رأيت أن أقوالهم كلها تدور حول دائرة واحدة لا تخرج عنها ؛ ورأيت أن فيها قوة وسداداً . فهم يريدون أن لا يكون اختلاف بين أنظمة الحكومات الدستورية ونظام السفراء وصفة التمثيل . ويريدون أن تنسجم الأمور فلا تتصعب وأن تكون سهلة لا تعقد فيها .

وقد اقترحوا اقتراحات شتى نقل إليك واحدا منها . فقد كتب غريرو وكييل رئيس لجنة المحكمة الدولية الدائمة أنه يمكن ضم السفراء والليغا والنونس والوزراء ذوى الصلاحية المطلقة والوزراء المقيمين في صنف واحد وأن يطلق عليهم اسم واحد أيضا . ويحتفظ لممثلي البابا بمراسمهم التقليدية اعترافا بفضل رئيسهم . ثم يؤلف القائمون بالأعمال طبقة ثانية ، لا لأنهم يختلفون عن سائر الممثلين الدبلوماسيين من حيث المصالح التي يمثلونها ، بل لأن كتب اعتمادهم تمنح من وزراء الشؤون الخارجية وتقدم للوزراء أنفسهم .

أما الاسم الذي يطلق على ممثلي الدرجتين فقد اتقى غريرو لها اسم سفير ، وزير عام ، رسول ، عميل .

يقول ونصرف النظر عن لفظ عميل لأنه يوصى إلى أعمال أدنى مما يقوم به الممثلون الدبلوماسيون .

ونطلق اسم رسول على القائمين بالأعمال الذين لم يحسن اختيار لقبهم من قبل . ولما كان لفظ وزير عام أو وزير ذى صلاحية مطلقة يحط في الظاهر من شأن السفراء اليوم فمن المستحسن إبقاء لقب سفير لتسمية الممثلين الذين وردت أسماؤهم في الدرجات الثلاث التي وضعها مؤتمر فيينا .

وهكذا لا يبقى لدينا إلا السفراء والرسول .

هذا ما اقترحه غريرو . ومن الواضح أن اتجاهات الحرب الحاضرة ستفسر عن نظام جديد يقترب من الأمية ويدعو إلى وحدة العالم كله ... وينزع الفروق بين هؤلاء الممثلين .

# الفصل الثاني

## الباب الأول

### صفات السفير

أجمع أهل الرأي في الدبلوماسية أن الممثل السياسي ينبغي أن يتحلى بصفات عقلية .  
وأخرى جثمانية وأن تكون له هبة طبيعية تساعد على أداء بعض الواجبات والقيام  
ببعض المهمات .

وقرروا أن هناك صفات لا بد أن تتوفر فيه ، منها : الصدق والأمانة والشجاعة والنزاهة  
والعزم وقوة الإرادة وصحة الحكم وتوقد الذكاء واللين والعقيدة . . فإذا اقترنت هذه الصفات  
بهبات شخصية زاد شأنها وعظم صاحبها . وإذا أوتى إلى ذلك كله طلاقة اللسان وحلاوة  
البيان وبراعة التكيف حسب البلدان كانت له المنزلة التي بها لا يستهان .

وينبغي أن يتقيد الممثل السياسي بمواعيده وينبغي بهوده . كما ينبغي أن يكون قد نال  
من العلوم والمعارف شطراً كبيراً وبالأخص مما كان له صلة بالشؤون الدبلوماسية . وقد ضمنت  
المسابقات التي تقام لانتقاء الدبلوماسيين في مختلف بلاد العالم هذا الأمر لأنهم يضطرون  
إلى عرفان كل شيء يتصل بسبب إلى مهنتهم . ثم يضيفون إلى ما عرفوه معارف جديدة  
فتنضج عقولهم وتنسع ثقافتهم .

وقد وجهت العناية إلى انتقاء الدبلوماسيين من الذين يحسنون لغات متعددة ، وقد كان  
للفرنسية والإنجليزية المقام الأول . وقد سما شأن اللغة العربية في الأزمنة الأخيرة وقدم من  
يتقنها على غيره .

ولا بد للدبلوماسي المحنك من أن يحتاط ليسلم من الزلل . وينبغي أن لا تؤول به  
حيطته إلى الإسراف في الحماسة ، لأن كل حماسة في غير موضعها فيها من الإساءة إليه أكثر  
مما فيها من الإحسان .

ومن الواجب أيضاً أن لا يكون له في البلد الذي اعتمد فيه مصالح مالية تشغله عن مصالح أمته لأن امتلاك البني يقضى بالاختلاط مع الناس ومحاورتهم ومعاملتهم . وقد يؤدي ذلك إلى خرق هيئته وتقاعسه عن الدفاع .

وإذا كان الرسول أو السفير كاتباً أو مؤرخاً فالف أو أرخ وكتب ما قد يكون له الأثر الطيب في حسن سمعة حكومته أو تبيان سموّ المصالح التي يدافع عنها فلا بدّ من أن يأذن له رؤساؤه بنشر ذلك قبل نشره .

إن الحيلة وكتمان الأسرار والاقتصاد في الكلام خلال يستحسن وجودها في كل دبلوماسي قدير . وقد يصل الرسول أو السفير إلى ما يشاء بصدقه وأمانته إذا أمسك لسانه عن الكلام فلم يتفوه إلا بما هو صحيح ، ولم يعد إلا ما هو واثق من الحصول عليه . وهذه الخلة إذا وجدت ورافقها كتمان الأسرار ساعدته على إدراك النجح في أعماله .

وإذا كان الكذب من ضرورات الدبلوماسية أحياناً فليس معنى ذلك أن يكون أبداً كاذباً . وإن تاريخ الدبلوماسية حافل بالفضائح الشهيرة الملامى بالكذب ، ولم ينفع الكذب أصحاب تلك الفضائح إلا قليلاً .

ويجب أن يكون ما يسمعه الدبلوماسي أضعاف ما يتكلم به . وبذلك يجتنب إفشاء أمور كان يجدر به أن يحتفظ بها ويدع محدثيه يتكلمون عليها . وبذلك يضم إلى ما عرفه عنها أشاوى أخرى . ولا بأس أن يتلون أحياناً مع احتفاظه بشخصيته الأصلية تبعاً لشخصية مخاطبه ، فيوافقه على آرائه ويوهمه أنه على مذهبه ويتكلم على قدر عقله . وعندئذ يقف بسهولة على مآرب محدثه ويعرف ما يرمى إليه وما يخفيه في نفسه . وذلك بفضل هذه الحيلة التي تحمّل على الظن بوجود مشاركة في الرأي والهدف .

ويظهر فضل هذه الرياضة العقلية إذا مارسها الدبلوماسي إبان المفاوضات ، وتساعدته على التحرر من التعليمات الضيقة التي أعطيت له ، ويسهل عليه أن يفهم عن خصمه ويعلم الأهداف التي يستهدفها ويختار بعد ذلك الطريق المعبّد ليتفاهما معا ، فيرضى عنه الخضم ويصل هو إلى ما طلب منه .



وواضح أن الدبلوماسية يجب أن يجتنب كل ما يجترّ عليه العطن لأن نقاء سلوكه وهيبته وقاره لها أثرها في ممارسة الأعمال التي يحمدها عليها ولا يذم .

وواضح أيضاً أن معظم هذه الصفات لا تظهر إلا مع الزمان . غير أنه لا بد من مؤهلات طبيعية لذلك . ورؤساء الدبلوماسية يراقبون سيرته سرا بطرق شتى . فإما أن يرقى وإما أن يسفل . ولذلك يجب أن يكون مراقباً نفسه دائماً حذراً من كل شيء .

والمال والنسب لها أثرها في كمال الدبلوماسية . إلا أن هذين العاملين لا يكفيان وحدهما لجعله كاملاً ، ولا بد من الكفاءة والثقافة والقدرة على العمل . ولكن إذا تساوى مرشحان لمرتبة دبلوماسية في الثقافة والكفاءة فيفضل المرشح ذو الغنى على المرشح الفقير .

وشرف النسب وكرم المحتد لا يقل شأنًا عن وفرة الغنى . وللدبلوماسيين ذوى النسب الشريف أثر أحياناً في بلوغ ما يريدون . وهذا لا يعني أن دبلوماسياً بارعاً قلب الدهر أشطره وتغلب على صروف الأيام وذاق الحلو والمرّ وبلى الخداع كله لا يستحق أن يتقدم صاحب النسب العريق أو المنظراني الجميل السافل في نفسه الدنيا في طباعه وأعماله .

أما السن فلا حدود لها . فالحكومة تنتقى من تشاء . فقد ترسل دبلوماسياً في الثلاثين من عمره إلى أعظم حكومة وتبعث بآخر في الستين من عمره إلى أصغر دولة . وهي إذ تنتقى تضمن مصلحة الأمة ، وتراعى إمكان نجاح هذا الممثل الدبلوماسي فيما ذهب فيه .

ولا يتقيد ببلوغ الستين من العمر لإخراج الدبلوماسي ، فقد يؤدي السن ما لا يؤديه الشاب من الأعمال بفضل ما أوتيته من نضج وما شدها من علم .

ويمكن استخدام الممثل الدبلوماسي في فرنسة حتى بلوغه الخامسة والستين من عمره ، في حين أن السن المحددة هي الستون . (المرسوم الصادر في ٣١ آب ١٩٣٩) .

وهناك قضية الجنس . أيقصر في اختيار رجال الدبلوماسية على الرجال دون النساء ؟ إن هذا لم يراع قط . فقد وجدت نساء دبلوماسيات أوتين البراعة والمهارة ، وقمن بأعمال رائعات ، إلا أنه يجب أن نعترف أن براعة هؤلاء شذوذ لا يصادف دائماً ، ومن المنطق لأسباب كثيرة أن يكون الأمر كذلك . ومن الدول التي اتقت النساء للأعمال الدبلوماسية النروج ، وبلغاريا ، والأرغواي ، وروسيا السوفيتية ، وأسبانيا . وقد برعت

مدام كوتنتاي Mme. Kottontai الروسية في أعمالها الدبلوماسية راعة كبرى شهدت لها  
بها حكومتها .

وقد حاول نساء فرنسة أن يكون منهن ممثلات دبلوماسيات . لكنهن لم يبلغن ما أمتلن .  
( انظر المرسوم الصادر في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٩ ) ولما فازت إحدى الطالبات فوزاً كبيراً في  
إحدى المسابقات التي أجريت لانتقاء ممثلين دبلوماسيين لم ترسل إلى دولة ما ، بل عهد إليها  
بعمل في دواوين وزارة الشؤون الخارجية نفسها .

# الفصل الثالث

## الباب الأول

### القبول والرفض

القبول Agréation هو إحدى الطرق الأساسية في تعيين الممثل الدبلوماسي لتكليفه القيام بمهمة ما لدى دولة ما . ويجري القبول عادة في الزمن الواقع بين تسمية الممثل السياسي لمنصب ما واليوم الذي يستطيع فيه أن يقوم بعمله لدى الدولة التي اعتمد لديها . وإذا كانت الدولة التي ترسل الممثلين حرة في انتقائهم ، فإن الدولة التي يعتمد الممثل لديها لها الحق أيضاً في رفض كل ممثل دبلوماسي لا ترضى عنه أو تجد في وجوده لديها إزعاجاً لها . فحرية القبول تشترط حرية الاختيار .

فإذا أرادت إحدى الحكومات أن توفد ممثلاً دبلوماسياً ذا رتبة معروفة إلى دولة ثانية فلا بد لها قبل إيفاده من إخبارها عنه لإبداء رأيها فيه . فلما أن تقبل الاقتراح ويكون المرشح مرغوباً فيه Persona Grata ، وإما أن ترفضه ويكون غير مرغوب فيه Persona non Grata وهذا ما نسميه بالقبول .

ويشير المؤلفون في الدبلوماسية وشؤونها إلى أن هذه الطريقة ليست سوى اتفاق بسيط بين الحكومتين وهو اتفاق لا ينشئ حقاً تطالب به ( الدولة التي اعتمد الممثل لديها ) كما أنها لا تنشئ اضطراراً ( للدولة المعتمدة ) لإجراء الأمور المذكورة . لأن إباء الحكومات وتفردتها في القيام بأموورها لا يسمحان بأن يُعْمَل عليها ولو من طرف خفي رغبة أو إرادة . والمنطق السليم يقضي بأن يعترف لكل حكومة بحق إدارة شؤونها الدبلوماسية ، وهذا أمر لا جدال فيه . ولكن نجد من جهة ثانية أن في اعترافنا لكل حكومة بحق قبول ممثلي الدولة الثانية أو رفضهم خطراً ظاهراً . ذلك لأن رفض الحكومة أن تقبل الممثل المرسل إليها من حكومة أخرى رفضاً صريحاً علناً يسئ إلى الدولة التي أرسلت الممثل ولو كان لتلك الحق في ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن إعلام الدولة باسم الذي سيرسل إليها قبل إرساله من التقاليد الحسنة التي يتجنب بها مفاجآت قد ينتج عنها ما لا يحمد عقباه .

إن إبلاغ قرار تعيين ممثل بدلاً من ممثل يجرى بسهولة زائدة . وقد يكون الممثل المنقول قد علم بمن سيخلفه قبل مغادرته البلاد التي هو فيها . وقد يتراسل رئيسا الدولتين بذلك ، وهو مما يندر حدوثه في أيامنا . وفي هذه الأحوال كلها لا يشعر الممثل المنقول بأى غضاضة ، لأن الحكومات كالأفراد كثيرة التحوّل ، فربما رغبت في ممثل ورغبت عن آخر . ولأن أسباب الرفض لا تستهدف في أكثر الأحيان الممثل المخلوع نفسه .

وهنا تنشأ قضية ذات شأن ، أترغم الدولة التي رفضت قبول ممثل ما على تبرير رفضها . لقد كانت هذه القضية مثار جدل طويل من الوجهة النظرية والوجهة العملية . ويبدو بادئ بدء أن هذا السؤال ليس يجدي نفعاً ما دمنا نعترف لكل دولة بحقها في إدارة أمورها الدبلوماسية كما تشاء ، وفي اختيار الممثلين الذين يوافقون هواها ، ورفض الذين يخالفون أهدافها . فينتج عن هذا أنه ليس من الواجب تبرير الرفض . وقد كانت إنجلترا تطالب الحكومات التي ترفض قبول مرشحي جلاله الملك عن أسباب رفضها . وقد كانت هذه النظرية الإنجليزية التي لم تتبعها سائر الدول كافية لطرح هذا السؤال على بساط البحث . وقد ثار الجدل ودرست الجامعات العلمية للشرح الدولي هذا الأمر ، وجهدت في إيجاد حل له . وكانت النتيجة التي وصلت إليها أن ليس على الدولة التي اعتمد الممثل لديها أن تبرر رفضها إياه . وحينما انعقد المؤتمر الخاص بالدول الأميركية عام ١٩٢٨ في لاهافان أدخلت على المادة الثامنة من الاتفاق الخاص بالممثلين الدبلوماسيين فقرة تقضى بأن لا يسمح لأية دولة بإرسال ممثلين دبلوماسيين يمثلونها لدى دولة أخرى إلا بعد موافقتها ، وبأن للدول الحق برفض استقبال أي ممثل من غير أن تبرر رفضها . ويضيف النص إلى ذلك بأن يعترف أيضاً بالحق نفسه للدول نفسها فيما يتعلق باسترداد ممثل قد باشر عمله .

وقد قبل المعهد الأميركي للشرح الدولي في المادة العاشرة من مشروعه المتعلق بالممثلين الدبلوماسيين المبدأ المذكور ، وقال لا ينبغي تبرير الدولة رفضها قط .

والرفض ضربان : رفض عام مطلق ، ورفض خاص .

أما الرفض العام Refus Général ou Absolu فيحدث عندما تصر إحدى الدولتين علانية على الامتناع عن استقبال أى وزير كان من الدولة الثانية خلال حقبة من الزمن ، أو أن تخشى الدولة التى اعتمد لديها الممثل حدوث قلاقل فى بلادها من جراء وجود الممثل لديها ، وخاصة إذا كان طراز الحكم فى بلاده يخالف طراز الحكم فى البلاد التى أرسل إليها . وقد اتخذت كثير من الدول هذه الوسيلة لرفض استقبال ممثلى البابا أو ممثلى روسيا السوفيتية .

أما الرفض الخاص Refus Spécial فيكون مستهدفا للممثل الدبلوماسى نفسه . وهذه أكثر الحالات وقوعا . وفى هذه الحالة تسرع الحكومة التى أرسلته سواء أكان ذلك قبل إرساله أو بعد إرساله ثم رفضه ، إلى تسمية ممثل آخر توافق الدول الثانية عليه . وقد ينتج عن هذا الرفض فى بعض الأحيان أن تغضب الدولة المعتمدة فتقطع علاقاتها الدبلوماسية خلال حقبة معينة . ولكن ذلك لا يقع إلا قليلا .

## الباب الثانى

### أوراق الاعتماد — جواز السفر

أما أوراق الاعتماد lettre de Créance فتتضمن الإخبار بإرسال الممثل السياسى ليقوم بأعماله لدى الحكومة الموفد إليها ، ويكون فى هذه الأوراق اسم الممثل السياسى ونوع مهمته بوجه عام ورجاء قبوله واعتماده ، وقد تذكر المدة التى سيبقى فيها والتفويض الذى يخوله العمل باسم دولته . وتصدر هذه الأوراق عادة بما يلى :

« من الملك فلان . . . . . إلى الرئيس فلان . . . »

ويقدمه الموفد الدبلوماسى إلى رئيس الدولة نفسه ساعة استقباله .

أما أوراق القائم بالأعمال فتصدر عن وزير الشؤون الخارجية فى حكومته وتسلم إلى وزير الشؤون الخارجية فى البلد الموفد إليه .

وإذا كان الممثل سيقوم بمهمة معينة فيحمل أوراق تفويض يوقعها الملك أو رئيس

الدولة ووزير الشؤون الخارجية معاً . وتسمى أوراق التفويض التام Plein Pouvoir

وتكتب هذه الأوراق عادة بلمغة الدولة الموفدة وتشفع بترجمة لها بلمغة الدولة الموفد إليها .  
وإلى جانب أوراق الاعتماد أو أوراق التفويض يكون مع الممثل السياسى جواز سفره  
الذى يودعه وزارة الشؤون الخارجية فى الدولة المرسل إليها فىبقى فيها حتى حين يتخلى عن  
عمله أو رده أو استرداده .

### الباب الثالث

#### مراسم الاستقبال cérémonial

فإذا ما قبلت الدولة الممثل المرسل إليها غادر بلاده . فإذا بلمغها أعلم وزير الشؤون  
الخارجية فيها بوصولها وطلب أن يضرب له موعداً يقابل فيه الملك أو رئيس الدولة ويقدم  
إليه فيه أوراق اعتمادها .

وقد جرت العادة أن يرسل إلى وزير الشؤون الخارجية نسخة عن الخطاب الذى يريد  
إلقاءه أمام رئيس الدولة أثناء المقابلة الرسمية . ويكون هذا الخطاب مكتوباً بلمغة الممثل  
الدبلوماسى إلا إذا كانت العادة فى تلك الدولة على غير ذلك .

والغاية من إرسال نسخة عن خطابه هو إعلام رئيس الدولة به وإعداد ما يمكن قوله  
رداً عليه .

وفى اليوم المحدد لمقابلة الرئيس يذهب الممثل فى موكب رسمى إلى قصر الملك أو الرئيس  
ويكون معه وزير الشؤون الخارجية فى أغلب الأحيان إذا كان سفيراً من الدرجة الأولى .  
وفى القصر يستقبل بحفاوة من قبل موظفى القصر نفسه . فىمثل بين يدي رئيس الدولة ثم  
يبقى خطابه ويقدم أوراق اعتمادها . فىجيب رئيس الدولة عن خطاب الممثل بخطاب قصير  
يستوحى من أفكار الممثل نفسها .

وتتضمن هذه الخطاب الترحيب وإظهار الرغبة فى تعاون الدولتين معاً والتضامن أو الاتحاد  
فى سبيل السلام أو فى سبيل هدف مشترك تسعى الدولتان إليه .

وتكون حفلات استقبال الممثلين مقرونة بالتهويل والتعظيم . وقد يبالغ بالاحتفاء بمبالغة  
قصوى وخاصة للسفراء . أما الوزراء من الدرجتين الثانية والثالثة فىكون الاحتفاء بهم أقل .

على أن هذا الأمر لا يتبع قاعدة معينة ، ولا شك أن شأن دولة الممثل السياسي وعظمتها وخطورة أمرها ثم شأن الممثل نفسه ورغبة الدولة فيه — كل أولئك يؤثر في أسلوب الاستقبال وشكله .

أما الوكلاء السياسيون والقائمون بالأعمال فهؤلاء يرسلون إلى وزراء الشؤون الخارجية وإليهم يقدمون أوراق اعتمادهم .

## الباب الرابع

### واجبات الممثل الدبلوماسي

فإذا ما استقرّ الممثل في البلد الذي أوفد إليه فينبغي أن يستهدف في أعماله كلها تمكين صلات الود والصداقة بين بلاده والدولة التي اعتمد لديها ؛ فهو في سبيل ذلك يجب أن يفتنم الفرص السانحة لتوثيق عرى الوداد بأي وسيلة كانت ويزيد في تعاون البلدين من أجل رفايتهما . وينبغي أن يفاوض الدولة التي أرسل إليها ليثبت حقوق دولته ويدافع عن مصالح بلاده ويتلافى ما قد ينجم من المشكلات التي توقع بين الدولتين العداوة والتنافر .

ثم عليه بعد أن يدافع عن مصالح بلاده أن يدافع عن مصالح رعايا دولته في البلد الذي وجد فيه وتسهيل أمورهم . وقد ثبت أن التمثيل السياسي ذو أثر كبير في حل الصعوبات التي تعترض سبل الرعايا . والممثل في أحوال كهذه يرأسل وزير الشؤون الخارجية ، وهو يتولى مراسلة أولى الأمر فيما طلب الممثل السياسي . وجدير بالذكر أن الممثل الدبلوماسي لا يحق له أن يخاطب غير وزير الشؤون الخارجية .

وإلى جانب ما ذكرنا لا بد له من تتبع أحوال سياسة البلاد وحركات ساستها وخاصة الأعمال التي تؤثر في سياسة بلاده أو في سياسة البلاد الخارجية . وهو يراقب الحياة العسكرية والبحرية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد . فيحصى جنودها ومقدار صادراتها ووارداتها وما تحتاج إليه أو يعوزها وما يكسد من منتوجاتها لديها ، ويسجل ما يجري في نواديها السياسية وبرلمانها ، ويستقرى أقوال صحفيتها وميول حكومتها . ويستخلص من ذلك كله الهدف الذي تسعى الدولة إليه وما فيه من محاسن وما قد ينتج عنه من مساوى

ثم يرسل تقريراً بما يراه إلى وزير الشؤون الخارجية في دولته ، وعلى ضوء هذه الاستعلامات تستطيع هذه الدولة تعيين وجهة سياستها نحوها .

وبديهي أن الممثل يجب أن يعلم ما ذكرنا بطرق دبلوماسية لا يبصرها أحد ويساعده على جمعها الملحقون بالسفارة العسكريون والتجار يون وأمناء سرها ومستشاروها . ويمكن أن يقوم بهذه المهمة في حال غياب السفير المستشار أو أمين السر .

وأمر خطير لا بد للممثل منه هو حياده وابتعاده عن التدخل في شؤون الدولة التي هو فيها؛ فهو يسمع ويبصر ولكنه إذا سأل أحد غير دولته أظهر التصامم والعمى . فهو لا ينتقد الأعمال السياسية ولا يثير حزبا على حزب أو يناصر فئة على فئة ويظهر اللباقة في أعماله ليستطيع أن يقوم بمهامه يسر وسهولة .

### الباب الخامس

#### استرداد السفير أو رده

يمكن أن تنتهي مهمة الممثل الدبلوماسي المعتمد لدى دولة ما على طرق مختلفات نذكر منها أربعة وجوه :

١ — وفاة الممثل الدبلوماسي فجأة .

ب — انتهاء أجل أوراق اعتماد الوزير .

ج — استرداده من قبل حكومته .

د — رده إلى دولته باختياره أو مضطراً .

وإذا استثنينا الطرق الأولى والثانية والرابعة وهي قل أن تحدث فإننا نجد أن الاسترداد هو الطريق الوحيد لإنهاء مهمة الممثل الدبلوماسي .

إن استرداد الممثل الدبلوماسي ودعوته إلى بلاده *rappel* من قبل حكومته يعد عملاً إرادياً حتى في الحالة التي يكون فيها الممثل غير مرغوب فيه لدى الحكومة التي أرسل إليها . في حين أن الرد *renvoi* والطرد تديران اضطراريان يعتبران عملياً مخالفين لإرادة الدولة الموفدة ورضائها .



والاسترداد يحدث في طريقتين مختلفتين : فإما أن تكون مهمة الممثل كادت تبلغ أجلها، أو أن تكون حكومته راغبة في نقله إلى وظيفة ثانية أو ترقية إلى رتبة أعلى من رتبته التي يعمل بها . وقد يكون الاسترداد بناء على طلب الممثل نفسه ليعمل في الإدارة المركزية . وهناك تقدير آخر هو أن يكون الممثل لم يطق مناخ البلد الموجود فيه أو أعجزته وفرة الأعمال فالتمس من حكومته نقله إلى عمل أو بلد آخرين . وفي جميع هذه الأحوال لا يكون الاسترداد نتيجة لاختلاف الممثل الدبلوماسي المسترد والدولة التي كان لديها .

وقد جرت العادة أن يقدم الممثل الدبلوماسي لرئيس الدولة أو وزير الشؤون الخارجية قبيل مغادرته البلد الذي كان فيه أوراق الاسترداد *Lettre de rappel* التي أرسلت إليه من حكومته .

وقد تعطيه الحكومة التي كان لديها ، مجاملةً ولياقةً ، أوراقاً تسمى أوراق تجديد الثقة *Lettre de récréance* تشيد فيها بخدماته التي أداها . والتاريخ الدبلوماسي فقير في هذه الأوراق ، وأكثر ما نصادف مقالات خاصة تنشر في الصحف الوطنية الكبرى بإشارة من أولى الأمر .

ولا بد من أن نذكر أن هذا الاسترداد قد يحدث لرغبة الدولة التي اعتمد لديها في ذلك . وأكثر ما يكون في حالة إخفاق الممثل في نوال حظوة لدى رجال الحكومة . أو في حال نشوب خلافات دبلوماسية أو سياسية بين الدولتين يكون سببها خطأ وقع الممثل فيه ، أو سوء نية قصدها . فتبادر الدولة عندئذ بإعلان استيائها وتطلب استرداد الممثل .

ويقوم بهذا الطلب عادة ممثل الحكومة المستاء لدى الحكومة الموفدة . ويكون ذلك بلطف ولباقة كيلا يثير سخط الدولة التي أوفدت ذلك الممثل ، أو لئلا يسيء إلى الوزير المرفوض . ويقتصر الأمر على إعلام الدولة أن ممثلها الدبلوماسي لا ترضى عنه الحكومة التي اعتمدت لديها . وقد استرد بهذا الأسلوب سنة ١٩١٢ ممثل دبلوماسي كان إذ ذاك سفير فرنسا في روسيا . وقد أجابت فرنسا طلب روسية واستردت سفيرها لأنه لا يبدى نشاطاً في مهماته السياسية . . .

والواقع أن هناك وضعين في مثل هذه الحالة . فإما أن تحقق الحكومة الموفدة رجاء

الدولة الثانية وعندئذ تسترد ممثلها . ولا يقدم أغلب الأحيان الممثل المسترد أوراق استرداده، إنما يجري ذلك بواسطة الخلف الجديد في حفلة القبول نفسها<sup>(١)</sup> .

وإما أن تتصامم الحكومة الموفدة فتعرض عن الطلب أو تحتج، وعندئذ تضيق الحكومة ذات الشكوى ذرعاً وتلجأ إلى طرد الممثل السياسي ولا تحفل بما يتبع ذلك من خطر على السلام الدولي .

على أن الدبلوماسية وطرقها قد أصبحت أبرع من أن يلجأ إلى الطريقة الثانية إلا في حالات شاذة نادرة .

---

(١) وهذا ما حدث في استرداد المثلين Edmond Genest (١٧٩٣)، F. S. Jackson (١٨٠٩) و Jewett (١٨٤٦) و Cataczy (١٨٧١) و Mme. Kollontai (١٩٢٥) .

# الفصل الرابع

## الباب الأول

### حصانة الممثلين السياسيين

لعلّ الحصانة أعظم النعم والمزايا التي لا تنفصل عن عمل الممثل الدبلوماسي فهي ضرورية لا بدّ له منها . وقد أبان العالم الكبير فاتل Vattel ذلك فقال : « لما كان للسفارات شأن كبير في المجتمع العالمي للدول ، وكان لا بدّ منها للسلام أو الأمان الذي يبغيه ، فإن الممثلين الدبلوماسيين المكلفين السفارة يجب أن يكونوا محصنين مقدسين عند الشعوب جميعاً » . على أن التعليل الحقوقي القريب من المنطق هو أن هؤلاء الممثلين لما كانوا يتكلمون باسم الملك الذي أرسلهم . فلا مندوحة من أن يكونوا أحراراً فيما يتكلمون ، مع العلم بأن الرسول الموفد من قبل أمة أو وزير أو رئيس أو ملك يحتاج ، للقيام بما عهد إليه وحفظاً على نقاوة شرف موفده ، إلى الطمأنينة والجرية ، وأن يكون بمعزل عن الخطر .

ولقد جرت الأمم الخاليات على حفظ الممثلين الدبلوماسيين تشریفاً لمن أوفدهم ، ولم تكن فكرة المحافظة عليهم تستند إلى أساس حقوقي . وقد كان العثمانيون رعاية لسفراء الغرب ينزلونهم في قصر الأبراج السبعة في القسطنطينية ويرعونهم . وقد كان بعض العلماء يرى أن هذه الحماية أو الرعاية التي يتمتعون بها تسقط بموت الأمير أو الرئيس الذي يمثلونه . ولما نشبت الحرب بين فينيسيا والقسطنطينية ، أرسل سفير فينيسيا مع أمين سره وترجمانه ومعاونيه إلى بلاده في الثالث عشر من مارس سنة ١٧١٥ .

وقد أصبحت الدول تُعنى العناية كلها باحترام الرسول ورعايته ومنحه الأمان الذي تقتضيه مهمته . وسنّت قوانين ضمنها عقوبات تختلف بين الشدة واللين لمن يصيب هؤلاء الرسل بسوء .

ففي فرنسا قبلت حماية السفراء رغم فقدان نص يقضى بذلك .

ونص قانون الجزاء الألماني الصادر في مايس ١٨٧١ (المادة ١٠٥) على معاقبة من يعتدى على السفراء ويهتك حصانتهم .  
وعلى مثل ذلك نصت المادة ٤٩٤ من قانون الجزاء النمساوي والمادتان السادسة والسابعة من قانون ١٢ مارس ١٨٥٨ البلجيكي وقانون ٢١ نيسان ١٧٠٩ البريطاني المعروف باسم Statute of 7 anne والمادة ١٣٠ من قانون الجزاء الإيطالي القديم والمادتان ١١٨ و ١١٩ من قانون الجزاء النرويجي والمادة ١٥٩ من قانون سنة ١٨٥٢ البرتغالي والمادة ٢٦١ من قانون ١٨٦٦ الروسي قديماً وبالمرسوم الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٢١ حديثاً وقانون عام ١٨٦٤ السويدي والمادة ٤٣ (الفصل الثاني) من قانون الجزاء الصادر في ٤ شباط ١٨٥٣ السويسري . فهذه المواد والقوانين توجب عقوبة من يعتدى على الممثلين عقوبة تختلف بين السجن البسيط والسجن والتعذيب والجزاء النقدي .

\*\*\*

فإذا علمنا مبلغ عناية الدول بحصانة الممثل السياسي نتساءل : إلى أى مدى تمتد ؟ لقد قرر القدامى أن حصانة السفير تنتقل منه إلى حاشيته فهم جميعاً متصلون به يناههم ما يناله . ولا بد من رعايتهم . فإذا أهينوا فكأنما أهين السفير نفسه . وهي تنتقل أيضاً إلى زوجه لأنها ذات اتصال وثيق به ، فهي تشاركه في حصانته ، ويقدم إليها إلى ذلك الاحترام الزائد والمجاملات اللطيفة شريطة أن لا يمس السفير . ولم يبدل العرف الدولي الحديث في هذه القواعد شيئاً . وقد أصبحت الحصانة في أيامنا لا تشمل السفراء والنونس والليغا والوزراء المقيمين والقائمين بالأعمال والملحقين بالسفارة أو المفوضية العسكرية والبحريين والتجار بين والطيارين والتراجمه والأطباء الخاصين . . . وخدمهم ، بل تشمل الخدم والأتباع وتشمل أسرهم وخاصة الأزواج والأولاد .

وقد ذهب العرف الدولي في الحصانة إلى أبعد من هذا . فقد بلغ السفير من الحصانة أن أصبح محرماً على الصحف أن تسمه بقول سوء . أو تفند أعماله أو تطعن عليه وعلى أتباعه . فإذا ما وقعت أشاؤ كهذه تدخلت الحكومة التي اعتمد لديها ومنعت ذلك . فقد يخشى أن يؤدي ذلك النقد أو الطعن إلى نفور يثار بين الدولتين فتضعف الصلات بينهما أو يحدث ما يسوء ذكره ولا تحمد عاقبته .

وهكذا ترى أن الممثلين الدبلوماسيين أُمْنَعُ ، هم وأزواجهم وأعوانهم وأتباعهم وخدمهم  
ومساكنهم ، من أن يعتدى عليهم . وأنهم مصونون لا يطعن عليهم . وقد فرض قانون  
۱۷ مارس ۱۸۱۹ الفرنسي عقوبة على من يوجه إلى الممثلين الدبلوماسيين كلمات مهينة تبدأ  
بـ ۵۰ فرنكا وتنتهي بـ ۳۰۰۰ فرنك ثم عدلت هذه العقوبة بقانون ۲۹ تموز ۱۸۸۱ و ۱۶  
مارس ۱۸۹۳ .

وتظل هذه الحصانة مرافقة الممثل حتى عودته إلى بلاده ، وتبقى في عودته حتى يصل  
إلى سيده . فطمأنينة الدبلوماسي ليس بأقل حاجة إليها في ذهابه منه في عودته .

وتبقى الحصانة ملازمة السفير رغم انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الموفدة  
والدولة التي أوفد إليها . ولو نشبت الحرب بين دولتين فإن سفراءها يبقون محصنين . وقد  
قرر معهد الحقوق الدولية سنة ۱۸۹۵ أن الحصانة تبقى حتى في حالة الحرب بين الدولتين ،  
طوال المدة الضرورية كي يترك السفير البلاد هو وحاشيته وأوراقه .

على أن معهد الحقوق الدولية قرر سنة ۱۸۹۵ أن هذه الحصانة تسقط في  
الحالات التالية :

- ۱ - في حالة دفاع قانوني مشروع يقوم به الأتباع والخواص ضد أعمال صدرت من  
أشخاص آخرين يتمتعون بالحصانة أيضاً .
- ۲ - في حالة تهديد هؤلاء الأشخاص آخرين بمخطر بإرادتهم أو بلا مبرر .
- ۳ - في حالة صدور أعمال شائنة منهم سببت تحفظ الدولة التي اعتمدوا لديها باتخاذ  
تدابير دفاعية واحتياطات حازمة . وفي مثل هذه الأحوال تعلم الدولة حكومة السفير وتطلب  
إزالة العقوبة بهم ، وتستطيع حفظاً على دار السفارة ومن فيها وما فيها أن تحيط الجند بها  
كي تمنع الناس من الوصول إليها .

## الباب الثاني

### الميزات الدبلوماسية

أوتى الممثلون الدبلوماسيون ميزات كثيرة ذات شأن تمتعوا بها . وقد أثرت حصانة

الممثلين في منحهم هذه الميزات لأن من الصعب العسير مستهم بسوء أو ضرهم بأذى . أضف إلى ذلك أن وقوع ذلك قد يسبب التنافر بين الدولتين ويورث التناحر والتقاتل . فمن هذه الميزات التي أقرّ الشرع الدولي منحها للممثلين الدبلوماسيين ما يلي :

١ — لا يدفع المثلون ضريبة عن دار السفارة . وقد نصّ على ذلك قوانين دولية كثيرة في سويسرا وفرنلندة ونروج وإيطالية . أما في إنجلترا فإن القانون لا يستثنى دار السفارة من دفع رسم الملكية (property—taxe) خاصة . ولكن ذلك يجري باتفاقات بينها وبين الدولة . . . ومن هنا نجد أن الكثرة من الدول ميّالة إلى التحرر من دفع الضريبة المالية . وقد دعا ذلك مؤتمر اتحاد الدول الأميركية إلى وضع مادة خاصة تتعلق بذلك في مؤتمر لاهافان سنة ١٩٢٨ فقد نصت المادة الثامنة عشرة على أن السفارة ينبغي أن تستثنى من دفع الضريبة إذا كانت ملكاً للدولة التي أوفدت الممثل السياسي . أما الممثل السياسي نفسه فلا يستثنى من دفع الضرائب على المباني الخاصة التي يملكها في الدولة التي اعتمد لديها .

٢ — لا يدفع المثلون أيضاً أية ضريبة شخصية بل أي ضريبة مباشرة لأن هذه الضرائب تقيم في الحقيقة رباطاً يجعل الدافع تبعاً للآخذ . وهذا لا يمكن أن يكون عند الممثلين السياسيين . ومعنى ذلك من الوجهة الحقوقية إذا تم دفع الضريبة تنازع في السيادة والتبعية على الممثل بين الدولة التي أوفدته والدولة التي استقبلته . وقد قرّر مؤتمر لاهافان سنة ١٩٢٨ أن لا يدفع المثلون السياسيون أية ضريبة شخصية مباشرة . حتى رسوم النفقات الكالية أيضاً .

٣ — وضريبة الدخل التي تعد من الضرائب المباشرة تدخل في حكم الفقرة السابقة فلا يدفعها الممثل . وقد أقرّت ذلك القوانين الفرنسية (١٥ تموز سنة ٩١٤ — ٣٠ ديسمبر ٩١٦ — مرسوم ١٥ أكتوبر ١٩٢٦) . وفي إنجلترا لا يدفع المثلون هذه الضريبة (income—taxe) . ونص على ذلك في إيطاليا قانون ١٤ تموز ١٨٦٤ . وفي هولندة الرسالة المؤرخة في ١٤ أكتوبر ١٩٢٢ المتعلقة بموظفي محكمة العدل الدولية الدائمة ذات الجنسية البرلندية

٤ — وكذلك يُعفى المثلون السياسيون من المكوس . وهناك عرف قديم يقضى أن

تمر حاجات الممثلين في مراكز المكوس (الجمارك) ومن هنا شمل الامتياز حاجات الممثل الصادرة عنه والواردة إليه . وقد علل بعض المؤلفين في الشرع الدولي أن هذه الميزة مشتقة عن حصانة دار السفارة . والتعليل الأقرب للصواب أن الدافع إلى ذلك هو احترام الممثل نفسه واحترام رئيس الدولة الذي يحميه . وليست هذه الميزة إلا مجاملة أصبحت من التقاليد . وقد نصَّ على ذلك في فرنسة نصوص مختلفة (منها القانون ذو الرقم ٦ المؤرخ في ٢٢ آب ١٧٩١ والقانون المؤرخ في ٢٨ ديسمبر ١٩٢٦) . فالممثل الدبلوماسي لا يدفع أى مكس ما ولا تفتش حقائبه عند دخوله البلاد أو خروجه منها ، ويظل يتمتع بذلك طوال ستة أشهر من دخوله ولا يتعرض لمستوردياته الخاصة أبداً . فإذا اقتضت المدة خضع إدخال الحوائج لرخصة تمنح بسهولة .

أما في إنجلترا فإن عدم الخضوع لدفع المكس والتفتيش (customs duties) نتج عن نظام كانون الثانى ١٩٠٤ والمبدأ فيه حرية الإدخال مع قليل من التحفظ بشأن الخمر والتبغ واللقايات الفلاظ (سيكار) . وتخضع حاجات الممثل لتفتيش قصير ظاهرى . ولا تنطبق حرية الإدخال على أمناء سر المفاوضات والسفارات أو الملحقين بها ، فإذا اقتضت الضرورة ذلك اتخذت التدابير لتسهيل الإدخال .

وقد أطلقت حرية الإدخال طوال ستة أشهر من وصول الممثل في أسبانيا . واشترطت بلجيكا للإعفاء من المكوس وحرية الإدخال المقابلة . وقد امتثنى القانون البلجيكى من ذلك القائم بالأعمال . ولكن الإدارة البلجيكية لا تميز أحداً من أحد من الممثلين في ذلك .

وكذلك أطلقت الحرية في اليابان ونروج والبرتغال وروسية القديمة . وضمنت القوانين السويسرية الحرية لإدخال جميع الحاجات الشخصية للممثل والرؤساء . أما أفراد البعثات فيخضعون لبعض التحفظات .

وقد أقرّ نظام كامبردج لمعهد الشرع الدولي إعفاء الممثل من المكوس وأيده في ذلك مؤتمر الدول الأميركية في لاهافان .

٥ - أما الضرائب غير المباشرة فينبغى دفعها لأنها تصيب الممثل وغيره دون قصد .

على أن بعض الدول تعنى الممثلين من دفعها لياقة . وهذا ما طبق في إنجلترا على Parochial rates . واتبعت الولايات المتحدة سياسة المقابلة في رسوم البلدية .

وقد اتخذت تسهيلات في بعض الدول تتعلق برسوم التسجيل ( التصديق ، الشراء ، البيع ونقل الملكية . . . ) .

٦ — وميزة أخرى لها شأنها هي حق العبادة الخاصة المسماة حق الكنيسة . ومعنى ذلك أن الممثل حر في القيام بعبادته الخاصة لا يعترض له أحد . وقد كان لهذا شأن كبير في القرون الخالية . ويحق لرئيس البعث الدبلوماسي مهما كان شأنه ودرجته أن يبني معبداً يقيم فيه هو وحاشيته شعائر دينه . وأن يعين فيه رجالاً دينيين يقومون بالعبادات وأن يسمح لأتباع دولته أن يقيموا شعائرهم فيه .

٧ — وإلى جانب هاتين الميزتين الأساسيتين وهما الإعفاء من الضرائب والمكوس وحق العبادة هناك ميزات أخرى . كالصيد بلا إجازة والتقدم على السيارات الزاهية إلى حفلة عامة . ولهم الحق أيضاً أن يلبسوا لباساً خاصاً بهم إذا شاءوا ، يختلف باختلاف الدول .

٨ — وأمر آخر له شأنه . هو أن الممثل السياسي لا يعاقب إذا أجرم . وقد جرت الدول على اتخاذ الاحتياطات إذا آنت من الممثل ميلاً للإجرام لتحول دون وقوع ما يريد ، فهي لا تعاقبه ولكنها احتفظت بحق منعه من انتهاك حرمة القوانين دفاعاً عن كيانها .

٩ — وكذلك يعنى الممثل السياسي من الخضوع للقضاء الجنائي والمدني في الدولة التي يقوم فيها . فلا تجوز مقاضاته أمام محاكمها ولا يجوز القبض عليه ومعاقبته طبقاً لقوانينها . وتمنع القواعد الدولية إكراه السفير على أداء الشهادة أمام محاكم الدولة التي أوفد إليها . لكن تجوز دعوته للشهادة . والأصل أن السفير لا يؤدي شهادة ما إلا بعد أن تأذن حكومته .

ويفضل السفراء أداء الشهادة في السفارة لا في جلسة علنية .

١٠ — ودار السفارة وما فيها من سجلات وأمتعة يشملها الإعفاء من القضاء الوطني . فلا يجوز للسلطات المحلية دخولها ولا تفتيشها ولا حجز شيء منها ، لأن السفير لا يقوم بأعماله



وواجباته إذا كان مهدياً ، ولأن دار السفارة نفسها تعد قطعة من أراضي الدولة التي يتبعها السفير ، فنظرية تجاوز القوانين هي التي تطبق عليه .

أما إذا كان للسفير أملاك خاصة فالظاهر أن الإعفاء لا يشملها . وحرمة دار السفارة ضرورية ليؤدي الممثل واجباته بحرية ، ولذلك تحميها الحكومة وتحرسها حال وقوع هيجان ضدها .

١١ - والممثل له الحق في مخابرة دولته دون أن يطلع على ذلك أحد ، لأن التمثيل السياسي لا معنى له إلا إذا ضمنت حرية الممثل في مراسلة حكومته سواء أكانت بالبريد أو على يد رسول خاص . وفي هذه الحالة يحمي الرسول أثناء قيامه بمهمته .

ولهذا فإن بريد السفير إذا كان مهوراً بخاتم السفارة لا يمس .

١٢ - وأخيراً فللممثل الحق في رفع علم دولته على مقره الرسمي .

# الفصل الخامس

## الباب الأول

### نحو دبلوماسية جديدة

رأيت في الفصول السابقة صوراً عن السفراء والرسل الدبلوماسيين في الغرب . وهؤلاء إنما يقومون بأعمالهم ويتمتعون بميزاتهم ليحققوا أهداف الدبلوماسية التي يخدمونها . فيجدر بنا إذن قبل أن ننتقل إلى مباحث أخرى أن ننهي بحثنا في القسم الأول بالتكلم على هذه الدبلوماسية التي تهيمن على أعمالهم وتسيرهم نحو هدف محدود معين لا يجيدون عنه . ولكن ما هي الدبلوماسية .

لعل أحكم وأوجز تعريف للدبلوماسية من بين تعريفات كثيرة مختلفة هو تعريف ريفير Rivier الذي قال : « الدبلوماسية هي علم وفن في آن معاً » . فهي علم فيما يتعلق باكتساب أوسع وأعمق معرفة بصلات الدول السياسية والحقوقية بعضها ببعض وإدراك منافعها المتبادلة وعبر توار يخها والروابط التي فرضتها عليها المعاهدات الدولية في الماضي والحاضر وأثرها في المستقبل . وهي فن لأن الممثل السياسي يحتاج كي يقوم بأعباء مهمة تصريف الأمور الدولية إلى هبة خاصة يستشف بها الأمور ، وملاحظة دقيقة يستنبط بها الأشياء ، وتحليل متزن هادئ يتوصل به إلى النتائج ، وحب للتنظيم وفهم للمصاعب . فالدبلوماسية إذن هي علم وفن . وهذا العلم وهذا الفن يدوران حول تمثيل الحكومات والمفاوضة عنها . فهو يمثل الأفراد رعايا بلاده دائماً ويمثل المنافع التي يبتغونها . يمثل مرسله أميراً كان أو سلطاناً أو هيئة ؛ لأن الحكومات لا تستطيع أن تكون في كل مكان وليس لها صفة الوجود في كل مكان . ولأنها لا تستطيع أن تدع شواغلها الملحة لتطوف فتجمع الأخبار وتدير المفاوضات . فالدبلوماسي إذن يمثل حكومته ويجمع لها الأخبار ويفاوض عنها ويمثل منافع بلاده العليا ومنافع أبناء بلاده ويحرص على تنفيذها . أما المفاوضات فهي من مستلزمات الدبلوماسية ولعلها من أولى واجباته التي ينبغي له القيام بها . فمن أقدم عصور التاريخ كان

الدبلوماسية قبل كل شيء مفاوضاً ، وهو يمثل المرسل لأنه يفاوض باسمه .

ويجب أن نضيف أن الدبلوماسية اتخذت على مر الأجيال صبغة حقوقية متزايدة .  
ويبدو أن حفظ حقوق الناس كان من أكبر الدوافع للعمل الدبلوماسي منذ العصور الخالية .  
على أننا نلاحظ الآن أن نفوذ الفعالية الدبلوماسية في الحياة الحقوقية قوى وأن الدبلوماسية  
تستهدف أن تكون ضامن الحقوق في وقائع الحياة الدولية .

فالآن وقد عرفنا ما هي الدبلوماسية نستطيع أن نتحدث عن الدبلوماسية الجديدة التي  
تهيمن على العالم .

ولكي نستطيع معرفة ميزات هذه النزعة الجديدة يجدر بنا أن نعرض عرضاً سريعاً  
للمراحل التي سبقت هذه النزعة .

قالدبلوماسية المنظمة في أوروبا قد ولدت منذ القرن الثالث عشر على أقصى الحدود ،  
ولا يظن أن هذه الدبلوماسية ولدت في إنجلترا قبل سنة ١٦٤٥ ، وفي فرنسا ١٦٢٤  
زمن ريشيليو .

ولعل أول من فطن إلى ضرورة الدبلوماسية هم تجار فينسيا حرصاً على مصالحهم  
التجارية في البلاد التي يصدرون إليها بضائعهم ويستوردون منها . ثم فطن البابا إلى إرسال  
رسل من عنده إلى بعض الملوك ، ثم نظم فرنسوا الأول في فرنسا هذه المصالح الدبلوماسية .  
ولما جاء ريشيليو Richelieu سعى أن يكون الممثلون دائمين مقيمين في البلاد التي  
يرسلون إليها .

وما زالت الدبلوماسية تنمو وترقى حتى احتلت المكان الأول في المعاهدات والمؤتمرات .  
ولقد رأيت ما كان لها من أثر في تصنيف الممثلين في معاهدة فينا ومؤتمر إيكس لاشابيل .

وعرفت أوروبا رجالاً دبلوماسيين بهروا التاريخ بأعمالهم ومفاوضاتهم وحيلهم وذكايتهم  
حتى نسبت إلى بعضهم أعمال هي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة . ومن هؤلاء  
الدبلوماسيين : ماكيافيل Machiavel ، مترنيخ Metternich ، تاليران Talleyrand ، بسمارك  
Bismark ، مازاران Mazarin ، ريشيليو Richelieu ، سولي Sully ، كافور Cavour ،

بتراک Petrarque ، دانتي La Dante ، غيزو Guizot ، ويليام تمبل W. Temple ، بيت  
Pitt ، بالمرستون Palmerston وغيرهم .

وفي طريقها الطويل مرّت الدبلوماسية بصورة عامة بمراحل أربع :

- ١ - الدبلوماسية القديمة
- ٢ - الدبلوماسية الثابتة
- ٣ - الدبلوماسية الحديثة
- ٤ - نحو الدبلوماسية الجديدة .

١ - الدبلوماسية القديمة *Diplomatie encienne* : إن الزمن الذي سادت فيه هذه  
الدبلوماسية كان أطول الأزمان وأقلها شأنًا . يبدأ من أقدم العصور وينتهي في أواخر القرون  
الوسطى . ويمكن أن نسميها الدبلوماسية القديمة أو المتقطعة *Intermittente* . فالحرب كانت  
سائدة بين الأمم في أغلب الأحيان والعلاقات بين الشعوب فآترة ضعيفة ، فكانوا يرسلون  
بعض الأحيان وفي فرص محدودة رسلا إلى حكومة ثانية ليفاوضوا في أمر أو يوثقوا روابط  
الصداقة أو يتصلوا ببعض الرجال أو يقترحوا اتحادا أو زواجا . فالعالم القديم الذي كان يمنح  
هؤلاء الرسل امتيازات خاصة يتمتعون بحصانة لا يتعدى معها أحد عليهم لم يعرف غير هذه  
الدبلوماسية وكان مهمة السفراء فوق العادة في أيامنا تشبه مهمة رسل تلك الأيام لأنهم يقومون  
بعمل خاص معين ، ولعل المانع الأكبر من جعل الرسل دأئمين مقيمين كان الخوف من  
التجسس . وواضح أن الحيلة والدهاء كان لهما الشأن الأكبر في هذه الدبلوماسية .

٢ - الدبلوماسية الثابتة *Diplomatie Permanente* : ومع ذلك فبتأثير تقدم الحضارة  
عرفوا أن الصلات المستمرة بين الأمم تعود على هذه الأمم كلها بالخير العميم . . فاتسع أفق  
التفكير وكان ميلاد الدبلوماسية الثابتة ، ويعود تاريخها إلى أواخر القرن الخامس عشر  
وأوائل القرن السادس لدى بعض جمهوريات إيطاليا ، ثم أدخلها مازاران ورشليو في فرنسا .  
وواضح أن معاهدة وستفاليا كان لها شأن في تقدم الدبلوماسية . أما في روسيا فلم يتبع نظام  
الرسل الدأئمين إلا منذ زمن بطرس الأكبر في القرن الثامن عشر .

في هذه الحقبة التي سادت فيها هذه الدبلوماسية كانت الحرب كالسابق متواصلة بين  
الأمم تقريبا ، وكان هدف الدبلوماسية مناقشة الأمور الجارية وإجراء المفاوضات وتوثيق أواصر  
الصداقة . وكانت مناقشة الأمور والمفاوضات تحتلان شأنًا أكثر من توثيق أواصر المحبة .

وكانت جهود الممثل تقتصر على الأمور السياسية وقد تعداها أحياناً إلى الأمور الإدارية والاقتصادية أعني فائدة الدولة الموفدة أولاً ثم فائدة رعايا هذه الدولة .

وكان على الممثل في هذه الحقبة أن يتخذ مقررات هامة يرسلها لحكومته . وكان لا يتعاده عن حكومته بسبب قلة المواصلات ، يُغذّي بتعليمات مفصلة ويُمنح سلطات واسعة . وكانت الخديعة ذات شأن كبير في هذه الدبلوماسية . حتى إن السر هنرى وتن Henry Wotton كتب : « إن السفير هو رجل شريف يرسل إلى بلاد أجنبية ليكذب لفائدة بلاده » ولما كانت الخديعة والكذب يعودان على البلاد كلها بالشر فقد أخذ ظلّهما بالتقلص وبدأت تحل محلّهما الثقة وخاصة بعد موجة مذهب الليبراليسم Libéralisme الذى طغى على العالم أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

وفي نهاية هذه الحقبة بذلت جهود لإعطاء هذه المهمة صفة عملية ، فكان أن قبل مؤتمر فينا تصنيف الممثلين السياسيين أصنافاً مختلفة ، وما يزال هذا التصنيف متبعاً إلى أيامنا هذه رغم مخالفة ضرورات العصر .

٣ — الدبلوماسية الحديثة Diplomatie moderne : على أن ظفر الأفكار المحررة وتأثير الأمور الاقتصادية في القرن التاسع عشر أثراً بشكّل قوى في روح الدبلوماسية ، كما عدّل تقدم المواصلات وكال الآلية من شكلها ، ولكن أهدافها لم تتبدل ولم يطرأ عليها تعديل كبير .

فقد قلت الحروب وأضحت حروباً وطنية ولم يعد الملوك هم الذين يثيرون الحروب لحاجات في أنفسهم ، بل أصبح الموجّه البرلمانات والرأى العام . وخاصة الصحافة التى كان لها أثر كبير في توجيه البرلمانات والرأى العام نفسه . تزين له الباطل وتبشّع له الحق . وزرعت الدعوة إلى الجندية الإجبارية حب الوطن في القلوب فياضاً قوياً . وشاعت معانى الوطنية والدفاع عن البلاد أيما شيوع . وظهرت من جهة ثانية نعمة للدفاع بلا سلاح . ولكن التسليح البحرى والأرضى طغى في سبيل حماية البلاد . وأضحى الممثل الدبلوماسى لا يمثل في هذه الحقبة الثالثة في أغلب الأحيان شخص الملك المطلق أو الأمير المستبد ، ولكنه يمثل — ولو كان هناك رئيس دولة — الحكومة البرلمانية التى أرسلته : الحكومة التى تمثل الشعب .

ولكن الشيء الذي عدل من شأن الممثل السياسي هو قصر المسافات البعيدة بسبب وسائط النقل والتلغراف والسكك الحديدية والملاحة بالبخار والهاتف والسيارات ، في حين كان على الدبلوماسي في الماضي في ساعات الأزمات أن يتخذ مقررات سريعة من غير استشارة حكومته ، أما زميله اليوم فيسرع إلى التلغراف أو يتكلم بالهاتف لينجو من كل تبعه .  
وليس معنى هذا أن على الدبلوماسي أن يتبع هذا الطريق دائماً لئلا يكون الممثل وسيلة ارتباط ليست بذات شأن ، ولكن بالعكس فإن قيمة جودة الحكم و براعة اللباقة لا ينتقص من شأنهما رغم المواصلات .

على أن اختصار تلك المسافات البعيدة أثر في مراقبة الأخبار الفعلية بصورة عامة ، لأن الصحف تنشر الأخبار وهو يرسل الأخبار نفسها ، فقد تختلف وقد تتشابه وقد تأتلف . وأخذت « الثقة » المحل الأول في المفاوضات . ولكن ليس معنى هذا فقدان الحيل الأخرى لاقتناص الأخبار . كما أن هذا لا يعني أن يكون الممثل ساذجاً لا يتحلى بالدهاء أو الأناية المقدسة *Sacro-égoïsme* في سبيل فائدة بلاده .

وكذلك أثرت الآراء الديمقراطية في الدبلوماسية أثناء هذه الحقبة ؛ فأصبح على الممثل أن يهتم بمصالح مواطنيه ، وأن يكون هو ومن معه من المساعدين محامين عن حقوقهم في البلاد الأجنبية . وأن يسعى الممثل في هذا المضمار يضمن له النجاح الكبير الذي لا يقل عن النجاح الذي سيناله في المضمار السياسي :

وثمة أثر آخر لا يفصل عن آثار الديمقراطية ، هو العناية بالأعمال الاقتصادية . ولطالما طمن على الدبلوماسية عزوفها عن هذه الناحية ، لأن الأمور الاقتصادية وما ينتج عنها من فوائد أخذت تحتل المكان الأول في السياسة العالمية .

وقد أوجبت الحياة العصرية تنظيماً كاملاً للشئون الدبلوماسية وأصبح العنصر السري مياً للاختفاء مع مظاهره القديمة . ولكن هذا العنصر خسارة من الوجهة الفنية ومن وجهة العمل الدبلوماسي نفسه . أما مظاهر التمثيل فقد أصبحت أقل شأنًا مما كانت عليه من قبل . كما أن التأثير الشخصي للممثل كماله أو نسيبه لم يعد له ، أو يجب أن لا يكون له ، الشأن الذي كان له من قبل . والمؤسف أن هذه الحقيقة لم تعرف دائماً أو لم تلاحظ . ولا شك أن

للصحافة شأنًا كبيراً في توجيه المباحثات وكشفها وإفشاؤها رغم أن صلة الصحافة بالدبلوماسية ضيقة في هذه الأيام . فمهمتهما متشابهة تقريباً . ولكن الذي يؤمل أن يعمل هذان بانسجام تام لمصلحة الخير المشترك .

٤ - الدبلوماسية الجديدة :

واليوم يظهر عنصر جديد هو المبدأ الأخلاقي ليدخل في الدبلوماسية ، فبعد عصر طويل يبدأ منذ أزمنة ما قبل التاريخ ، حيث كان يخيل أن الغزوات هي عنوان شرف يفوق تقدم العلوم والفنون شأنًا ورفعة ، أتى عصر ملّ أهله من الحروب . وأخيراً جاءت الاختراعات الآلية الفنية في هذا العصر فساعدت على الاشمئزاز من المذابح الخفيفة التي تبشر بها تلك الاختراعات الجهنمية . فهذا الروح المسالم الذي كانت توحى به في كل عصر طائفة من النخبة الصفوة ظهر ظهوراً واضحاً في السنين التي سبقت الحرب ، وخاصة في مؤتمر السلم في لاهاي منذ ١٨٩٩ - ١٩٠٧ . ولكن سخرية القدر شاءت أن تعقب هذه الفترة التي رفّت فيها هذه الروح الطيبة المباركة كارثة من أعظم الكوارث جعلت تلك الروح تخبو ، ولكنها عادت إلى توقدها بعد الحرب . ورأى الناس جميعاً وخاصة الإنسانية المتمدنة أن الحرب تمثل رعباً مخيفاً يجب الابتعاد عنه .

وقد لوحظ أن الحروب الوطنية قد قلت كثيراً وكادت تمحى ، وهذه ظاهرة تبشر بنتائج مغرية توميء إلى الصلة بين الدبلوماسية والحرب ، وأضحت الدول اليوم تسعى أن لا تثير أى اعتداء على دولة أخرى . وقد قامت الدول بعد الحرب كل منها تريد أن تعين تبعة الحرب وكوارثها ومصائبها . وتلك فكرة ما كانت من قبل . وجهدت كل دولة أن تبرهن على طهرها وبراءتها مما نسب إليها لتبتعد عن الإجرام الذي تسببه الحرب .

فهذه الوقائع دلائل توميء إلى تطور الرأى المتمدن ، على أن إدخال المبدأ الأخلاقي في العلاقات الدولية يظهر أيضاً في مضامير أخرى غير الحرب . فقد أعلن مذهب حرية الأقليات ضرورة تقديم لأئحة بأعمال الدول التي انتدبت عليها إلى عصبة الأمم . وواضح أن الهدف من ذلك هو حماية السلام وضمانه .

ومن أول الأعمال التي ظهرت من أجل هذا المبدأ الأخلاقي في العلاقات الدبلوماسية

هو حذف المعاهدات السرية . فليس من العدل في شيء أن ترتبط دولة بمعاهدة سرية مع دولة أخرى ولا يعلم أحد بها . فقد يُخشى أن يكون بها شر على دولة ثالثة . وهى بذلك تساعد على بقاء الحروب وظهورها بالارتباطات والتعقيدات التى يمكن أن تنتج عنها ، وتشجع الدول الأخرى على عقد معاهدات مماثلة ضد الآخرين .

فهذا الاعتبار حُذفت الدبلوماسية السرية تقريباً من الوجود . وأصبحت المفاوضات والمعاهدات تنتشر ويعلم بها الناس جميعاً . وهنا تبدو براعة الدبلوماسى الذى ينال ما يتمنى علناً .

أما ما يتعلق بمحو اتحاد الدول الذى يراه الجميع الدواء الشافى من كل العلل فى سبيل السلام فهو ليس كما يُعتقد ويُخَيَّل أن الأمر يدور فى دائرة فاسدة . والواقع أن دولتين إذا لم تكن تربطهما روابط الأتحاد يتساعدان حتماً فى عمل يجدان فيه فائدة متماثلة لهما . ومن جهة أخرى أن الأتحاد لا يكون له شأن عند ما تتعارض مصالحهما . والمهم أن فكرة الحرب نفسها أصبحت تزداد ثقلاً على النفوس وُبعداً عنها .

ولا بد من الإشارة إلى أن نفراً من الرجال السياسيين نادوا بفصل المصالح السياسية عن المصالح ذات النظام الاقتصادى وحذف المصالح الأخيرة . ويبدو أن هذا النداء غير قابل التطبيق . فالمقدمات التى يأتى بها الطرفان صحيحة بعض الأحيان ، إذ ليس من النادر أن تكون المصالح الاقتصادية الشديدة أصعب فى الحل من اختلاف الوجهات الوطنية . ولكن هذه الأمور منذ وجد العالم لم يمكن أن تتجزأ . ثم إن المصالح الاقتصادية التى كان لها فى الماضى الشأن الكبير لا بد من العناية بها بعد أن نمت الصناعة أى نموً وتقدمت بفعالية وقوة إلى الأمام .

إذن فع هذا التطور الذى يستهدف المثل السامى تمشى مع المصالح السياسية والمادية . ونلاحظ يقظة الوعى الدولى لوضع حد للحروب والالتجاء إلى المفاوضات وحل الأمور بالدبلوماسية . على أنه رغم هذه اليقظة فإن هناك المادية والآلية تهددان العالم مرة أخرى مع عوامل سياسية واقتصادية أخرى ، وقد تعادل الدبلوماسيون بروح التضامن نحو السلم الذى ظهر قبيل هذه الحرب . وسعوا كل السعى للاستفادة منها .



إن حكم الدولة لم يعد مطلقاً كما كان من قبل . والحق الإعلاني أصبح له شأنه في النظام الدولي . فقد أضحى حقاً صحيحاً سينظم بهذه الأشياء وليس بما يثيره حق الدولة لكي يعدل من نظامه . وهذه أول مرّة نراه في تاريخ العالم .

وقد انتشر مفهوم حقوق الناس وتطوّر تطوراً هاماً منذ سنين بعيدة . وقد كان يجب التكلّم على أثره في هذه الدراسة . ولكن قد كان لا يخلو عملنا من سخريّة .

ويلاحظ أن العلماء المشرعين قدموا في هذه الفترة الأخيرة بأعمال باهرة في حقل الدبلوماسية يدفعهم إلى ذلك خير الإنسانية . فهو عمل علمي رائع بتجرده وبعده عن العصبية وبجميل تنظيمه وبعد نظره . فقد أخذت مقرراتهم الإيجابية في شؤون شتى بعين الاعتبار . وقد أنشئ مجمع علمي للأمر الدبلوماسية الدولية .

لا جرم أن التفاعلات التي مرّ ذكرها أثرت كلها على الدبلوماسية الجديدة ، وهناك أمر ذو شأن نراه قد تحقق ، هو البقاء بعلاقات حسنة مع جميع الدول . وبدأنا نسمع تعريفاً جديداً للدبلوماسية هو نتيجة هذه التفاعلات فقد قال السير أرنست ستو Stow : « إن هدف الدبلوماسية عند الدبلوماسي هو توافق مصالح بلاده ومصالح البلاد الأخرى ، ورفع شرف بلاده عالياً وجنّي عقلية دولية » .

وكثر في سبيل ذلك المؤتمرات الدولية للتداول في الأمور وهيمن الضمير الأخلاقي على الدول الديمقراطية . ولكن الذي كان يُعكّر هذا الصنف هو الدكتاتوريات التي كانت أداة هدم الوثام .

ولقد أرتنا هذه الحروب الأخيرة كيف تحطم الطغيان وانتصرت الديمقراطية ، وبدأ يهيمن على الناس عالم جديد يرجي أن يكون فيه خير وطمأنينة وسلام .

## مصادر القسم الأول

---

Dictionnaire Diplomatique de l'Académie diplomatique International,  
Paris.

Matières : Diplomatie

Agents Diplomatiques

Consuls

Lettres de créances, de rappel, de récréance

Immunités Diplomatiques

Privilèges Diplomatiques

Style Diplomatique

Exterritorialité.

J. CAMBON : Le Diplomate, Paris, 1920.

CHEVREY-RAMEAU : Répertoire diplomatique et consulaire 1883-85.

FLASSAU : Histoire Générale et raisonnée de la diplomatie Française,  
2° ed. 1811.

MANNET : Manuel diplomatique et consulaire, 3° ed. 1910.

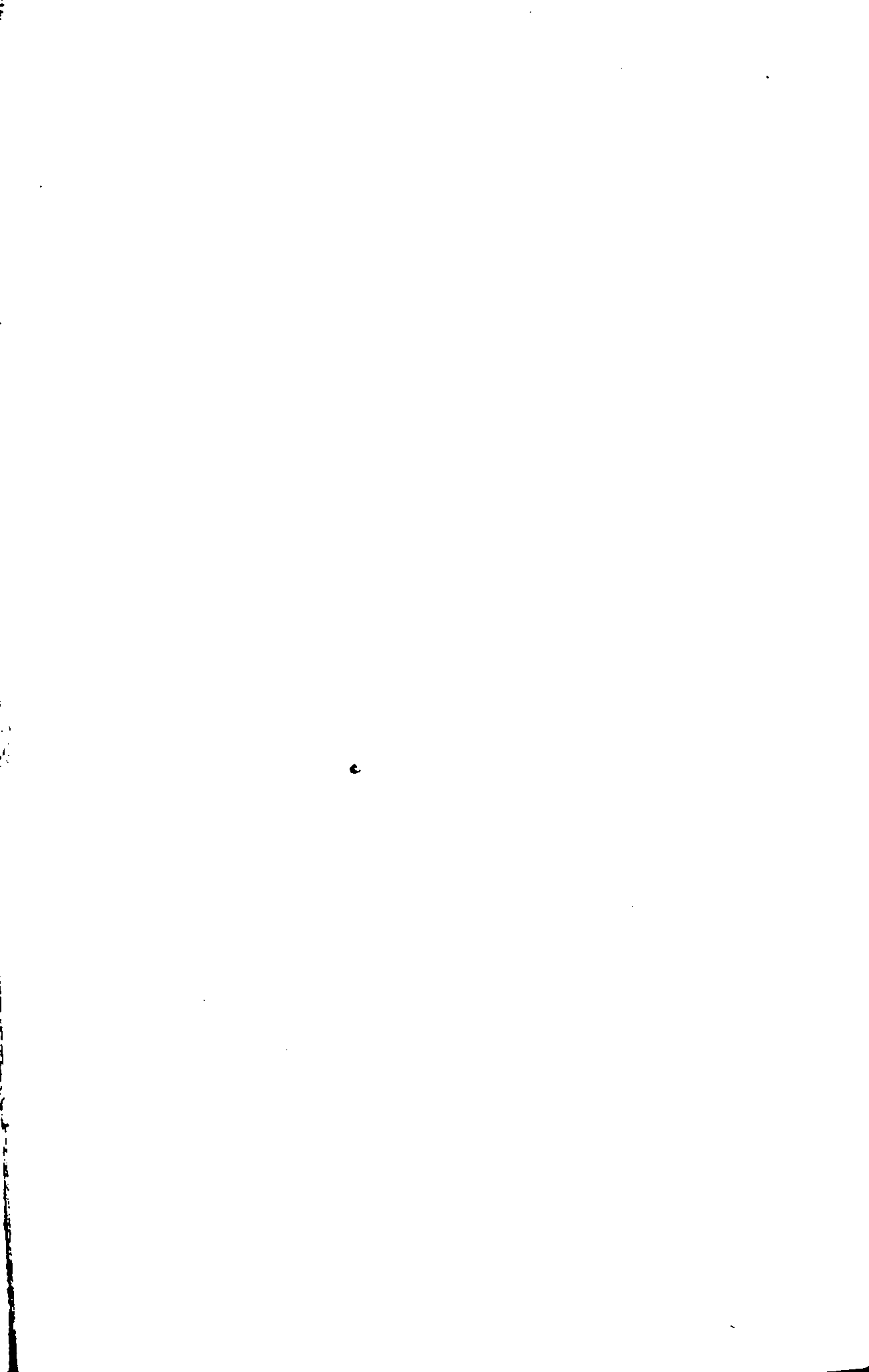
ROUSSEAU de CHAMOY : L'idée du Parfait ambassadeur (publié par  
M. DELAVALD en 1912, dans la Revue Générale de droit intern-  
ational public).

SZILASSY (De) : Traité Pratique de diplomatie Moderne, 1925.



## القسم الثاني

الرسول والسفراء عند العرب



# الفصل الأول

## الباب الأول

### لمحة عن الرسل في دول الإسلام

كان وضع العرب الجغرافي قبل الدعوة وبعد الفتح محاطاً ببلاد غربية الجنس واللسان فقد كانت بلاد الفرس والروم تتاخم البلاد العربية وتحيط بها . فكان في العراق الفرس وكان في مصر والشام الرومان . فلما انتشر الإسلام وامتدت الفتوح واستولى العرب على مصر من جهة والشام من جهة ثانية وفارس من جهة أخرى تقلص ظل بعض هذه الأمم ، وضعف بعضها ، وزالت فارس من الوجود وتحطم عرش كسرى وطرد الروم من الشام ، وخرج هرقل يبكي هذه البلاد الجميلة الفاتنة وخرجت مصر من سيطرة الروم وامتد رواق الإسلام فيها . على أن العرب إذا كانوا قد أخرجوا الروم من الشام فقد عجزوا عن إخراجهم من بزنتية رغم محاولاتهم وغزواتهم . إذ ارتدت الروم إلى آسية الصغرى وبلاد الأناضول إلى الإمبراطورية الرومية الشرقية وتحصنوا بجبالها الجنوبية التي تفصلها عن الشام فعمروا بها المسالح والحصون وظلوا يتاخمون العرب ويحاولون الغدر بهم من حين إلى حين .

ولقد وجد العرب أنفسهم ، قبل الفتح لأسباب دينية وسياسية معاً ، وبعد الفتح للقيام بالجهاد مرة وللتوسع أخرى ، أقول وجد العرب أنفسهم مضطرين إلى تبادل الرسل مع الروم لأهداف معينة يبلغونها .

فالرسول صلوات الله عليه أرسل الرسل إلى قيصر وكسرى والمقوقس . وكانت دعوتهم في الظاهر دينية لأنها دعوة للإسلام . ولكن الحقيقة أن هؤلاء الرسل كانوا دبلوماسيين أيضاً ، لأن تحت الدعوة الدينية إلى الإسلام كانت دعوة إلى العرب ولغتهم . دعوة قومية سياسية تضمن للعرب السيطرة والنفوذ ، لأن الدين نفسه جعل لغة القرآن ميزة كبرى لنزول القرآن بها .

ولقد اضطر قيصر بعد ذلك إلى إرسال رسول إلى النبي<sup>(١)</sup> ، فلما انتقل الرسول إلى الملأ الأعلى أرسل أبو بكر ثلاثة نفر رسلا إلى قيصر<sup>(٢)</sup> . فلما أتى عمر أرسل إليه رسولا<sup>(٣)</sup> وورد عليه منه رسول<sup>(٤)</sup> .

وقامت الدولة الأموية وامتد سلطانها في الشام . فتاخمت الروم وقربت منهم فاضطروا إلى إذكاء نار الجهاد للتخلص منهم ، ولكن هذه الغزوات التي كانت تشن في كل سنة مرة أو مرات كانت تفشل أكثر الأحيان وكان يكتب لها النصر أحيين أخرى . وكان معاوية مشغولا بملكته الفتية . فلم يستطع أن يتغلب على الروم ، فاضطر إلى إرسال رسل إلى بلاد الروم ليهادنهم<sup>(٥)</sup> فيستريح من الغزو . فكانت الرسل تتردد في سبيل ذلك . ومثل هذه الحالة واجه الخليفة عبد الملك . فقد ألهته الفوضى التي قامت في البلاد والثورات التي نشبت في العراق والحجاز عن ضرب الروم ، فأرسل إلى الروم رسلا ليهادنهم وأرسل الروم إليه رسلا يوافقون على ذلك .

وهكذا أخذت الرسل تتردد بين دمشق وبيزنطية . فأتى دمشق رسل الروم زمن هشام<sup>(٦)</sup> وسليمان<sup>(٧)</sup> وزمن عمر بن عبد العزيز<sup>(٨)</sup> ، وأرسل العرب رسلهم إليهم .

وبينا كانت الروم في الشمال تناوش العرب كانت الجيوش العربية الإسلامية تتقدم في الشرق حتى تبلغ الصين . في هذه الحقبة تذكر المصادر التاريخية أن رسولا اسمه سليمان أوفده هشام بن عبد الملك إلى الخليفة الصيني هسوان تسونج سنة ( ١٠٨ هـ ) . وتذكر هذه المصادر أن العلاقات السياسية زادت يومئذ بين العرب والصين ، وأنها توثقت زمن العباسيين حين أرسل هؤلاء جنداً من جندهم ليعينوا ملكا على آخر هناك فطاب لهم

(١) مسند أحمد ٧٥/٤ .

(٢) صبح الأعشى ٣٦٠/٦ . وانظر أخبار هذه السفارة مفصلة في تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوط) ج ٦ ورقة ١٦٣ آ .

(٣) الشرع الدولي في الإسلام للأرمنازي ص ١٥٣ . وانظر هناك خبر هدية أم كلثوم لملك الروم .

(٤) رسل الملوك - الباب الحادي والعشرون .

(٥) الفخرى في الآداب السلطانية ص ٨٣ . (٦) رسل الملوك .

(٧) السفارات الخليفة لعبد الله عنان (الرسالة) .

(٨) مسجد دمشق (مخطوط ورقة ٢٨) . وانظر مخطوطة ابن عساكر عند كلامه على مسجد دمشق .

العيش فيها واستقروا وتزوجوا من بناتها<sup>(۱)</sup> .

إذن فنحن نجد أن العرب منذ فجر عهدها اضطرت إلى إرسال رسل إلى البلاد المتاخمة

لها تارة والبعيدة كل البعد عنها تارة أخرى .

فلما تولت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية ازدادت الصلات الدبلوماسية بالأمم

المجاورة قوة . فعظم شأن الرسل وكثر توافدهم فأرسل المنصور إلى ملك الفرنجة رسلاً فنزلوا

مارسيليا وشتوا في منز وأقاموا في قصر سلس على ضفاف اللوار<sup>(۲)</sup> . كما أرسل رسلاً آخرين

إلى ملك الروم<sup>(۳)</sup> وأرسل الروم والفرنجة رسلاً إلى المنصور وإلى المهدي فلما جاء هارون

الرشيد ترددت الرسل بينه وبين شارلمان . وقام شبه توازن دولي يومئذ بتحالف هارون

الرشيد وشارلمان من جهة ومملكة الروم الشرقية ودولة الأمويين في الأندلس من جهة

ثانية<sup>(۴)</sup> ، وازداد النشاط الدبلوماسي . وأضحت بغداد مركزاً هاماً ورأت من رسل الملوك

كثيرين ، فقد أتتها رسل ملك الحبشة والخزر والصين والروم<sup>(۵)</sup> .

وأرسل العباسيون رسلاً من عندهم . وخاصة إلى الروم للقيام بأمر القداء والمهادنة في

أغلب الأحيان . وتعدت الرسل الروم فذهبوا إلى البلغار<sup>(۶)</sup> مرة وإلى الصين مرة<sup>(۷)</sup> ،

وإلى بلاد الصقالبة مرة<sup>(۸)</sup> ، وقد ترك لنا هؤلاء الرسل أخباراً كثيرة عن رحلاتهم هذه

نجدها مدونة في كتب التاريخ ومعجم البلدان .

أما في الأندلس فقد مدت أم النصرانية على قول المقرئ لعبدالرحمن من وراء الدروب

يد الإذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم

والأعمال<sup>(۹)</sup> ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والفرنجة والمجوس إلا وفدت عليه .

كرسل الروم والصقالبة والألمان والفرنجة<sup>(۱۰)</sup> ، فكان ملوك الأندلس مضطرين أمام توافد

( ۱ ) P. de Thiersant : Le Mohsmétisme en Chine 1—70 ، وانظر الصين وفنون

الإسلام ص ۱۰ .

( ۲ ) السفارات الخلافية والسلطانية لعبد الله عنان الرسالة عدد ۸۸ سنة ۹۳۵ ص ۳۶۹ .

( ۳ ) كتاب البلدان ص ۳۷ . ( ۴ ) مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ۱۳۱ .

( ۵ ) رسل الملوك — الباب الثامن عشر . ( ۶ ) معجم البلدان ۱/۷۲۲ .

( ۷ ) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ۳۲ . ( ۸ ) معجم البلدان ۲/۴۸۴ .

( ۹ ) نفح الطيب ۳/۱۴۸ . ( ۱۰ ) نفح الطيب ۳/۱۸۲ .



الرسل عليهم أن يرسلوا رسلا من عندهم بالمقابلة<sup>(١)</sup>.

وقام الفاطميون في مصر فنشأت دولة جديدة نظرت إليها الروم بعين الرضا لما كان بينها وبين العباسيين من تنافر، واضطر الفاطميون إلى إرسال رسل إلى الروم وخاصة في زمن المستنصر بالله زمن الوباء<sup>(٢)</sup>، ووردت عليهم رسل هؤلاء<sup>(٣)</sup> ليفاوضوا وينظموا أمور الفداء أو يحكموا العلاقات التجارية التي طمعوا بها من مصر لمركزها الهام<sup>(٤)</sup>.

وفي زمن الصليبيين تناصر العرب والفرنج فانتصر الإسلام. ولقد بدأت ولكنها ما انتهت وفي خلالها كانت رسل العرب تذهب إلى مستعمرات الفرنجة في البلاد المقدسة، وكانت رسل هؤلاء تتردد إلى القاهرة تارة ودمشق أخرى.

ثم اتسعت الدبلوماسية زمن المماليك. وكانت مصر الدولة الكبرى التي تتجه إليها أبصار الروم والفرنج والمسلمين. فكثرت الرسل الواردة والصادرة حتى كان يأتيها رسل من الروم والفرنج والبنادقة وأهل جنوة وأسبانيا والبرتغال واليمن والهند وسرنديب والسلاجقة والترك. وحتى اجتمع في مرة معاً أربعة عشر رسولا من أمم مختلفة في القاهرة<sup>(٥)</sup>.

فكان المماليك يرسلون الرسل أيضاً. فأمام هذه العوامل الجغرافية والسياسية والاجتماعية وتحت تأثيرها رأى العرب أنفسهم مضطرين إلى إرسال الرسل أو تلقي الرسل تبعاً لقوتهم وضعفهم. فكان لا بد وقد اتسعت الشؤون الدبلوماسية من أن يعنوا بالرسول والسفراء. يعنوا بانتقائهم وشروطهم وصفاتهم ويمنحونهم ميزات خاصة بهم. فلننظر كيف كان الرسل في الإسلام وما هي أخبارهم<sup>(٦)</sup>.

(١) نفتح الطيب ١٢٥/٣ و ١٧٨ . (٢) المقرئى ١٣٧/٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) وانظر عن مركز مصر التجارى : مصر الإسلامية . المواصلات في مصر ص ٣٣ و ٣٨ وابن

الغيبه ص ١٥٣ . (٥) انظر السلوك للمقرئى .

(٦) السلوك للمقرئى ج ١/ق ٢/ص ٥٤٣ ، دولة المماليك في مصر وليم مور ص ٥٨ و ٨٤ ،

والسلوك ١/٢/٤٩٦ وابن إياس ص ١٩٨ والسلوك ج ٢ ص ١٦٣ ، وج ١ ق ١ ص ٢٤٣ .

(٧) للتوسع في هذه اللحة السريعة عن الدبلوماسية في الإسلام راجع ما كتبه عبد الله عنان عن

السفارات الخلافية والسلطانية في الرسالة . وتاريخ المماليك البحرية — علاقات مصر الخارجية . وحواشى

الدكتور زيادة القيمة في السلوك للمقرئى وفريد أبو حديد في صلاح الدين وعصره . ونجيب الأرمنازى في

الشرع الدولى في الإسلام .

## الباب الثاني

الرسول ، السفير

تحديد لغوى

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن الرسل والسفراء في الإسلام أن نحاول تحديد معنى كل منهما ، وأن نعلم ما يرافق كلاً منهما من أعمال ومهمات ، وأن نجو الفرق بينهما .  
ويجدر بنا أيضاً أن نرجع بآدى بدء إلى كتب اللغة لنرى ما حدّدت به معنى الرسول ومعنى السفير .

( ١ ) فالرسول مأخوذ من الإرسال . وهو التسليط والإطلاق والتوجيه . والذي يرسل هو الرسول أو الرسيل . وكأن في معنى الرسول أنه يطلق إلى آخر ويوجه إليه ويسلط عليه . وبهذا فسر المفسرون آيات من الذكر الحكيم ورد بها لفظ الرسول أو الإرسال . فقد قالوا في معنى قوله تعالى « إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » أى أطلقوا إليهم وسلطوا عليهم . وقالوا في معنى إرسال الله أنبياءه إلى خلقه إنه توجيههم إليهم لإبذارهم .  
وقد ذكروا أن عمل الرسول هو « متابعة أخبار الذى بعثه لآخر » أى أنه ينقل أخبار مرسله إلى من يرسل إليه . وعلى هذا فسر الأنبارى قوله ( أشهد أن محمداً رسول الله ) أى أشهد أن محمداً متابع للأخبار عن ربه .

هذا ما ذكرته كتب اللغة كالقاموس والتاج واللسان .  
ويبدو أن هذا الحرف قد اتخذ فيما بعد معانى خاصة اصطلاحية عند الناس بحسب فئاتهم . فالرسول في الدين له معنى ، والرسول عند الفقهاء له دلالة ، والرسول بين الملوك له مفهوم ، والرسول بين العشاق له معنى آخر .

على أن هذه المعانى كلها تشترك بصفة واحدة هي صفة الإطلاق والتوجيه ونقل الأخبار ، وتختلف في طبيعة العمل الذى يقوم به كل رسول .

فقد ذكر النووى في الفتح المبين أن الرسول في الدين إنسان حر ذكر من بنى آدم يوحى إليه بشرع ويؤمر بتبليغه .

وهو عند الفقهاء من أمره المرسل بأداء الرسالة في عقد أو في أمر آخر كتسليم المبيع وقبض الثمن في البيع أو أخذ المبيع وأداء الثمن في الشراء ، وهو لا يضيف العقد لنفسه ، فهو يبلغ الرسالة فقط وليس بوكيل .

وهو عند الملوك رجل يُرْسَل بين ملكين في أمور خاصة من عقد صلح أو هدنة أو فداء أو تحالف ، وتكون فيه صفات معروفة يجب أن تتوفر به . فيمثل المرسل كأنه هو ويتكلم باسمه

وهو عند العشاق من يحمل الكتب المعطرة ويبث الأشواق المتأججة وينقل أخبار الود والحب والهيام . ويكون لطيفاً فطنا يجمع بين القلوب ويواسي في الحب الجروح<sup>(١)</sup> .  
فيتضح لنا من هنا أن هذه الكلمة اكتسبت فروقا من حيث العمل الذي يقوم به الرسول ، تظهر إذا قرنت بالفئة المرسل ، الفقهاء أم الملوك أم العشاق والأصدقاء .  
ويتضح لنا أيضاً أن هذه الكلمة في موضوعنا الدبلوماسي لا تشير إلى رتبة خاصة كما تشير إليها كلمة envoyé الفرنسية مثلا . وإنما على الرسول أداء الرسالة مهما كان نوعها وموضوعها .

(ب) أما كلمة السفير فقد أجمعت المعاجم على أنها من سفر وأسفر بين القوم إذا صلح . ويظهر من هنا أن في السفارة معنى من معاني الرسالة وهو التوجه والانطلاق إلى القوم . غير أن هنا تحديداً في العمل وحصره لا يخرج عن الصلح .  
وبهذا فسّر أبو العلاء المعري كلمة السفير فقال : « السفير هو الذي يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين » .

وذكر القلقشندي أن السفير هو الرسول والمصلح بين القوم<sup>(٢)</sup> .  
وقد يلقب أيضاً بالسفيرى . وكان يسمى به بعض الخواجكية من الممالك لسفارتهم بين الملوك<sup>(٣)</sup> .  
على أن هذه الكلمة اتخذت معاني أخرى تخرج عن الصلح الذي حصرت به كتب اللغة .

(١) طوق الحمامة لابن حزم ص ٣١ . (٢) صبح الأعشى ١٥/٦ .

(٤) صبح الأعشى ١٥/٦ .

وسترى أن من السفراء من أرسل للتعزية أو الاستنفار أو التهنئة أو تقديم الهدايا .  
كما أن كاترمير قد لاحظ لهذه الكلمة معاني أخرى .  
فالمقريزي في السلوك يقول : « قد تم ذلك بسفارة الأمير » ويترجها بمعنى « توسطه  
وتدخله » Intervention .

ونجد في مكان آخر من السلوك أنها وردت بمعنى المفاوضات « قد ذكرنا السفارة التي  
وقعت بينهما » وهي هنا Négociation .

ونقرأ في تاريخ مصر للعسقلاني قوله : « مع حسن سفارة بين الناس وبين السلطان » . أى  
(avec les bonnes dispositions de servir d'intermédiaire entre les sujets  
et le Sultan.)

وبهذا المعنى نقراً : « كاتم السر سفير بين السائل والمسؤول » وقد عربها كاترمير بما يلي :  
( Le Chef de la Chancellerie secrète est l'intermédiaire entre celui qui  
fait une demande et le prince à qui elle est adressée )

وقد تأتي بمعنى رسالة أو مهمة كقول ابن خلدون : « اختص بالسفارة إلى ملك المغرب »  
(١) Il fût choisi pour un mission auprès du souverain du magreb

ومهما يكن من أمر المعاني التي استنتجها كاترمير فإن كلمة السفير لا تنحصر بالرسول  
الذي يذهب للصلح ، بل قد يكون حتى لأشياء أُخرى : للزواج مثلاً . فقد حدث حميد الطويل  
عن نفسه فقال : « خطب رجل إلى الحسن البصرى وكنت أنا السفير بينهما » (٢)

والآن ينبغي أن نتساءل السؤال الآتى : هل فرق العرب بين الرسول والسفير ؟ وهل  
قدم أحدهما على الآخر ؟ وهل أوتى السفير ميزات خاصات لم تكن للرسول كما هو  
الحال في الغرب ؟

من الصعب الإجابة عن هذا السؤال بوضوح لفقدان كثير من المصادر لدينا . . على  
أنه يمكن القول أن العرب في علاقاتها الدبلوماسية بالأمم الأخرى لم تفرق بين الرسول والسفير

(١) انظر مراجع هذه الكلمات في :

(أ) معجم lane ١/١٣٧١ .

(ب) كاترمير 193-1 Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks

(٢) حلية الأولياء ٢/١٥١ .

بمعنى أنه لم يكن لأحدهما ميزة خاصة على الآخر ، كأن يرسل الوزير الرسول ويرسل الملك السفير أو كأن يحق للسفير تمثيل الملك ولا يحق ذلك للرسول . فهذا أمر لم يكن معروفاً ، وإنما كان الرسول والسفير رجلين يوفدان في مهمات شتى إلى الملوك فيسفران ويرسلان ويمثلان الملك . أما الفهم الشائع القائل إن السفير هو أعلى طبقة من الرسول فبعيد عن الصواب . ومنشؤه كما أعتقد المفهوم الحديث للسفير عند الغربيين .

على أنه يجب تقرير أمور :

١ - أن السفراء والرسل في الإسلام يشبهون اليوم السفراء فوق العادة الذين يوفدون بمهمة رسمية ينتهى عملهم التمثيلى بانتهائها كعقد معاهدة أو حضور زفاف أو إجراء فداء . ولقد كانوا ذوى صفة دبلوماسية في أعمالهم هذه .

٢ - وكان بعض الرسل والسفراء من عمال الدولة أى موظفين رسميين تدفع لهم الرواتب وتنفق عليهم النفقات ويلبسون ملابس خاصة<sup>(١)</sup> .

٣ - ولقد عرفوا واتبعوا معظم القواعد الدبلوماسية التى يتبعها الغربيون اليوم كلها أو بعض وجوهها . والفارق بين هؤلاء وأولئك هو الإقامة الدائمة فى الدولة التى أوفدوا إليها . لأنهم كانوا يقومون بما عهد به إليهم ثم يعودون . والإقامة الدائمة من مستحدثات العصور الحديثة .

٤ - إن صفة التمثيل كانت معروفة لديهم . فالسفير والرسول يمثلان الملك ويتكلمان باسمه ويفاوضان عنه ويحكان الشروط والعقود نيابة عنه<sup>(٢)</sup> .

وسنرى فى الأبواب القادمة لدى الرسل والسفراء العرب معظم ما رأيناه من قبل لدى الرسل والسفراء فى الغرب .

### الباب الثالث

#### انتقاء السفراء

يجرى الغربيون فى انتقائهم الممثلين الدبلوماسيين على طريقتين : الأولى اختيار المبرزين

(١) رسل الملوك الباب الثامن عشر . (٢) صبح الأعشى ج ١٤ ص ٢٥ .

الأولين في مسابقات علمية عامة يجرونها بعد اختبار دقيق للمرشح وتتبع لأحواله وصفاته .  
وتضمن هذه المسابقات عادة عرفان مبلغ فهم المتقدم وثقافته . وتكون هذه الطريقة في أغلب  
الأحيان وسيلة لانتقاء الممثلين الدبلوماسيين المبتدئين . والطريقة الثانية هي تسمية من لُست  
فيه الكفاءة والذكاة وعرف بالدهاء ، رسولا أو سفيراً بلا امتحان يجري أو مسابقة تكون .  
وقد اتبع العرب الطريقة الثانية وجروا على انتقاء من عرف وشهر أو شهد بفضله ودهائه  
أوسار ذكره واستفاضت شهرته . وقد كانوا ينتقون في أغلب الأحيان من ظهر فضله أو زاد  
علمه أو نضج فهمه أو سما دهاؤه أو رفع منصبه . وشهد الناس بذلك كله .

ولقد عرفنا طائفة من الرسل والسفراء الذين كانوا يوفدون إلى ملوك الروم أو الفرنج  
أو الحبشة أو غيرهم . . واستقصينا سيرتهم وتبيننا أحوالهم ، فوجدنا فيهم أكثر ما ذكرنا  
من الصفات .

على أن هؤلاء الرسل كانوا ينتقون ضمن دائرة محدودة من مهن معروفة ويكون لهم  
صفات مذكورة .

فلقد اتقى المنصور عمارة بن حمزة رسولا إلى ملك الروم . وكان عمارة هذا من الدهاء  
بمكان لا يجارى به <sup>(١)</sup> .

وانتخب القاضي أبو بكر الباقلاني سفيراً ، وكان من جلال القدر وسعة العلم على جانب  
عظيم <sup>(٢)</sup> ، وكان الذي بعث به عضد الدولة <sup>(٣)</sup> .

وأرسل عبد الملك بن مروان الشعبي رسولا وكان قاضياً . وكان أمة في الفهم والذكاء  
والعلم ، فحسد ملك الروم العرب عليه وأغرى عبد الملك بقتله <sup>(٤)</sup> .

وأوفد عبيد الله بن نصر سفيراً وكان طبيباً بارعاً في الطب متولياً المارستان العضدي <sup>(٥)</sup> .

وانتقى صلاح الدين القاسم بن يحيى الشهرزوري ليكون رسوله إلى بغداد وكان قاضي  
القضاة فيها قبل أن يرسل <sup>(٦)</sup> .

(١) البلدان لابن الفقيه ص ١٣٧ . (٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٢٩٩ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ص ٣٧٩/٥ .

(٤) رسل الملوك الباب الحادي والعشرون وتاريخ ابن عساكر (١٤٦/٧) .

(٥) تاريخ ابن السامى ص ٩٨ (الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير) .

(٦) تاريخ ابن السامى ١٠٣ - ١٠٤ .

وأرسل ابن الأصبغى الوزير من قبل محمد خوارزم شاه رسولا إلى بغداد (١) .  
وانتقى مجد الدين يحيى بن الربيع المدرس في المدرسة النظامية رسولا إلى شهاب الدين  
الغورى (٢) .

وأرسل عبد الرحمن بن يحيى بن الربيع الغيب رسولا من بغداد إلى ملك غزنة (٣) .  
وجّهز برهان الدين إبراهيم الدمياطى نقيب الحكم عند المالكية وناظر المواريث رسولا  
من القاهرة إلى ملك الحبشة (٤) .

وأرسل سلطان مصر سنة ٧٠٣ فخر الدين عثمان الأستادار إلى ملك برشلونة (٥) ،  
والأستادار هو الذى يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير وصرفه ويتنفذ فيه أوامره (٦) .  
وكان عبد الرحمن الناصر يرسل وزيره هشام بن الهذيل إلى ملوك الروم أو يبعث بالغزال  
الشاعر المعروف (٧) .

وكان ابن الجوزى المؤرخ والعالم والقاضى يترسل دائما بين بغداد ودمشق والقاهرة (٨) .  
وأرسل سلطان مصر سنة ٦٧٩ الأمير ناصر الدين بن المحسن الجزرى ومعه البطريك  
اثناسيوس فى الرسالة إلى ملك بزنطية (٩) .

وأرسل الحسين بن على اللامشى المحدث رسولا من خاقان ملك ما وراء النهر إلى  
دار الخلافة (١٠) .

وعلى الجملة فانت ترى أن هؤلاء الرسل والسفراء أكثر ما كانوا ينتقون من القضاة  
ثم من الوزراء والأمراء ، وقد يكون أحدهم فقيهاً أو مدرّساً أو متطبباً أو بطريكاً أو استاداراً  
أو محدثاً أو شاعراً .

- 
- ( ١ ) المصدر السابق ١٩٣ . ( ٢ ) المصدر السابق ١٤٣ .  
( ٣ ) المصدر السابق  
( ٤ ) انباء الغمر فى أبناء العمر لابن حجر ورقة ٤٠ — ب مخطوطة باريس .  
( ٥ ) السلوك للمقرئى ج ١ ق ٣ ص ٩٥١ .  
( ٦ ) صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠ ، وج ٥ ص ٤٥٧ .  
( ٧ ) نفع الطيب ج ٣ ص ١٧٨ . ( ٨ ) السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٥٧ .  
( ٩ ) السلوك للمقرئى ج ١ ق ٣ ص ٦٨٠ ( ١٠ ) المتظم ج ١٠ — ١٠ .

## الفصل الثاني

### الباب الأول

#### صفات السفراء

على أن العرب قد احتاطوا للأمر حيطة كبرى وجهدوا في جعل السفير المختار كاملاً بعيداً من النقص منزهاً عن العايب ، ولعلمهم في هذا الباب فضلوا وبينوا ما لا نجده في كتب الدبلوماسية الغربية هذه الأيام فما تركوا أمراً ينتفع به السفير إلا اشترطوا عليه عرفانه ولا رأوا خلّة تصلح له إلا أوجبوا عليه أن يتحلّى بها .

ونستطيع أن نقسم هذه الصفات التي وقفوها على الرسل والسفراء إلى أقسام ثلاثة :

( أ ) الصفات الجسمانية والمظهر الخارجي .

( ب ) الصفات الخلقية .

( ج ) الصفات الثقافية .

وسنفضل هنا هذه الأقسام :

( أ ) الصفات الجسمانية :

لا شيء يجذب العين كالمظهر الخارجي . وقد أدرك العرب ذلك ، فجعلوا للصفات الجسمانية المكان الأول . فقالوا : « يستحب في الرسول تمام القد وامتداد الطول وعبالة الجسم ، فلا يكون قميئاً أو ضئيلاً . جهير الصوت وسيما قسيماً لا تقتحمه العيون ولا تزدرية النواظر . ويستدرك ابن الفراء فيقول : « وإن كان المرء بأصغريه ومخبوءاً تحت لسانه ، ولكن الصورة تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان » .

ولا بدّ إلى جانب ذلك من حسن الرواء والمنظر . وينبغي أن « يجمل الرسول بكل ما أمكن ، لأن العامة ترمق الزى أكثر مما ترمق الكفاية » .

وواضح أن الوسامة في الصورة والجمال في الهيئة تشوق الأعين ، وتفتن القلوب ، وترفع

المكانة . . .



ولعمر بن الخطاب وصاة بهذا الأمر ذات شأن فقد قال : « يؤذن لكم فيقدم أحسنكم اسماً ، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجهاً . فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم .  
وقد كانت أعين الملوك تسبق إلى ذوى الرواء من الرسل ، وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا ينقص اختيارها خطأ من خطوط الكمال ولأنها تنفذ واحداً إلى أمة وفذاً إلى جماعة وشخصاً إلى شخص كثر . فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسياً جسيماً يملأ العيون المتشوفة إليه فلا تقتحمه . ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره<sup>(۱)</sup> .

ويلاحظ أن هذه العناية بالمظهر الخارجي من الجسامة والوسامة والقسامة والتجمل بأحسن الزى والطفه ذات أثر كبير في نفوس الرائيين . ولقد فطن العرب إلى هذه اللفتة البسيكولوجية فعنوا بها كما يعنى الغرب بها في أيامنا لأن من كان ذلك شأنه تلقته القلوب وعظم في الأعين وسما في النفوس ، لأن النفس الإنسانية مطبوعة على تعظيم الجميل مجبولة على رفعه وتكريمه ، ففي جمال الزى وجمال الجسم سحر يبهر ويعجب<sup>(۲)</sup> .

### (ب) الصفات الخلفية :

وإلى جانب ما ذكرنا شرطوا توفر صفات خلقية ثانية فيه . والحق أنها صفات قل أن تتوفر جميعاً في رجل واحد . والواقع أن من يؤتاها يكون جديراً بالسفارة والرسالة وبكل أمر جليل عظيم .

قالوا لا بد أن يكون الرسول قد بلغ من « نفاذ الرأي وحصافة العقل » المبلغ الكبير « فأضحى حَوْلاً قَلْباً قَلِيلاً القفلة ذا رأى جزل ونظر نافذ » .

وأن يكون فَطِنًا للطائف الأمور « يعمل لما يرجو بالحزامة وأصالة الرأي ويتمقبه بالحذر والتميز » . فيستنبط غوامض الأمور ويستبين دفائن الصواب ، ويستشف سرائر القلوب ، ويأتى ما يأتىه عن بيّنة ثم يدع ما يدع عن خبرة فلا يغيب عنه شيء .

وينبغي أن يكون حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة « ليعجب السامع بطلاوة حديثه ويسحره بحلاوة لسانه ، ويفتنه بخلاصة لفظه . ثم ليكون كلامه ممتعاً أنيقاً ،

(۱) رسل الملوك .

(۲) انظر معجم الأدباء ص ۱۵۸ ج ۱۰ (الرفاعي) في ترجمة الحسين بن محمد النجيبى .

نافعاً لذافي الاستماع ، فإن للبيان من السحر ما لا ينكر ، وإن له في التوصل إلى البغية ما هو معروف .

ولا بد إلى جانب الفصاحة من « ذكاء القلب والوثوب على الحجج » فتكون حججه تحت لسانه ، وعقله يقظان مع جنانه « يفهم الإيماء » ويدرك حجة خصمه قبل النطق بها « حتى يبرم ما نقض وينقض ما أبرم » يفعل ذلك كله بطبع لا تكلف فيه ، لأن المتكلف أسرع الناس إلى الفضيحة ، وعندئذ يسهل عليه أن « يجيل الباطل في شخص الحق والحق في شخص الباطل ، ويحتال في محاوراته ومكائده » وذلك أقوم لإدراك المطلوب وبلوغ المراد. وينبغي أن لا يخلو من « جرأة وإقدام » فهو يحتاج إليهما مثل احتياجه « إلى الزكاة والوقار » لأن الجرأة أكبر جنة من الخوف وأقوى معين على النجاة في الخطر وأضمن سبيل لبلوغ الهدف . ثم هي زينة ترفع صاحبها ، تسهل ما عسرَ عليه وصعبَ لديه . كما أن صاحب الوقار ترمقه العيون بالهيبة وصاحب الزكاة يفرض قوله على النفوس فتتلقاه بالقبول. ويجب أن يكون « عاقلاً ليميز الأمر المستقيم من المعوج » وأن يكون ثابت العقل إذا ورد من الأعداء على من يرعد ويبرق عليه ، ويجمع له عدده وعدده ، لأنه إذا ظهرت خفته أهان مرسله وضعفه ، وأوهم المرسل إليه أنه دون قوته . وهذه إشارة فيها كثير من الحيلة والدهاء .

ويحتاج السفير إلى كثير من الحلم وكظم الغيظ مثل ما يحتاج إلى الصبر على طول المكث وتراخي المقام . فإن الرسول ربما وُجِّه إلى سخيف ودُفع إلى طائش فبدرت منه الكلمة البذيئة فيلحقه من الغضب والغليظ ما يتخون عزمه ويضعف رأيه . والغضب يهتك الحرمه ويدل على سوء المقدرة . وإذا هتكت الهيبة حقر الرسول في الأعين وذلت مكانته في النفوس . وقد قيل : « هيهات أن ينال أحق لا يحلم ما يرتجى أو يصل طيَّاش لا يكظم غيظه إلى ما يريد . والرسول مع الحلم والكظم أخلق بالنجاح وأجدر ببلوغ المراد » .

وللتأني المحل الأول بين صفات السفير لأنه إذا لم يكن متأنياً مكينا من عقله فنى بالملك الحازم الخمر رأيه الذي لا يُمضى إلا الرأي المتعقب المنقح لم يخل من أن يهجم به القلق والعجلة على إحدى خلتين « إما أن ينقاد إلى مؤاتاة من أرسل إليه وإما أن يعود بأمر لم ينفصل ورأى لم ينبرم » .

وقد أشاروا إلى ضرورة وجود الحزم عنده ، لأن الحزم ساعة الحزم مفتاح الفوز ، وهو بطبيعته حذر من التواني ، وبعد عن التهاون ، وهاتان خلتان تفسدان الأمور وتقودان إلى الهلاك .

وقد شرطوا أن يكون الرسول أمينا لثلاثين مرسله . فكم من رسول برقت له بارقة طمع من جهة من أرسل إليه ، فحفظ جانبه وترك جانب من أرسله ( الفخرى ۸۳ ) كرسول معاوية إلى ملك الروم الذي أطمعه بالمال فخان ( ص ۸۴ ) ورسول طغرل بك الذي أرسل ليخطب له امرأة فخطبها لنفسه ( ۸۶۰ ) . ولذلك قالوا : يجب أن يعطى من المال قبل إيغاده ما يريد لثلاثين مرسله أو يحتاج فيطلب .

والرسول بعد ذلك يحتاج إلى ترك الإفراط في الانقباض والحسمة ، لأن الانقباض يوجب الوحشة والانبساط يوجب الموانسة ، والموانسة تجمع القلوب . وهذه صفات أولى أن تكون بمن رسل برسالته وإن لم تكن فيه ، فلا بد من التظاهر بها لثلاثين تكون الوحشة سبيلا إلى النفور ويكون النفور سبيلا إلى الفشل .

وله أن « يؤثر الصدق على غيره » لأن الصدق يورث الثقة والثقة تمهد للإجابة . وأن يدمج المعنى الغليظ في الألفاظ اللينة . وقد سمح له أن يكون في محاوراته محتالا وأن يحفظ ما يتبلغ ليؤديه على وجهه .

وقد فطنوا إلى أمرين لها شأن كبير : الأول أنهم حذروا السفير أو الرسول إذا بلغ أرض المرسل إليه من شرب الخمر والإفراط فيه ، لأن الخمر تفضح شاربها في أغلب الأحيان وتطلع على ما في نفسه من الأسرار ، وألا يميل إلى النساء ، لأن للنساء حيلًا بارعات يستخرجن بها الأخبار . وقد كان الفرس والهند يلجئون إلى النساء لاستخراج ذلك<sup>(۱)</sup>

والأمر الثاني أنهم أوصوه أن لا يتدخل في شؤون المرسل إليه وأمور مملكته . وأن لا يجرش الملك على الرعية . لأن الرسول على قول الملك الظاهر برقوق ينبغي أن يكون أعمى أخرس غزير العقل ثقيل الرأس . وفي هذا الأمر الثاني نصف واجبات الممثل الدبلوماسي التي رأيناها في القسم الأول .

(۱) رسل الملوك الباب الرابع عشر .

### (ح) ثقافة السفير :

على أن الصفات الجسمية والخلقية لا تضمن وحدها بلوغ المراد إذا لم يضيف إليها ثقافة وخبرة . وقد شرطوا أنه لا بدّ للسفير أن يكون ذا ثقافة عامة شاملة ليستبصر بها فيما يأتيه ويذره ويأمن الزلل في قضاياها وأحكامه ويقوى بها في محاوراته ومحادثاته . وواضح أنه لا يطلب منه التدقيق في تحصيل كل علم ، إنما الهدف أن يكون له أنس بكل علم بحيث يتمكن أن يتكلم به إذا ما اضطر إليه .

لذلك قالوا : « ينبغي أن يجمع الفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذى مثال من سلف فيما يورده ويصدره ، وأن يعلم أصول الخراج والحسابات وسائر الأعمال لينظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه .

وعلى الجملة فقد كان يطلب منه الثقافة العامة المعروفة في تلك الأيام . فهناك الأمور الدينية كالقوانين والسنن وأحكام القرآن . وهناك الأدب وما إليه من رواية الأشعار وما يتبعه من جودة البيان . وهناك أصول الخراج والحسابات . ثم السير والتواريخ ليحتذى مثال من سلف فيما عمله من الأعمال . . . . .

وفي العصور المتأخرة زمن المماليك لجأوا إلى إرسال ثلاثة نفر معاً عند نقصان شرط من الشروط في رجل من الرجال . فكانوا يرسلون ثلاثة رسل معاً أحدهم صاحب سيف والآخر من أهل الشريعة والثالث من الكتّاب . فصاحب الشريعة يقرّر ما يسوغ فيها ويدفع ما لا يسوغ . وصاحب السيف يرتب ما لا مضرة فيه على الملك وجنده . والكتّاب يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات وآداب المحادثات . وهذه طريقة تتبع في أيامنا هذه في المفاوضات والمعاهدات .

### النسب :

وقد لاحظ العرب كما لاحظ الغربيون بعدهم ما للنسب من أثر ففضلوا السفير ذا المحتد الكريم والأصل النبيل على غيره . يقول ابن الفراء : « وليكن من أهل الشرف والبيوتات » وقد ذهب الغربيون في تفضيلهم الشريف على غيره إلى أنه ينال من القبول لدى المرسل إليه

ما لا يناله الوضيع . ولكن العرب كانوا في تعليلهم أعمق وأدق . فقد قالوا : « فإنه لا بد مقتف آثار أوليته محبب لمناقبها مساو لأهله فيها » لأن النبيل لا يصدر عنه إلا العمل النبيل ولا يجروء على ما يجروء عليه السافل الوضيع . وهذا يقتبس من أهله حسب قانون الوراثة Atavisme كل ما عندهم من النبيل والسمو وكرم الخلق . ونظرة العرب في هذا الشأن أحكم وأدق من نظرة الغرب . فالغرب يفضل السفير النبيل بنزعة أرستوقراطية التي ترضى الارستوقراطيين . فهنا فكرة الطبقات تظهر . أما العرب ففضلوا السفير النبيل لأنه ينبل فيما يفعل ، ولأنهم محتاجون إلى من يبرع في السفارة ويسمو ولا تجد مثل هذا إلا فيمن حسن منبته وكرم عنصره .

فهذه لمح عن الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الرسول والسفير . وأنا أحيل القارىء إلى كتاب ابن الفراء : « رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة » الذي حققته . فإن فيه تفصيلات كثيرة عن هذا الموضوع .

# الفصل الثالث

## الباب الأول

### استقبال السفراء

كان الخلفاء والملوك والسلاطين في الإسلام يتلقون الرسل والسفراء الواردين بالتكريمة وأحسن القبول ، فيحتفلون بقدمهم وبيالغون في حفاوتهم ويتعهدونهم بالرعاية والإكرام . وقد حفظ لنا التاريخ من ألوان العناية باستقبال السفارات الواردة ما يعجب ويطرب ؛ فما شئت من زينة تقام وإجلال وإكرام وعدد وعدد وخدم وحشم وذهب وفضة وياقوت وجواهر ، إلى غير ذلك من مظاهر الترف والعظمة .

ونلاحظ أن هذه المبالغة في الاحتفال كانت ترمى إلى هدفين .

الأول : إكرام الرسل لأن الرسل إنما يتكلمون باسم من أوفدهم ويحملون كلامه ويبدون رغبته . فإذا أكرموا فكأنما أكرم الملك المرسل نفسه . وكلما زادت العناية بهم دل ذلك على مبلغ مكانة المرسل في نفس المرسل إليه . وعلو منزلته لديه .

والأمر الثاني وهو في الحقيقة ما كانت الملوك تتعمده وتقصد إليه وتسعى نحوه . فقد كانت تريد إظهار عظمتها وبذخها وقوتها لتوقع الرهبة في نفوس الوافدين عليها فيقتصون على ملوكهم ما شاهدوه وما سمعوه . فتعظم مكانتهم لديهم ويحذرون بطشهم وسطوتهم .

ولعل هذه العادة عادة إظهار البذخ والقوة والعظمة من أقدم العادات التي درج عليها الملوك . ذكروا أن رسول سعد بن أبي وقاص لما دخل على كسرى استعد له وأظهر زينته وجلس على سرير من الذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب أيضاً<sup>(١)</sup> وفي زمن الأمويين عند ما ورد أحد رسل الفرس على هشام بن عبد الملك أعد له وحشد<sup>(٢)</sup> أيضاً .

(١) الكامل لابن الأثير

(٢) رسل الملوك . الباب السابع .

وازدادت مراسم الإكرام والإجلال في الاستقبال منذ العصر العباسي . فقد كان العمال إذا رأوا سفيرا أو رسولا لم يتعرّضوا له . لأن الملوك كانت لا تعلم من الوافد عليها بل يسألونه عن اسمه والمكان الذي أتى منه وهدف رسالته وعدد حاشيته من الفرسان والمشاة وما في أحواله من المتاع ثم يرسلون فارساً يعلم الخليفة بالأمر<sup>(١)</sup> .

وعندئذ يبدأ السفير وحاشيته بملاقة الاحترام والإعظام « فيقدم لهم العمال ما يريدون وينزلونهم في مساكن تليق بهم ويجري عليهم من النفقات والأطعمة ما يرغده مقامهم . ويصحبون بالخبراء والأدلاء يسيرون معهم ويهدونهم الطرق والمسالك ، وما يزالون يسلمون من عامل إلى عامل حتى يبلغوا دار الخلافة »<sup>(٢)</sup> .

وكانت الحزمة من الملوك تجهز جماعة من الجيش مع أكبر الأمرء يخرجون لاستقبال السفراء ويحيطون بهم ويرتبون لهم المراكب والإقامات وجميع ما يحتاجون إليه<sup>(٣)</sup> . ولما وفد رسول ملك الروم على المقتدر أرسل من يستقبله من تكريت<sup>(٤)</sup> . وعند ما وصل رسول ملك الفرنج إلى الملك الكامل أرسل من يتلقاه بالإقامات من الإسكندرية إلى القاهرة ثم خرج فتلقاه بنفسه بالقرب من القاهرة<sup>(٥)</sup> .

وقد يخرج للقاء الرسول قائد من القواد كما فعل الملك المعز عند ما استقبل رسول الخليفة المستعصم بالله الوافد من بغداد<sup>(٦)</sup> ، أو قاض من القضاة كما فعل الملك نفسه عند ما استقبل الرسول نفسه . في قدمة قبل هذه<sup>(٧)</sup> .

وكان الخلفاء العباسيون في أواخر أيام دولتهم يأمرّون فيخرج موكب عظيم من الناس لاستقبال الرسول . فقد قدم مرة رسول الملك العادل على الخليفة فتقدم إلى الناس بالخروج لتلقيه ، فخرج وجوه الناس من الولاة والفقهاء والصوفية ، وخرج الموكب الشريف الديواني وفي صدره النقيب الطاهر أبو الحسين بن المختار<sup>(٨)</sup> .

(١) سياسة نامه لنظام الملك . الترجمة الفرنسية ص ١٢٨ .

(٢) آثار الأول في ترتيب الدول ص ١١٠ .

(٣) آثار الأول في ترتيب الدول ص ١١١ .

(٤) تاريخ بغداد ١/١٠١ . (٥) السلوك للمقريزي سنة ٦٢٤ .

(٦) السلوك للمقريزي ١/٢/٣٩٨ . (٧) السلوك للمقريزي ١/٢/٣٨٣ .

(٨) الجامع المختصر لابن الساعي ص ٢٥٩ .

وفي بعض الأحيان كان يتصدر الموكب حاجب الحجاب بدلا من نقيب الأشراف<sup>(١)</sup> وهنا لا بد من ملاحظة أمر . هو أن بعض الملوك كانوا لا يُعلمون أحدا بقدم الرسول إذا قدم عليهم حتى يصل إلى البلاط . وقد يجهدون لإخفاء أمره تماما فلا يعلم به أحد . يقول نظام الملك : « وعند ما يرد السفراء من البلاد الأجنبية فلا ينبغي أن يعلم أحد بأمرهم حتى يبلغوا دار الخلافة . ويجب أن لا يصاحبهم أحد من العامة أو يقدم لهم الأخبار<sup>(٢)</sup> » وهذا ما كان يفعله الخلفاء الفاطميون ، فقد كانوا يسلمون أمر الرسل إلى نائب صاحب الباب فيستقبلهم ويطوف بهم ويمنع اجتماع الناس بهم أو الاطلاع على ما جاءوا فيه أو نقل الأخبار إليهم<sup>(٣)</sup> . ونحن نجد هذه الظاهرة نفسها عند النوريين والأيوبيين . فقد ذكر المقرئزي « أن رسول أحمد أغا سلطان عند ما قدم حلب مارا بها أخذه أميرها وأدخله دمشق من غير أن يمكن أحدا من الاجتماع به أو رؤيته »<sup>(٤)</sup> .

وواضح أن السبب في ذلك هو الحيلولة دون تجسس الرسل واستقصاء الأخبار عن الدولة والخليفة والعوام .

فإذا بلغوا دار الملك أنزلوا في دار تعين لهم . وقد كانوا ينزلون في بغداد في دار صاعد<sup>(٥)</sup> وكانت بمثابة دار للضيافة . وفي أواخر أيام العباسيين كانوا يعطون دارا يسكنون بها<sup>(٦)</sup> أو ينزلون في مدرسة من المدارس<sup>(٧)</sup> . أما في دمشق فكانوا ينزلون دار الضيافة . وكذلك في القاهرة<sup>(٨)</sup> . وفي زمن الأيوبيين أرصدت دار الوزارة وهي الدار التي كان يسكنها الوزراء في عهد الفاطميين لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة والرسل الواردين من الملوك<sup>(٩)</sup> أو ينزلون بالميدان<sup>(١٠)</sup> . ولما وردت رسل الملك طقطاي إلى القاهرة سنة ٧٠٤ أنزلوا بمنابر الكباش<sup>(١١)</sup> وتستريح الرسل عند قدومها يوما أو أياما ثم تلتبس مقابلة الخليفة . وقد كان خلفاء بغداد

( ١ ) الجامع المختصر لابن الساعي ص ٢٨٨ . ( ٢ ) سياسة نامه ص ١٢٨ .

( ٣ ) خطط المقرئزي ٤٠٣/١ ( ٤ ) السلوك للمقرئزي ١/٣/٧١٧ .

( ٥ ) تجارب الأمم لمسكويه ج ٥/٥٣ . ( ٦ ) تاريخ ابن الساعي ص ٢٨٤ .

( ٧ ) تاريخ ابن الساعي ص ٢٦٢ .

( ٨ ) انباء القمر في أبناء العمر للعسقلاني ورقة ٥٣ - ب .

( ٩ ) المقرئزي ١/٤٣٨ و ٤٦١ ( الخطط ) .

( ١٠ ) السلوك ج ٢ ص ٩ . ( ١١ ) السلوك ٧/٢ .



وبعض سلاطين مصر لا يوصلون الرسل إليهم إلا بعد مقابلة الوزير . وهذا شبيه بمقابلة السفراء وزراء الشؤون الخارجية في أيامنا . ويذكر لنا ابن مسكويه أن رسل الروم لما وردت على المقتدر أنزلت دار صاعد والتمست الوصول إلى المقتدر بالله لتبليغه الرسالة . فأعلنت أن ذلك متعذر صعب لا يجوز إلا بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصدا إليه وتقرير الأمر معه والرغبة إليه في تسهيل الإذن على الخليفة . فسأل أبو عمر عدى الترجمان الوارد معهما من الثغر الوزير ابن الفرات الإذن لهم في الوصول إليه . فوعده بذلك في يوم ذكره له <sup>(۱)</sup> .

وعند ما أتت رسل الفرنج إلى الخليفة العاضد الفاطمي قصدت أولا وزيره شاور فضرب لهم موعداً قادم فيه إلى الخليفة <sup>(۲)</sup> .

وقد وصف لنا ابن مسكويه في تاريخه كيف قابل رسل الروم الوزير ابن الفرات وصفاً رائعاً ملؤه الروعة يبين ما رافقه من الأبهة والبذخ والجمال . فقد وعد الوزير أن يستقبل الرسل في يوم ذكره لهم ، وفي ذلك اليوم تقدم أن يكون الجيش مصطفاً من دار صاعد التي أنزل الرسل بها إلى داره . وأن يكون غلماناً وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه . وبسط للوزير في مجلس عظيم مذهب السقوف بالفرش الفاخر العجيب . وعلقت الستور التي تشبه الفرش ولم يبق شيء تجمل به الدار ويفخم به الأمر إلا فعل . وجلس الوزير على مصلى عظيم من ورائه مسند عال وعن يمينه وشماله القواد والأولياء . ثم دخل الرسولان فشهدا من بهاء المجلس والفرش منظرًا عجيباً . وكان معهما الترجمان وحضر نزار بن محمد صاحب الشرطة في جميع رجاله وأقاموا بين يدي الوزير فسلموا وترجم لهما الترجمان ورغبا إليه في إيقاع الفداء ومسألة المقتدر الإجابة إليه . فأعلمهما أنه يحتاج إلى مخاطبة المقتدر بالله في ذلك ثم العمل في ما يرسمه ثم عادا إلى دار صاعد <sup>(۳)</sup> .

وإذا لم يكن الوزير فثابته . فقد صادف أن رسول الملك العادل قدم بغداد سنة ۶۰۵ ولم يكن هناك وزير ، فضرب نائب الوزارة موعداً لرؤية الرسول فحضر إليه . وعنده أرباب المناصب وأدى الرسالة وسأله قبول ذلك ، فكتب نائب الوزارة الإنهاء إلى الخليفة فبرز الجواب بقبوله <sup>(۴)</sup> .

(۲) صلاح الدين وعصره ص ۵۳ .

(۴) ابن الساعي ۲۶۰ .

(۱) تجارب الأمم ۵/ ۵۳ .

(۳) تجارب الأمم ۵/ ۵۴ .

وبعد مقابلة الوزير أو نائبه تعين يوم لمقابلة الخليفة .

وقد يقابل الرسول الوزير من غير إجراء المراسم ، بل قد يدخل عليه في داره وهو في خواصّ أموره ، هذا إذا كان ما معه مهماً . حدث إبراهيم الصابي أنه كان في مجلس الوزير المهلبى وهو في مجلس أنسه مع خلفائه وكُتّابه وقد أخذ الشراب من الجماعة وزاد بهم على حدّ النشوة ، إذ حضر رسول الأمير معزّ الدولة يذكر أن معه مهماً . فأدخله الوزير وكان هذا المهم أن يكتب المهلبى إلى محمد بن إلياس صاحب كرمان يخطب فيه ابنته لبختيار<sup>(١)</sup> . وأنت تلاحظ أن هذه المراسم تشبه الشبه القريب المراسم المتبعة في أيامنا هذه لدى دول الشرق والغرب .

وسنسوق إليك ثلاثة أوصاف لاستقبالات جرت ومقابلات للخليفة وقعت : الأول في بغداد زمن المقتدر ، والثانى في قرطبة زمن عبد الرحمن ، والثالث في القاهرة زمن العاضد .

#### ١ - في بغداد :

ويذكر لنا الخطيب البغدادي وصف حفلة الاستقبال ومقابلة رسل الروم الخليفة المقتدر فيقول : إن المقتدر أمر بحبس رسل ملك الروم في تكريت حتى فرغ من تزيين قصره وترتيب آله فيه . ثم صف العسكر من دار صاعد التي أنزلوا فيها إلى دار الخلافة . وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وراجل . فسارت الرسل بينهم إلى أن بلغوا الدار . وكانوا يطأون على الفرش والبسط . وكانت أسواق الجانب الشرقى وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة وفي دجلة الشذات والطيارات والزبازب والسميريات والزلايات بأفضل زينة إلى الدار . وكانت الدار قد امتلأت بالفرش الجميلة وزينت بالآلات الجميلة ورتب الحجاب وخلفائهم والحواشى على طبقاتهم صفين بالثياب الحسنة تحتمهم الدواب بمرآكب الذهب والفضة ، بين أيديهم النجائب على مثل هذه الصورة ، وقد أظهروا العدد الكثيرة والأسلحة المختلفة ، فكأوا من أعلى باب الشماسية وإلى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان بالبزة والسيوف والمناطق المحلاة . ودخل الرسول فرأى الحاجب فظن أنه الخليفة وتداخله له هيبة وروعة حتى قيل إنه الحاجب ، ودخل بعد ذلك الدار التي كانت يرسم الوزير ابن الفرات

(١) معجم الأدباء ٦٠/٢ .

فراى أكثر مارآه لنصر الحاجب ولم يشك أنه الخليفة ، فقيل له إنه الوزير . ثم أجلس بين دجلة والبساتين فى مجلس حسن ، ثم استدعى إلى حضرة المقتدر وهو جالس فى قصر التاج بعد أن لبس الثياب الديقية المطرزة بالذهب على سرير من آبنوس قد فرش بالديبى المذهب وعلى رأسه الطويلة ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبع معلقة . ومن يسرته تسعة أخرى من أفر الجواهر وأعظمها قيمة غلب ضوءها على ضوء النهار ، وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة . فقبل الرسول وترجمانه الأرض بين يدي المقتدر . فوقفا حيث استوقفهما وأديا إليه رسالة صاحبهما فى الفداء ورغبا إليه فى إيقاعه ، فأجابهما الوزير إنه يفعل ذلك رحمة بالمسلمين . ثم خرجا من حضرته ورسم لهما أن يطاف بهما فى دار الخلافة .

وكانت الدار مملوءة من الخدم والغلمان السودان والحجاب . وكان عدد الخدم سبعة آلاف : أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ، وسبعائة حاجب وأربعة آلاف غلام أسود . وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس . وقد علق الستور ونظم جوهر الخلافة على درج غشيت بالديباج الأسود . ثم دخل دار الشجرة فكثير تعجبه منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم عليها أطياف مصنوعة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها ، فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر منى تعجبه من جميع ما شاهده .

وكان عدد ما علق فى قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز المذهبة المصورة بالجامات والفيلة والخيول والجمال والسباع والستور الصنعانية والأرمنية والواسطية . . . والسواذج والمنقوشة والديقية ثمانية وثلاثين ألف ستر .

وكان الرسول أدخل من دهليز باب العامة إلى الدار المعروفة بخان الخليل وهى دار أكثرها أروقة بأساطين رخام ، وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة مركب ذهب وفضة بغير أغشية ، ومن الجانب الأيسر خمسمائة فرس عليها الحلال الديباج بالبراقع ، وكل فرس فى يد شاكرى بالبزة الجميلة .

ثم أدخل حير الوحش . وكان فى هذه الدار من أصناف الوحش التى أخرجت إليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشمهم وتأكل من أيديهم ، ثم أخرجوا إلى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديباج والوشى ، ثم إلى دار فيها مائة سبع ، خمسون يمنة وخمسون يسرة ، كل

سبع منها في يد سبتاع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد . ثم أخرجوا إلى الجوسق .  
وهي دار بين بساتين في وسطها بركة رصاص طولها ثلاثون ذراعاً في عشرين فيها أربعة  
طبّارات أغشيتها ديبقى مذهب ، وحوالي البركة بستان بميادين فيه أربعمائة نخلة طول كل  
نخلة خمسة أذرع قد لبست ساجاً منقوشاً من أصلها إلى حد الجمارة بحلق من شبه مذهب  
وفي البستان أترج ودستنبو .

وفي هذا الطواف رأى الرسول دار الشجرة . وهي شجرة ذات ثمانية عشر غصناً لكل  
غصن منها شاخات عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان  
الشجر فضة وبعضها ذهب . وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كلما  
تحركت الريح ، كما تحرك الريح ورق الشجر والطيور تصفر وتهدر . وفي جانب الدار يمنة  
تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فرساً قد ألبسوا الديباج وغيره . وفي أيديهم  
مطارد الرماح .

ثم أدخل إلى القصر المعروف بالفردوس . وهو قصر مملوء بالسلاح من الخوذ والدروع  
والقسي والجمعب

وكان الخدم يسقون الناس بالماء المبرّد بالثلج والأشربة .

وكان يطوف مع الرسول وأتباعه عدى بن أحمد رئيس الثغور الشامية وعليه قباء أسود  
وسيف ومنطقة ، والأسود هو اللباس الرسمي في الدولة العباسية<sup>(١)</sup> الذي كان يرتديه الرسل  
والسفراء إذا رسلوا برسالة أو سفروا بين الملوك<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - في قرطبة :

في صفر سنة ثمان وثلاثين على قول القري أو سنة ست وثلاثين على قول ابن خلدون  
وردت رسل قسطنطين بن ليون ملك الروم إلى عبد الرحمن الناصر . فتأهب الناصر لورودهم  
وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأخمة ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقاءهم ببجاية يحيى  
ابن محمد الليث أحد القواد وغيره لخدمة أسباب الطريق . فلما صاروا بأقرب المحلات من  
قرطبة خرج إلى لقاءهم القواد في العدد والعدة والتعبئة ، فتلقوهم قائداً بعد قائد ، وكل

(١) انظر تاريخ بغداد ص ١٠٢ - ١٠٥ . (٢) الطبري ج ٣ / ١١١ / ص ١٢٤٩ .

اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصبين ياسراً وتاماً إبلاغاً في الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد . فاستبان لهم بخروج الفتيين إليهم بسط الناصر وإكرامه ، لأن الفتيين حينئذ هما عطاء الدولة لأنهما أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمة وبيدهم القصر السلطاني ، وأنزلوا بمنية ولي العهد الحكم ، ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة ومن ملابسة الناس طرفاً .

وقعد الناصر لهم في قصر قرطبة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً . وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه الحكم ثم عبد الله ثم عبد العزيز ثم الأصبع ثم مروان . وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتخلّف عبد الملك لأنه كان عليلاً . وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالاً ، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء . وقد بسط صحن الدار أجمع بعناق البسط وكراّم الطنافس وظلّت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور .

فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودفعوا كتاب ملكهم وسيمر بك وصفه . وكان الناصر أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ما تهبأ من توطيد الخلافة في دولته ، فقام الفقيه محمد ابن عبد البر ليتكلم فيأله وبهره هول المقام وأبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظه ، بل غشى عليه وسقط إلى الأرض . فقيل لأبي علي البغدادي صاحب النوادر والأمالى قم فارقع هذا الوهي ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم انقطع به القول فوقف ساكتاً مفكراً . عندئذ قام منذر بن سعيد أحد الفقهاء فوصل افتتاح القالي بكلام عجيب وذكر قوة الخلافة وعظمتها وقوتها وعزتها . فصلب العليج وغلب على قلبه وقال هذا كبير القوم . وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه ، وبالغ المنصور في إكرام الرسل ، ثم انصرف هؤلاء وبعث معهم وزيره هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الإجابة (۱) .

۳ - في القاهرة :

ذكر المقرئ أن رسول ملك الروم كان إذا وفد على الخليفة في القاهرة نزل من باب

(۱) نفع الطب للمقرئ ۱۷۸/۳ - ۱۹۰ .

الفتوح وقبل الأرض وهو ماش إلى أن يصل إلى القصر . وما ندرى إن كان رسل الفرنجة يتبعون هذه الطريقة<sup>(١)</sup> .

ويبدو أن النزول في باب الفتوح لم يكن بدا للرسل جميعاً . وإنما الذي كان لا بد منه هو استدعاؤهم لتقبيل الأرض ، سواء أ كانوا فرنجة أم روماً أم مسلمين . وقد ذكر صاحب الخطط أنه في سنة ٥١٧ وصلت رسل طغديكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب إلى الخليفة الأمر بأحكام الله فاستدعوا لتقبيل الأرض كما جرت العادة في إظهار التجليل<sup>(٢)</sup> .

ويصف لنا المؤرخون الفرنج استقبالاً جرى في القاهرة لرسل من الفرنجة بعثهم الملك آمورى إلى الملك العاضد آخر الخلفاء الفاطميين . وهو وصف يعجبك بما فيه من تفنن وروعة وبهاء .

يقول شلومبرجة نقلاً عن رئيس أساقفة صور في الحروب الصليبية الذي وصف الاستقبال: « وسار السفراء الفرنج يقودهم الوزير شاور إلى قصر له رونق وبهجة ، وفيه زخارف أنيقة نضيرة . وكان الرسل قد أثر فيهم ما يحيط بهم كل التأثير دون أن يدب في نفوسهم رعب أو خوف . وكان القصر مملوءاً بالحرس . وسار نفر منهم في طليعة الموكب وسيوفهم مسلوطة . يقودون الفرنج في ممرات طويلة ضيقة وأقبية مظلمة حالككة لا يستطيع الإنسان أن يتبين شيئاً فيها . وربما كان القصد بعث الهيبة في قلوبهم . فلما خرجوا إلى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلمين الذين كانوا يقفون عند اقتراب شاور ويحيونه باحترام . ثم وصل الموكب إلى فناء مكشوف تحيط به أروقة ذات عمد أرضه من الرخام المختلف الألوان . وكانت ألواح السقف مزدانة بزخارف مذهبة جميلة .

وكان ذلك كله موقفاً رائعاً بهياً رائعاً بحيث لا يملك أشغل الناس بالاً وأكثرهم هاماً من الوقوف والإعجاب . وكان في وسط الفناء نافورة يجرى الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة إلى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام . وكان في الفناء طيور جميلة شتى ذات ألوان نادرة جلبت من أطراف الشرق . وكان كل من رآها يحار ويدهش ويعجب بها .

(٢) المصدر السابق ١/٤٨٢

(١) خطط القرينى ٢/١٠٧

واستأذن الحراس في الرجوع وحل محلهم بعض العظماء من الأمراء والمقربين إلى الخليفة نفسه .

سار الأمراء بالسفيرين الفرنجيين في أفنية جديدة أشد جمالا وإبداعا ثم نفذوا إلى حديقة لطيفة غناء رأوا فيها أنواعاً من الحيوانات ذوات الأربع ، هي من الغرابة بحيث لو وصفها واصف اتهم بالكذب . وبحيث لا يستطيع أى مصور أن يتخيل أو أن يحلم بمثل هذه المخلوقات العجيبة . فإن الغرب لم يرقط هذه الحيوانات . وبعد أن عبروا أبواباً عديدة وساروا في تعاريج كثيرة كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة وإعجاباً وصل الفرنج إلى القصر الكبير حيث يقطن الخليفة وكانت أفنية القصر تفيض بالمحار بين الميامين متقلدين أسلحتهم وعليهم الزرد والدروع تلمع بالذهب والفضة وعليهم سياء الافتخار بما كانوا يحرسون من كنوز . وأدخل الرسولان في قاعة واسعة تقسمها قسمين ستارة كبيرة صنعت من خيوط الذهب والحرير المختلف الألوان ، وعليها رسوم الحيوان والطيور وبعض صور آدمية ، وكانت تلمع بما عليها من الزمرد والياقوت والأحجار النفيسة . ولم يكن في القاعة أحد . لكن شاور خراً راكعاً فور دخوله ثم نهض واقفاً ثم قبل الأرض ثانية وخلع السيف الذي كان في عنقه ثم خراً ساجداً مرة ثالثة في ذلة وخشوع كأنه يسجد لله . وارتفعت الجبال فجأة وانكشفت الستارة الحريرية المذهبة بسرعة البرق عن الخليفة فبدأ جالساً على عرشه المصنوع من الذهب المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة<sup>(١)</sup> .

ويتم لين بول وصف المقابلة فيقول :

«فتقدم الوزير شاور إليه بخشوع وقدم إليه الرسولين الفارسين حاكم قيصرية وجوفروا فارس العبد . وبين بصوت منخفض ما كانت فيه البلاد من الخطر وما كان من شأن صداقة بيت المقدس له . وكان الخليفة شاباً أسمر اللون قد خطا خطوات خارجاً من عهد الصبا فقال إنه يرغب أن يوافق على معاهدة صديقه العزيز ملك بيت المقدس ، ولكنه تردد أن يمد يده

(١) G. Schlumberger, Campagne du Roi Amoury Ier : de Jerusalem en Egypte au XIIe. pp. 118—126.

وانظر أيضاً كتاب كنوز الفاطميين ص ٧١ — ٧٦ .

ونذكر هنا أن الأيوبيين والمماليك كانوا يجلسون على سرير الملك يوم قدوم الرسل عليهم . وهو منبر من رخام يكون بصدر الإيوان وعلى هيئة المنابر في الجوامع ( القلقشندي ٦/٤ )

عندما طلب الرسول منه أن يمدّ يده دليلاً على صدق عهده . وقد غضبت حاشيته من ذلك الرسول ، غير أن الخليفة مدّ يده بعد قليل إلى السر هيوم فوجد هذا عليها قفازاً . فقال : يا مولاي إن الحق لا غطاء له . وكل شيء ظاهر في عهد الأسماء . فتبسم الملك برغمه وخلع قفازه كارها . ثم مد يده إلى هيوم وحلف اليمين على إنفاذ المعاهدة بصدق وإخلاص . وهذه المعاهدة أبرمت برأى من شاور وحلف الخليفة على إعطاء الفديحة مائة ألف دينار معجلة ومثلها مؤجلة لمساعدتهم إياه على شيركوه<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

فهذه صور ثلاث لاستقبالات رائعة جرت للرسول الفرنج عند ورودهم إلى ملوك المسلمين وخلفائهم . وقد افتن الغربيون في تصوير هذه المقابلات في ألواح فنية رائعة ، منها لوح محفوظ في اللوفر بباريس يرى فيه السلطان الغوري يستقبل سفير البندقية . وقد كان هذا اللوح الفني ضمن ألواح لويس الرابع عشر ، طوله ١١٨ سم وعرضه ٢٠٣ سم . وينسب إلى مدرسة المصور الإيطالي بليني (١٤٢٩ - ١٥٠٧) ويمثل الغوري يستقبل في قلعة القاهرة سنة ١٥١٢ دومينيكو تريفيزيانو Dominico Trevisano سفير البندقية ، ويظهر السلطان على دكة وقد جلس بجانبه اثنان من كبار الدولة ووقف كثيرون من قواد الجيش والسفير وأتباعه أمامه<sup>(٢)</sup> .

وقد أخبرني المستشرق سوفاجه ذو الاختصاص بالآثار السورية الإسلامية أن هذا الاستقبال لم يكن في مصر وإنما كان في دمشق بدليل أن المآذن التي تبدو في الصورة وقبة النسر هي مآذن وقبة المسجد الأموي .

ولعلك تلاحظ بعد ذلك مبلغ عناية الملوك بالرسول واحتفالهم باستقبالهم . وقد كان الغربيون يفعلون شبه ذلك في القرون الخالية . على أن هذه الاحتفالات ما زالت إلى أيامنا . ولا يمكننا أن ننقل إلى فصل آخر دون أن نذكر أن الخلفاء العباسيين كانوا يضعون كل عام مبلغاً كبيراً من المال يوقف على الحوادث والمهمات والرسول الواردين والفداء<sup>(٣)</sup> . وكذلك كان ملوك

(١) صلاح الدين وعصره ص ٥٣ - ٥٤

(٢) La Peinture au Musée du Louvre (Ecoles Etrangères) p. 86, 89 pl no 87

وانظر مجلة الثقافة العدد ١٤ من السنة الأولى أبريل سنة ١٩٣٩ .

(٣) تاريخ الأمراء والوزراء للصافي ص ٢٢



الفاطميين يرصدون مبالغ باسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمناً<sup>(۱)</sup> . وفي أيامهم كان نائب صاحب الباب يتلقى الرسل الواصلة من الدول يحفظهم وينزلهم بالأماكن المعدة لهم ويقدمهم للسلام على الوزير والخليفة . ويتولى افتقارهم والحث على ضيافتهم<sup>(۲)</sup> . وفي زمن الأيوبيين والمماليك فكانوا يجعلون رجلاً يقوم باستقبال الرسل الواردين وتفقد شؤونهم والعناية بهم<sup>(۳)</sup> اسمه المهندار وهذا لفظ فارسي يطلق على من يتصدى لتلقى الرسل الواردين على السلطان فينزلهم دار الضيافة ويقوم بأمرهم<sup>(۴)</sup> .

وقد ذكروا أن عليه أن يعتمد مصلحة الإسلام ويرهب القصاد ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم وعظيم سطوتهم واتفاق كلمتهم وقيامهم في حوازة الدين وذبحهم عن حریم الملة وحفظ النظام ، وأن ينهى أمور القصاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة ، وأن يبادر إلى إكرام الرسل أو الكف عن إعظامهم بحسب ما تقتضيه الحال ، لأن من الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قصاد الملوك وإظهار القوة وحسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعي<sup>(۵)</sup> .

### التربيع :

ويجدر بنا أن نذكر قبل أن ننقل إلى باب آخر أن الرسل كانوا يودعون بكثير من الحفاوة ، وقد يعقد لهم احتفال يشبه احتفال استقبالهم ، وقد يقابلون الخليفة أو الوزير قبل ذهابهم . فقد ذكر الوزير أبو شجاع صفة لقاء ورد رسول الروم لصمصام الدولة بعد ما أفرج عنه وقبل سفره لوداعه قال : كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجليلة وستور الديباج معلقة على أبوابها وغللمان الخيل بالبزة الحسنة والأقبية الملونة فوق سماطين بين يدي سدة وكانت قد نصبت في السدلى الذهب الذي لفتح إلى البستان . وعبر ورد وأخوه وابنه في زربب أنفذ إليهم وأخذوا يمشون بين السماطين إلى حضرة صمصام الدولة . وبحضرته

(۱) خطط المقریزی ۳۹۹/۱ (۲) خطط المقریزی ۴۰۳/۱

(۳) السلوك للمقریزی ج ۱ — ق ۲ — ص ۶۳۷ .

(۴) صبح الأعشى ۴۵۹/۵ ، وانظر خطط المقریزی ۴۶۱/۱ .

(۵) معيد النعم ومبيد النعم لتاج الدين السبكي ص ۴۶ .

وانظر نقد الطالب لرغل المناصب لابن طولون ( مخطوط فوطوغرافى فى خزانه المجمع العلمى بدمشق

رقم ۱۲ ورقة ۳۱ آ ) .

كوانين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد . فلما قرب منه ورد طأطأ رأسه وقبل يده ، ووضع له كرسي ومخدة فجلس عليها ، وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالرومية والترجمان يفسر عنه وله . وقال قولاً معناه قد تفضلت أيها الملك ما لا أستحقه وأودعت جيلاً عند من لا يجمله . وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأييدية حقوق فعملك . وقام ومشى الحجاب والأصحاب بين يديه عند مدخله وعبر من الزبزب إلى داره ورجع<sup>(١)</sup> .

وقد يشيع الخليفة الرسول بنفسه . كما فعل الملك الصالح مع ابن العديم رسول حلب سنة ٦٣٧<sup>(٢)</sup> . فقد شيعه وأكرمه وزوده برسالة .

## الباب الثاني

### الكتب وأوراق الاعتماد

#### الجواز

اتبع الملوك العرب سنة تحمیل الرسول كتاباً يعرف به ويذكرون الغرض من رسالته ويطلبون اعتماده في أقواله وأفعاله وأنه ثقة أمين .

وكانت هذه الكتب تقدم إلى الخليفة أو السلطان يوم استقبله أمام الوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة ، وهي تشبه الشبه الكبير أوراق الاعتماد التي يقدمها في أيامنا السفراء الغربيون إلى الملوك الذين أوفدوا إليهم . وكان يكتب هذه الكتب كاتب خاص .

وقد عثرنا على بضع وثائق تدل على ذلك نعرض عليك أنموذجات منها .

١ - فمن كتاب إيلخان غازان وهو في دمشق إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة وفيه : « وقد سيرنا حاملي هذا الفرمان الأمير الكبير ناصر الدين علي خواجه والإمام العالم ملك القضاة كمال الدين موسى بن يونس وقد حملناهما كلاماً يشافهانكم به فلتثقوا بما تقدّمنا به إليهما فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما... » ثم ذكر بعض ما حملا من الرسالة<sup>(٣)</sup> .

٢ - ومن كتاب حمّله الحافظ لدين الله الفاطمي رسولا أرسله إلى صاحب صقلية جاء

(١) ابن الأثير ١٢٧/٧ . (٢) السلوك ج ١ - ق ٢ - ص ٢٩٨ .

(٣) السلوك ج ١ ق ٣ ص ١٠١٧ . وانظر النويري في نهاية الأرب ج ٢٩ ورقة ٣٣٠ آ

(مخطوط) والقلقشندی ٢٤٣/٧ وما بعدها .

فيه : «... وقد سیر أمير المؤمنين من أمراء دولته ووجوه المتقدمين بحضرة الأمير المؤمن المنصور... خالصة أمير المؤمنين أبا منصور جعفرأ الحافظی رسولاً بهذه الإجابة لما هو معروف من سداده وموصوف من مستوفق قصده ومستصوب اعتياده وألقى إليه ما يذكره ويشرحه وعول عليه فيما يشافه به ويوضحه<sup>(۱)</sup>... » .

۳ - وأرسل الملك الناصر برقوق رسولاً إلى أحد ملوك جنكيز خان ضمنه ما يلي :  
«... وقد اخترنا لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة المجلس العالی المقرب الأمين... فلانا أعزّه الله . وحملناه من السلام... ليحكم بحسن السفارة<sup>(۲)</sup>... »  
ويلاحظ في هذه الكتب أنها تتضمن اسم المرسل وصفته وفيها لفظ الاعتماد أو الثقة اللذين يطلبان من المرسل إليه .

وقد كان ملوك الفرنج يرسلون كتباً كهذه مع رسلهم وقد يعتمدون على تاجر من تجارهم في أداء الرسالة . فقد ورد كتاب من ملك الروم صاحب قسطنطينية سنة ۸۱۴ إلى الملك الناصر جاء فيه :

«... وإن حامل هذا الكتاب التوجه به إلى السلطان المعظم المسمى سورمش التاجر في اسطنبول هو من جهتنا وله عادة بالتردد إلى مملكتهم المعظمة...<sup>(۳)</sup> » .

وكانت هذه الكتب تجمل وتزين ويعنى بكتابتها شرقية كانت أم فرنجية . فقد أرسل ملك الروم كتاباً إلى الراضى بالله في بغداد مع رساله سنة ۳۲۶ هـ فكانت كتابته بالذهب بالرومية ، وترجمته بالفضة بالعربية . وكان مطلعها : «من رومانس وقسطنطين واسطانوس عطاء منوك الروم إلى الشريف الجليل سلطان المسلمين . باسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد . الحمد له ذى الفضل العظيم الرؤوف بعباده الذى جعل الصلح أفضل الفضائل إذ هو محمود العاقبة فى السماء والأرض . لما بلغنا ما رزقته أيها الأخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الأدب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله... و... ثم طلبوا الهدنة والفداء...<sup>(۴)</sup> » .

(۱) صبح الأعشى ۶/۴۶۳ .

(۲) صبح الأعشى ۷/۳۰۱ وانظر ما يشبه هذا فى المصدر نفسه ۷/۳۳۰ .

(۳) صبح الأعشى ۸/۱۲۲ . (۴) تجارب الأمم لابن مسكويه ج ۵ ص ۴۰۴

ويذكر صاحب الفهرست عرضاً في باب حروف الهجاء عند اللاتين واليونان خبر كتاب أرسلته ملكة الفرنك إلى المكتفي فيقول ما نصه : « وحرورفهم تشبه حروف اليونان إلا أنها أحسن منها لأنها أكثر استواء ، فقد رأيناها أحياناً على سيوف الفرنك . وكتبت ملكة الفرنك كتاباً إلى المكتفي على حرير أبيض وأرسلته مع خادم قدم إلى أملاكها من العرب ...<sup>(١)</sup> » ويقول بارتولد إن هذه الملكة هي تيودورا امرأة تيوفلكت قنصل الرومانيين التي كانت ترأس حكومة رومية فعلاً<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا يكون هذا الكتاب الدبلوماسي نسيج وحده لأنه لم يعرف كتب<sup>(٣)</sup> دبلوماسية في ذلك الوقت جعلت على الحرير<sup>(٤)</sup> .

ويذكر المقرئ أن رسل ملك الروم الملك بركة قدمت سنة ٦٦١ إلى القاهرة على السلطان ، فأرسل السلطان رساله إليه وكتب جوابه في سبعين ورقة بغدادية<sup>(٥)</sup> ، والورق البغدادي أجود أنواع الورق وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية ، وكان مخصوصاً بكتابة المصاحف ولا يستعمل فيما عدا ذلك من أغراض الكتابة سوى مكاتبة كبار الملوك<sup>(٦)</sup> .

وفي نفح الطيب صفة كتاب قسطنطين ملك الروم إلى عبد الرحمن الناصر يقول المقرئ إنه كان في رق مصبوغاً لونا سماوياً مكتوباً بالذهب بالخط الإغريقي . وكان داخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضاً مكتوبة بفضة بخط إغريقي أيضاً ، وفيها وصف هديته التي أرسل بها وعددها ، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل . على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده . وكان الكتاب داخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع . وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج . وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه : قسطنطين ورومانوس المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم . وفي سطر آخر : إلى العظيم

(١) الفهرست ٢٠/١ ط أوربة .

(٢) رسالة من رومية إلى بغداد في أوائل العصر العاشر للأستاذ بارتولد . المقتطف يونيو ١٩٣٢

(ج ١ م ٨١) ص ٤١ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٤٤ .

(٤) انظر أيضاً C. Inostrancey, Note sur les rapports de Rome et du Califa Abasside

au commencement du X siècle. - Devista degli studi orientale IV, 1911-1912, 81-86

(٥) السلوك للمقرئ ج ١ - ق ٢ - ٤٩٨ . (٦) صبح الأعشى ٤٧٦/٢ .

الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس<sup>(١)</sup> .  
وكان الرسل العرب بعيد أواخر القرن الرابع يحملون مع الكتب أوراق الجواز . وهي  
أوراق يكتب فيها اسم الرسول ولقبه وصفته والجهة التي يقصد إليها . وإن كان سيذهب  
ويعود أم سيذهب ولا يعود ، وتعرض هذه الأوراق على أشخاص معروفين فيرونها ويقابلون  
الرسول بالاحترام والإكرام .

وهاك صورة عنها :

« ورقة طريق على يد فلان بن فلان .

« رسم بالأمر الشريف العالي ... أن يمكن فلان الفلاني (يذكر إن كان أميراً أو متعماً  
كبيراً أو ممن له قدر أو له ألقاب معهودة) من التوجه إلى جهة قصده والعود . ويحمل على  
فرس واحد أو أكثر من خيل البريد من مركز إلى مركز على العادة . ويعامل بالإكرام  
والاحترام والرعاية الوافرة فليتعهد ذلك وليعمل بحسبه » .

وإن كان سيذهب ولا يعود كتب : « يمكن من العود إلى جهة قصده ... » .  
وإن كان من ممالك النواب أو رسل أحد من أكابر البلاد ذكر به ما يليق به من  
الألقاب : فلان مملوك فلان أو رسول فلان<sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ أن هذه الأوراق تحاكي جواز السفر الذي يحمله الدبلوماسي في هذه الأيام ؛  
فهي تتضمن اسم السفير وصفته والجهة التي يقصد إليها وإن كان سيعود منها أو سيبقى فيها .  
وهناك فرق واحد هو تضمن هذه الجوازات طلب الإكرام أو حمله على خيول البريد مما  
استغنى عنه في المدنية الحديثة .

### الباب الثالث

#### إكرام الرسل

رأيت أن استقبال الرسل كان يجري بحفاوة يرافقها كثير من الجلال والعظمة ، ولعلك  
لاحظت ما في تلك الاستقبالات من عناية بإظهار القوة تارة والغنى تارة أو البذخ مرة

(٢) صبح الأعشى ٢٣٢/٧ .

(١) نفع الطيب ١٨٨/٣ .

أخرى . على أن هذا الشق الأول من الإكرام كان في الحقيقة ذا هدف يرجع إلى المكرم نفسه ، فهم يتخذون هذه الاستقبالات ويعمدون إلى ما يرافقها من إظهار العدد والعدد ونثر الأموال والجنوح إلى البذخ ليعلم هؤلاء الرسل الواردون أنهم بحضرة ملك قوى شديد غنى تهاب صولته وتخشى غضبته . أما الشق الثاني من الإكرام فكان يرجع على الرسل أنفسهم ، وأنت واجد ألوانا من ذلك . فتارة تراه في الدعوات التي كان يقيمها الخلفاء أو الملوك للسفراء على نحو مما يجري في عصرنا ، وتارة بالكسبي أو الحملان . وقد كان الرسل يكرمون منذ أبعد الأزمان . ولما ورد رسول قيصر على رسول الله قال له : إنك رسول قوم وإنك حقا ، ولكن جئتنا ونحن مرملون . فقال عثمان بن عفان : أنا أكسوه حلة صفورية . وقال رجل من الأنصار : على ضيافته<sup>(١)</sup> .

وقد كان إكرام الرسل يظهر في الاستقبال والدعوات التي تقام لهم ؛ من ذلك أنه في سنة ٦٦١ قدم رسول ملك الروم إلى القاهرة ، وكان فيها رسول أهل جنوة ورسول صاحب الروم السلاجقة ، فأحسن السلطان إليهم وعمل لهم دعوة بأراضي اللوق<sup>(٢)</sup> ، واللوق كانت بساتين نزهة يجري بجانبها النيل . وكذلك فعل الملك الظاهر سنة ٧٦١ لما قدمت رسل الملك بركة ورسول الأشكري ، فقد أكرمهم وعمل لهم دعوة عظيمة باللوق<sup>(٣)</sup> . ويلحق بالدعوات أن الخلفاء كانوا يُركبون الرسل معهم ليشهدوا على لعب الأكرة في الميدان<sup>(٤)</sup> .

وأنت تجد الإكرام في الرواتب الضخمة التي تجرى عليهم . ففي سنة ٧٨٢ حضرت إلى السلطان برقوق رسل صاحب بغداد وهم قاضي البلد والوزير ... فأكرموا غاية الإكرام ورتب لهم برقوق رواتب كبيرة ، وطلبهم عنده مرة فمد لهم سمطاء حافلا<sup>(٥)</sup> . وقد يظهر الإكرام بعد ذلك بانخلع التي تمنع على الرسل . ففي المحرم من سنة ٥١٧ هـ وصلت إلى القاهرة رسل ظهير الدين طغديكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب تحمل كتبا إلى الخليفة الأمر بأحكام الله . فوقع الخليفة بنجاز أمر الرسل الواصلين وخلق على

(٢) السلوك ١ - ق ٣ - ص ١٠٢٢ .

(١) مسند أحمد ٧٥/٤ .

(٤) خطط المقرئ ١١٧/٢ - ١١٨ .

(٣) خطط المقرئ ١١٨/٢ .

(٥) إنباء الغمر في أبناء العمر ورقة ٤٢ - آ (مخطوط) .

الرسل خلعات كثيرة<sup>(۱)</sup> .

وفي جميع الأحوال كان يلقي الرسل الإكرام دائماً وإن اختلفت مظاهر هذا الإكرام وتعددت وجوهه ، حتى إنهم كانوا يكرمون ولو كانوا منحطى القدر ضعاف الأمر . كتب إيلخان غازان كتاباً إلى الناصر محمد بن قلاوون فأجابته الناصر بما يلي :

« وأما رسلكم فقد وصلوا إلينا ووفدوا علينا وأكرمنا وفادتهم وعززنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم وسمعنا خطابهم وأعدنا جوابهم ، هذا مع كوننا لم يخف عنا انحطاط قدرهم ولا ضعف أمرهم<sup>(۲)</sup> » .

### الباب الرابع

#### ردّ الرسل أو العناية بهم

يلاحظ الباحث أن العرب عرفوا ردّ الرسل لرغبتهم عنهم من جراء أعمال صدرت عنهم أو لنفور كائن بين المرسل والمرسل إليه ، وأنهم عرفوا العناية بالرسول إذا كانوا راغبين فيه أو كان هواه معهم . يتجلى لنا ذلك من حوادث كثيرة وقعت في القاهرة وبنّداد . فقد ذكر المقرئى أنه حدثت أثناء سنة ۵۹۷ وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل . فسير الظاهر وزيره علم الدين قيصر إليه . فمنعه العادل أن يعبر إلى القاهرة وأمره أن يقيم ببليس وأن يحمل قاضى ببليس ما معه . فعاد مفضباً<sup>(۳)</sup> .

ووصل إلى بنّداد سنة ۵۵۴ في رسالة محمد شاه ومعه عدة رسل من أمراء الأطراف طلباً للمقاربة . فلما نزلوا بشهر آبان أنفذ من دار الخلافة من استوقفهم هناك . ولم يمكنوا من الوصول . فأقاموا ثمانية عشر يوماً ثم عادوا ولم تسمع رسالتهم<sup>(۴)</sup> .

وفي سنة ۶۶۰ قدم القاهرة رسول ملك الفرنج بهدية ومعه نفران من البحرية كانا من ذهب مع الهدية التي أرسلها بيبرس إلى الإمبراطور . وأنهما أساءا الأدب هناك فأعادها الإمبراطور مع رسول من عنده إلى مصر وليخبر السلطان بما فعلاه . فلما شاهدها السلطان أمر بتأديبهما لأنه بلغه سوء اعتادهما ، فسيرهما إلى قلعة الجزيرة يعملان فيها مقيدين . وقد علق

(۱) الخطط والآثار للمقرئى ۱/ ۴۸۲ . (۲) السلوك للمقرئى ج ۱ - ق ۳ - ص ۱۰۲۲ .

(۳) السلوك ج ۱ - ق ۱ - ص ۱۵۵ . (۴) المنتظم ۱۰/ ۱۸۹ .

ابن واصل فقال : « وفي ذلك تأديب وحسن سياسة وردع للمعتدين وحفظ لناموس السلطنة وإقامة لحرمة المملكة »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

أما نوال الرسول الحظوة لرغبته أو ميل إليهم منه ، فهو يظهر فيما ذكره ابن الساعى من أن ابن الأصباغى وزير محمد خوارزم شاه كان يرد بغداد رسولا من مخدمه وأنه كان يحترم ويبالغ فى الإنعام إليه لما كان يعلم من فضله وموالاته لهذه الدولة القاهرة<sup>(٢)</sup> .

وقد يجازى الرسول إذا استماله من أوفد إليه ويكون ذلك سبيلا لإهماله وعدم إرساله مرة ثانية . وقد جاء فى النجوم الزاهرة أن الكامل بعث إلى أخيه المعظم الصلاح الأربلى فنقل إليه أن المعظم استماله فحبسه الكامل فى الحب مدة سنتين ... ثم أخرجه<sup>(٣)</sup> .

(١) حاشية ذات الرقم ٤ من ص ٤٦٩ ق ٢ ج ١ من السلوك للمقرئزى .

(٢) النجوم الزاهرة ٢٨٦/٦ سنة ٦٣١ .

(٣) ابن الساعى ص ١٩٣



# الفصل الرابع

## الباب الأول

### أمان الرسل والسفراء

قضت الدبلوماسية الحديثة أن يكون الممثل الدبلوماسي أي الرسول أو السفير آمنا هو وزوجه وأولاده وأعوانه وأتباعه لا يعتدى عليهم ويبقون مصونين من كل ضرر أو أذى .  
وأمان الرسل عند العرب يقابل ما يسميه الغربيون « الحصانة » فقد شملوا الرسول ومن يكون معه بالأمان والسلام طول مكثه في بلاد المرسل إليه حتى يعود سالما مطمئنا إلى بلاده وأهليه .

ونحن نجد تقرير هذا الأمان منذ عهد النبي صلوات الله عليه في فجر الإسلام . فقد أته رسل مسيئة وقالوا : نشهد أن مسيئة رسول الله . فقال النبي عليه السلام : لولا أن الرسل لا يقتلون لكنت قتلتكم<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ أن هذا الأمان قد وجد في النصوص الفقهية من جهة وبالعرف من جهة ثانية . فقد قرر الفقهاء هذا الأمان ودرجت عليه الملوك فكان عرفا يسألون عنه إذا لم يقوموا به .

جاء في كتاب السير الكبير للشيباني وكتاب الخراج لأبي يوسف « أن الولاة إذا ما لقوا رسولا يسألونه عن اسمه . فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب وهذا كتابه معي وما معي من الدواب والمتاع والرقيق فهديته له ، فإنه يصدق ولا مسبيل عليه ولا يتعرض له ولا لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال<sup>(٢)</sup> .

وكذلك لو أن المسلمين أخذوا مركبا في البحر ومن فيه فقالوا : نحن رسل بعثنا الملك . فلا يتعرض لهم<sup>(٣)</sup> .

(٢) الخراج ص ٢٢٣ .

(١) مجمع الزوائد ٣١٥/٥ .

(٣) الخراج ص ٢٢٥ .

وظاهر من النصين السابقين اللذين قررها الفقهاء أن الرسل سواء أجاؤا من البر أو البحر فهم آمنون مطمئنون لا يمستون بسوء ولا يتعرض لهم بأذى .

وقد حافظ العرب في الإسلام على هذه القاعدة في دولهم المختلفة . فكانوا يؤمنون برسل الروم والعرب دائماً في حين أن الروم يغدرون برسل العرب فيعذبونهم أو يقتلونهم . ولذلك كان العرب دائماً يطالبون الروم والفرنجة الذين كانوا يتعرضون للرسل بالضرر والأذى بالأمان . وأمام هذه البادرة من الروم والفرنجة كان العرب يضطرون في أحيان كثيرة إلى تثبيت ذلك في معاهداتهم معهم . ففي فترة من هدنة عقدت بين الملك المنصور سيف الدين قلاوون صاحب مصر والشام وبين دون حاكم الريد آرغون صاحب برشلونة سنة ٦٩٢ نجد مايلي :

« وعلى أنه متى عبر على بلاد دون حاكم أو معاهدة رسل من بلاد الملك الأشراف قاصدين جهة من الجهات القريبة أو البعيدة صادريين أو واردين أو رماهم الريح في بلادهم تكون الرسل وعلماهم وأتباعهم ومن يصل معهم من رسل الملوك وغيرهم آمنين محفوظين في الأنفس والأموال<sup>(١)</sup> ... »

وفي فترة ثانية من اتفاق عقد بين قلاوون وبين صاحب القسطنطينية سنة ٦٨٠ نجد مايلي :

« وعلى الرسل المترددين من الجهتين أن يكونوا آمنين مطمئنين في سفرهم ومقامهم برا وبحرا محترمين مرعيين هم وكل من معهم من ممالك وجوار وغير ذلك<sup>(٢)</sup> ... » .

وعلى الرغم من رعاية العرب لرسل الفرنجة وتأمينهم فقد كان الفرنج كما ذكرنا يتعرضون بالأذى لرسل العرب المسلمين منذ عهد بعيد ؛ فمن أول ما أثار في هذا أن الدمستق نقفور ملك الروم كان قد بعث إليه أهل طرطوس والمصيصة يعرضون عليه أن يخضعوا له ويسألونه أن يقبل منهم القطيعة كل سنة وينفذ إليهم نائبا له عليهم . فأجابهم إلى ما طلبوا . ثم رجع عن الإجابة وأحرق الكتاب على رأس الرسول فاحترقت لحيته وقال : « امض . ما عندي إلا السيف<sup>(٣)</sup> » .

ونلاحظ أن هذا الأذى كان يستدعي أمرين :

(١) صبح الأعشى ج ٦٨/١٤ . وانظر نصاً آخر للأمان في المعاهدة التي عقدت بين المنصور قلاوون وصاحب القسطنطينية في ج ١٤ ص ٧٧ .

(٢) صبح الأعشى ج ٦٨/١٤ .

(٣) شذرات الذهب ١٣/٣ .

١ - الاحتجاج .

٢ - العقوبة .

أما الاحتجاج فقد كان الملك الظاهر أرسل رسله إلى بلاد السلاجقة الروم ، فضيق عليهم ملوك الفرنجة من الصليبيين وقيدهم . فأحضر الملك الظاهر ممثلي بيوتهم وقال لهم : « ولقد سيرنا رسلا إلى بلاد السلاجقة الروم وكتبنا إليكم بتسفيرهم في البحر فأشرتم عليهم بالسفر إلى قبرس فساروا بكتابكم وأمانكم فأخذوا وقيدهم وضيق عليهم . هذا مع إحساننا إلى رسلكم وتجاركم ، والوفاء أحد أركان الملك . وجرت عادة الرسل أمها لا تؤذى . »<sup>(١)</sup>

أما المعاقبة فقد ذكر المقرئ أن ملك القسطنطينية ميخائيل الثامن عوق رسل سلطان مصر الموفدين إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه بعد أن أمنهم حتى هلك أكثر ما معهم من الحيوان . فأحضر السلطان البطاركة والأساقفة وسألهم عن خالف الأمان وما كان تعهد به . فأجابوا : يستحق أن يحرم من دينه . فأخذ السلطان خطوطهم بذلك . وقال لهم : إنه قد نكت بامسك رسل و مال إلى جهة هولاء كو . ثم كتب له كتاباً أغلظ فيه ، وجهز إليه أحد الرهبان ومعه قسيس وأسقف يخبرونه بحرمانه من دينه عقاباً له . فلما وصلوا إلى ملك القسطنطينية أطلق الرسل لوقته .<sup>(٢)</sup>

وهناك حادثة من الحوادث التي يقدمها تاريخ مصر نجد الرسل فيها قد قتلوا . فقد ذكر المقرئ أن هولاء كو أرسل رسله التتر إلى مصر سنة ٦٥٨ بكتاب شديد كله تهديد ووعيد . فثار الملك المظفر قطز . وكان هو وهولاء كو عدوين لدودين . فجمع الأمراء وانفقوا على قتل الرسل فقبض عليهم واعتقلوا .

ثم أحضرهم وكانوا أربعة فضربت أعناقهم وأمر فعلقت على أبواب المدينة<sup>(٣)</sup> . ولعل العداة الشديد بين هولاء كو وقطرز هو الذي دفع قطرز إلى قتل الرسل . ومن هنا نستنتج أن الملكين إذا كانا في حالة حرب وعداوة لم يطبق الأمان . على أن هذه حادثة واحدة بين حادثات كثار كان يلقاها رسل العرب من الفرنجة ؛ ومن المستحسن ذكر واحدة أخرى منها . فقد ذكر المقرئ أيضاً أن رسل ملك الفرنج الريد

(١) السلوك للمقرئ ج ١ ق ٢ ص ٤٨٥ (٢) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥١٤ .

(٣) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٢٩

آرغون البرشلوني قدموا إلى السلطان سنة ۷۰۳ بهدية جليلة وسألوه أن يفتح كنائس النصارى ، فأجابهم إلى ذلك وجہز جوابه مع فخر الدين عثمان استادار الأمير عن الذين الأفرم . فبالغ الرسول في التجميل وركب هو ورسول الفرنجة في البحر وعادوا . حتى إذا بعدوا عن الإسكندرية أنزل رسل الفرنجة الأمير فخر الدين عثمان رسول السلطان في قارب وأمروه بالعودة وأخذوا كل ما معه . فلما علم السلطان غضب وكتب إلى الإسكندرية بالقبض على من يرد من فرنج برشلونة<sup>(۱)</sup> .

## الباب الثاني

### حول ميزات الرسل

أعظم ميزات الرسل الدبلوماسيين في الغرب شأنها هي الحصانة التامة والإعفاء من الضرائب والمكوس وحرية العبادة وعدم التحاكم أمام القضاء الوطني . وكون دار السفارة أرضاً من أرض الدولة المرسله . فإذا استثنينا الميزتين الأخيرتين اللتين نتجتا عن السفارة الدائمة التي عرفها الغرب بعد فتح القسطنطينية فإننا نجد أن العرب كان لديهم ما يشبه الميزات الثلاث الأولى .

أما الحصانة فقد أبنا في فصل أمان الرسل أن الرسل الواردين وحاشيتهم وأتباعهم وما معهم يكونون آمنين لا يتعرض لهم إنسان بل يحميهم السلطان من كل أذى ، لأن أذاهم يقصد به أذى مرسلهم من جهة ولأن الرسول لا يستطيع أداء رسالته إذا لم يكن آمناً من جهة أخرى . أما الإعفاء من الضرائب والمكوس فقد أعفى العرب الرسل من العشر والمكوس أيضاً . ولقد كانت مراصد الثغور منتشرة في كل مكان فما كان يمر إنسان إلا ويتناول منه المكس<sup>(۲)</sup> . ومع ذلك فكانوا يدعون الرسل وشأنهم . وهذا الأمر أيده الفقهاء . فقد نصوا : « على أنه لا يؤخذ من الرسول الذي بعث به ملك الروم ولا من الذي أعطى أماناً عشر<sup>(۳)</sup> » وظاهر أن معنى ذلك نجو كل ما معهم من كل عشر .

(۱) القرظي ج ۱ ق ۳ ص ۹۵۱ .

(۲) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ۱۹۷/۱ .

(۳) كتاب الحراج ص ۲۲۳ - ۲۲۵ .

وقد استثنوا من هذه القاعدة الرسل المتاجرين فقالوا : « وإذا كان الرسل قد حملوا ما معهم للتجارة فيؤخذ العشر منهم . فأما غير ذلك من متاع فلا عشر لهم فيه <sup>(۱)</sup> . وواضح من هذا أن جميع أمتعة الرسول وحاشيته وحاجات حاشيته تعفى من العشر لا يؤخذ منه عنها شيء .

ونص الفقهاء كذلك على قاعدة المقابلة . فقالوا : « فإذا كانوا لم يأخذوا من تجار المسلمين ولا من رسلهم شيئاً لم يأخذ المسلمون شيئاً منهم . » <sup>(۲)</sup> . وقاعدة المقابلة هذه تتبع اليوم في بعض الدول الكبرى كأمريكا وسويسرا . . .

وعند سفر الرسول تعفى أمتعته من كل عشر ولا يتعرض له وبسمح له أن يخرج ما يشاء إلا أنهم استثنوا أمراً . فقالوا : « فإذا أراد الرسول أو الذي أعطى الأمان أن يرجع إلى دار الحرب . فإنهم لا يتركون أن يخرجوا معهم بسلاح ولا كراع <sup>(۳)</sup> ولا رقيق مما أسر من أهل الحرب ، فإن اشترى من ذلك شيئاً يرد على الذي باعه منهم ورد أولئك الثمن إليهم <sup>(۴)</sup> »

وظاهر أن هذا الشرط غايته أن لا يقوى الرسول بما يأخذ معه لقومه من السلاح الذي يتسدد يوماً إلى المسلمين أنفسهم . وتلك قاعدة جيدة تحول دون قوة الخصم . فقد كان العرب من جهة الروم والفرنج من جهة أخرى في خصام دائم ونفور مستمر . وكانت العداوات بينهما قائمة قاعدة لا تهدأ ولا تستقر . وطبعي أن ازدياد عدة أحدهما يؤثر في ضعف الآخر . أما الكراع وهو اسم يجمع الخيل فمن مسببات القوة للعدو لأن القتال لا يكون إلا بها . وأما الأسرى فلأنهم سيكونون جنداً يقاتلون المسلمين ويحاربونهم .

وعلى الجملة فإن كل ما يعين على شد مساعد العدو وتقويته فإن الرسول يمنع من إخراجه . فإذا كان هذا الشيء مما لا يفيد العدو بل يفيد المسلمين فلا بأس باصطحاب الرسول إياه . قالوا : « فإن كان مع الرسول أو الذي أعطى الأمان سلاح جيد فأبدله بسلاح شر منه أو دابة فأبدلها بشر منها فذلك جائز ولا بأس أن يترك يخرج بذلك . وإن كان أبدله بخير منه ردّ عليه سلاحه ودابته وأعيد ذلك على صاحبه الأول <sup>(۵)</sup> .

(۱) المصدر السابق

(۲) المصدر السابق

(۳) اسم يجمع الخيل .

(۴) الخراج ص ۲۲۴ .

(۲) المصدر السابق .

(۴) الخراج ص ۲۲۳ - ۲۲۵ .

والخلاصة « لا ينبغي للإمام أن يترك أحداً من أهل الحرب يدخل بأمان أو رسولا من ملكهم يخرج بشيء من الرقيق والسلاح أو بشيء مما يكون قوة لهم على المسلمين . فأما الثياب والمتاع وما أشبهه فلا يمنعون منه<sup>(١)</sup> » .

تلك هي القواعد التي سار عليها العرب في العشر والمكوس وإخراج الأمتعة . وهي تقارب القواعد المتبعة اليوم في أوربة وأمريكا وتشابهها . ولم نثر على ما يؤيد أخذ المسلمين المكوس على أمتعة الرسل وهداياهم بصورة مطلقة أبداً . غير أننا وجدنا أنه في سنة ٦٦٤ وردت رسل ملك اليمن إلى القاهرة ومعهم هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية في الشام . ولما كانت حكومة مصر ترى في الإسماعيلية شذوذاً عن الدين وكفراً « فقد أخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية إفساداً لنواميس الإسماعيلية وتعجيزاً لمن اكتفى شرهم بالهدية<sup>(٢)</sup> » .

أما الميزة الأخيرة وهي حرية العبادة ، فقد كان الرسل أحراراً في عبادتهم لا يتعرض لشعائرهم بسوء . ولم نجد قط نصاً يدل على أن الرسل منعوا من أداء شعائرهم . ونرجح أنهم كانوا يزورون ديارات الشام وبغداد والقاهرة ويقومون فيها بما يشاءون من عبادة . ولما كانوا رسلاً مؤقتين فلم يكن هناك سبب لبناء كنيسة خاصة بهم . وقد نصّ الفقهاء على أن الذمي إذا أراد أن يتخذ لنفسه خاصة موضع عبادة فلا يمنع من ذلك<sup>(٣)</sup> . وعلى هذا فلو أن الرسول كان دائماً واتخذ لنفسه موضع عبادة يقوم فيه بعبادة ربه لم يمنع من ذلك . هذا على أنه متى كان موضع العبادة الذي بنى عظيمًا عامًا للناس كافة مُنع الذمي من إقامته .

(٤) السلوك للمقرئ ج ١ ق ٢ ص ٥٤٣ .

(١) الخراج ص ٢٢٤ .

(١) نصاب الاحتساب في الفتاوى ص ٦٧ — لعمر بن محمد الشامي ط قازان روسية .

# الفصل الخامس

## الباب الأول

### أغراض الدبلوماسية القديمة في الإسلام

رأيت في الفصول السابقة كل ما يتعلق بالرسل والسفراء والدبلوماسيين في الإسلام .  
والآن ننتقل إلى تبيان الأغراض التي كانت تؤلف الدبلوماسية والتي كان الرسل والسفراء  
يضطرون إليها ويذهبون ويعودون في سبيلها فنعرضها عليك بإيجاز :

#### ١ - الفداء

كان أكثر ما يتردد الرسل من أجل الفداء فقد كانت الحرب بين العرب والروم سجلاً  
وينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً . وأكثر ما كان يقع الفداء  
زمن العباسيين في البر وزمن الفاطميين في البحر . فقد كانت غزوات العباسيين على بلاد  
الروم لا تنقطع ، غزوة في الصيف وغزوة في الشتاء ، وكانت أساطيل المسلمين تسير من مصر  
ومن الشام ومن أفريقية فتهاجم بلاد العدو . وكان العرب يندفعون إلى هذه الغزوات للجهاد  
وللمغانم ، فيغيرون على بلاد الروم ليقتلوا ويأسروا ويسلبوا . وكانت الروم في أحيان أخرى  
هي التي تغير على بلاد المسلمين ، فتدخلها وتأسر وتصطلم وتسبي ، تبعاً لقوة العرب وضعفهم .  
فإذا كثرت الأسرى بعثوا رسولا للفداء .

والفداء هو أن يفدى الأسارى المسلمون بمال أو نحوه ليفك أسرهم ، أو أن يطلق سراحهم  
مقابل إطلاق عدد من أسرى الروم لدى العرب .

وكان أول فداء وقع بمال في الإسلام أيام بني العباس ، ولم يقع في أيام بني أمية فداء  
مشهور ، وإنما كان يفادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر والإسكندرية وبلاد  
ملطية وبقية الثغور ، إلى أن كانت خلافة الرشيد<sup>(١)</sup> .

(١) . خطط القرظي ١٩٢/٢ .

وقد شرح المسعودى فى كتابه ( فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف ) وفى كتابه ( الاستذكار لما جرى فى سالف الأعصار ) الألفية بين المسلمين والروم ، وذكر من حضرها ، وكيفية وقوعها ، ومن ترسل فيها وتوسطها بين المسلمين والروم ، وشروطها ومقادير النفقات فيها وهدنها...<sup>(١)</sup> على أن هذين الكتابين مفقودان .

وقد ذكر المسعودى أنه جرى فى زمن بنى العباس حتى أيامه اثنا عشر فداء<sup>(٢)</sup> . منها ما كان زمن الرشيد سنة ١٨٩ على يد فرج الخادم ، وآخر مع تقفور على يد ثابت بن نصر ، وفداء خاقان زمن الواثق سنة ٢٣١ مع ميخائيل بن توفيل وفداء شفيح سنة ٢٥٣ مع الملك باسيل زمن المعتز ، وفداء نصر بن الأزهر مع ميخائيل السابق الذكر سنة ٢٤٦ . وفداء زمن المعتضد سنة ٢٨٣ على يد أحمد بن طغان مع الملك اليون بن باسيل . وفداء زمن المكتفى سنة ٢٩٢ على يد الفرغانى مع اليون بن باسيل أيضاً . وفداء زمن المقتدر على يد مؤنس الخادم سنة ٣٠٥ مع الملك قسطنطين بن اليون ، وسنة ٣١٣ مع قسطنطين وأرمونس . وفى خلافة الراضى سنة ٣٢٦ على يد ابن ورقاء مع الملكين المذكورين . وفى زمن المطيع سنة ٣٣٥ على يد ابن حمدان والملك على الروم قسطنطين . والذى بدأ بهذا الفداء الأخشيد محمد بن طفج وكان يونس الأنسيطوس البطريقوس المترهب رسول ملك الروم فى إتمام الفداء فى دمشق . وكان المسعودى فى دمشق يومئذ وراه<sup>(٣)</sup> .

وكانت مراسم الفداء تجرى بعد مفاوضات وشروط . وقد كان يسبق الفداء إرسال رسول من المسلمين إلى بلاد الروم لمعرفة ما بأيديهم من الأسرى<sup>(٤)</sup> . فإذا أجبوا إليه عينوا مكانا ليجرى فيه . وكانت الألفية تجرى باحتفال عظيم فيأتى الناس بأحسن ما يكون من العدد والخيال والسلاح والقوة يأخذون بكثرتهم السهل والجبل حتى ليضيق بهم الفضاء ، وكذلك كانت الروم أو مراكبهم تفعل ذلك . فتأتى بأحسن ما يكون من الزى ، ومعهم الأسرى<sup>(٥)</sup> .

وقد يقفون على حافى نهر ، المسلمون فى جانب والروم فى جانب ، فيرسل هؤلاء رجلا وأولئك رجلا فيلتقيان فى وسط النهر . فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبر وكبروا . وإذا صار

(٢) التنبية والإشراف ص ١٦٥

(١) التنبية والإشراف ص (١٦٦)

(٣) التنبية والإشراف للمسعودى ص ١٦١ - ١٦٥ (٤) الطبرى ج ٣ / III / ١٤٢٦

(٥) التنبية والإشراف ص ١٦١



الرومي إلى الروم تكلم بكلامهم وتكلموا شبيهاً بالتكبير<sup>(١)</sup> .  
ويذكر المسعودي أن رسل العرب كانت إذا ذهبت للفداء إلى بلاد الروم أنزلت مكاناً  
خاصاً اسمه البلاط (القصر) حتى يتم أمر الفداء<sup>(٢)</sup> .  
والوثائق الدبلوماسية المتعلقة بالفداء كثيرة ننقل إليك واحدة منها .  
فقد كتب الأخشيدي محمد بن طفج إلى أرمانيوس ملك الروم يجيبه إلى الفداء :  
« وأما الفداء ورأيك في تخلص الأسرى فإننا والله وإن كنا واثقين لمن في أيديكم  
ياحدي الحسين وعلى بينة لهم من أمرهم وثبات من حسن العاقبة وعظيم المثوبة عالمين بحالمهم ،  
فإن فيهم من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها مكوناً إلى  
ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب ... وقد تبيننا مع ذلك في هذا الباب ما شرعه  
لنا الأئمة الماضون والسلف الصالحون فوجدنا ذلك موافقاً لما التمسته وغير خارج عما أحببته .  
فسررنا بما تيسر منه وبعثنا الكتب والرسل إلى عمالنا في سائر أعمالنا عليهم في جمع  
كل ممكن<sup>(٣)</sup> ... »

## ٢ - التجسس

والتجسس من أهم أغراض الرسول أو السفير . وهذا الغرض يلازم الرسالة دائماً ، فيود  
المرسل أن يطلع على كل ما عند المرسل إليه من خير وشر ليحمله إلى مرسله . وقد كانت هذه  
العادة قديمة ورافقت الدبلوماسية المتقطعة في أوربة وكان لها شأن هام ، بل كانت في ذلك العهد  
الهدف الأول للدبلوماسية . ويحدثنا ابن الأثير أن عمرو بن العاص لما عجز على إرطوبون الروم  
في أجنادين سار إليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه  
حتى عرف ما أراد<sup>(٤)</sup> .

وقد بين نظام الملك هذا الأثر بياناً دقيقاً في كتابه « سياست نامه » فقال :  
« ويجب أن يعلم أن الملوك بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة أو نقل سفارة

(١) الطبري ج ٢ / III / ١٣٥٥ (٢) التنبيه والإشراف ص ١٤٢  
(٣) صبح الأعشى ١٧/٧ وانظر فيه وثائق أخرى تتعلق بالفداء مثلاً في ج ٤٦٠/٦ وانظر ما كتبه  
المفريزي عن الفداء في الخطط ١٩٢ / ٢ . (٤) ابن الأثير (منيرية) ٣٤٧ / ٢ .

فقط ، بل إن هناك مئات الأغراض يبغونها ؛ فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطرق والآباء ، ويعلموا إذا كانت الطرق معبدة تستطيع الجيوش أن تمر بها والأمكنة التي توجد فيها المروج والأعشاب والحشائش للعلف والأمكنة التي لا يوجد فيها ذلك ، وأن يعلموا أيضاً قوة الجيش وموثوقته في العدد والعدد وفي الدفاع وفي الهجوم . وأن يعرفوا كيف يعيش الأمير وماذا يأكل وبمن يجتمع ، وأن يدركوا تنظيمات بلاطه وعاداته فيه وملاهيته وهل يلعب بالصوالة أو يذهب للصيد . وهم يجهدون لمعرفة عاداته وأخلاقه في عدله وظلمه وهواه وتبذله وكرمه ورقته ، وهل هو متعلم أم جاهل ، وهل ازدهرت مملكته بال عمران أم ملأتها الخرائب والأطلال ، وهل رضى عنه جنده أم هم مغضبون مغيطون . وهل أتباعه من الفقراء أم الأغنياء ، وهل يجتد في شؤون مملكته أم يهملها . وهل هو بخيل أم جواد ، ووزيره قدير أم عاجز . وحاشيته من العلماء الأذكياء أم لا ؟ ثم هم يريدون أن يعلموا ماذا يحب وماذا يبغض ، وأن يعلموا ما شأنه إذا شرب الخمر وهل يميل إلى الحب وإلى النساء . حتى إذا رغبوا في مهاجمة مملكته يوماً أو أرادوا نقض خطه أو نقد عيوبه كانوا مطلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوى نصب أعينهم وينهجون بحسبها (١) .

فن هذا يتضح لنا ما كان للتجسس من شأن هام لدى السفراء ، ولعلمهم كانوا يقطعون به طول أيام إقامتهم . ولهذا كان المسلمون يخشون من الرسل كما رأيت ويمنعون الناس من الاتصال بهم أو مخالطتهم لئلا تتصل بهم الأخبار .

وواضح أن هذه الأعمال يقوم بها الرسل والسفراء ، إذا قاموا بها بلباقة ودقة ، دون أن يطلع أحد على ما يفعلون .

ومن الوثائق المتعلقة بالتجسس ما ذكره القلقشندي أن الملك الظاهر برقوق علم أن رسول تيمورلنك يتجسس ويتدخل في شؤون مملكته ، فسأه . فاحتج تيمورلنك فكتب إليه الظاهر سنة ٧٩٦ .

« ... وأما ما ذكرته من أمر الرسول فقد علمناه . والذي نعرفك به هو أن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة منزلة إلى بلادنا المحروسة . واطلع عليه في ذلك جماعة من

(١) سياست نامه (الترجمة الفرنسية) ص ١٣٨ - ١٣١ .

جهتنا . ولما وصل إلى الرحبة المحروسة قال للنائب بها : بس الأرض للأمر تيمور واقرأ الخطبة باسمه . فلو كان الرسول مصلحاً ما كان كتب المنازل ولا أكثر فضوله بما لا ينبغي وتكلم فيما لا يعنيه . لأنه لا ينبغي للرسول أن يكون إلا أعمى أخرس غزير العقل ثقيل الرأس<sup>(١)</sup> .

### التجارة

قد يخطئ من يزعم أن الدبلوماسية الإسلامية لم تهتم بأمور التجارة . فزعم كهذا تنقضه البراهين الثابتة ولا تؤيده .

فالتجارة في الأصل لم يكن لها شأن في أعين الناس في صدر الإسلام . وكان الأمويون لا ينظرون للتاجر بعين التقدير . ويعمل آدم متز ذلك بأن هؤلاء كانوا جيلاً من المحاربين الفرسان وأمرء القطائع وأن التجار لا شأن لهم عندهم . على أنه ما كادت الدبلوماسية الإسلامية تقوى في القرن الثالث والرابع الهجريين حتى كان للتجارة شأن كبير . فقد أصبحت تمثل الحضارة الإسلامية التي صارت من الناحية المادية مظهراً من مظاهر البذخ والشرف وأبهة الإسلام . وأخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية . وكانت الإسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الأسعار للعالم في ذلك العصر<sup>(٢)</sup> .

وقد كان من نتيجة هذا التوسع في التجارة أن انتشر المسلمون في القسم الأعظم من العالم المعروف في ذلك العهد ؛ فخاضت سفنهم عباب البحر والمحيطات ، وازدهرت على أيديهم الطرق التجارية بين بحار الصين وآسيا الوسطى وسواحل بحر البلطيق والأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي والبحر الأبيض وساحل أفريقية الشرقية وجزر المحيط الهندي<sup>(٣)</sup> .

كل ذلك اضطر الخلفاء إلى إدخال أمور التجارة في شؤونهم الدبلوماسية ، كما اضطر ازدهار التجارة في الشرق الإسلامي ملوك الروم والفرنجة والصين والهند وجزر المحيط الهندي إلى أن يعنوا بتجارة هذا الشرق وإرسالهم الرسل للتبادل التجاري .

(١) صبح الأعشى ٧ / ٣١٦ . وانظر خيراً آخر يتعلق بالتجسس في السلوك للقرنزي ج ١

ق ١ ص ٥١ . وانظر ما ذهب إليه عبد الله عنان في بحثه عن الدبلوماسية الإسلامية في مواقف حاسمة .

(٢) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٢ ص ٣١١ وما بعدها .

(٣) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٧ .

ولقد كان لمصر شأن عظيم في هذا المضمار . فقد كانت الرسل ترد عليها لتنظيم أمور التجارة ، كما كان خلفاء مصر يرسلون الرسل في سبيل ذلك أيضاً .

وفي زمن هارون الرشيد ، كما يذكر هايد في كتابه عن تاريخ التجارة في الشرق ، تضاغت الصلات بين فرنسا والشرق . ويذكر أن شارلمان كان يتحدث يوماً مع سفير هارون فأبدى له أسفه لأن البحر يفصله عن الرشيد الأمر الذي يحول بينه وبين أن يكون له نصيب من ثروات الشرق<sup>(١)</sup> . ويظهر أنه كان من أغراض سفراء شارلمان إلى الرشيد تنظيم الأمور التجارية .

وفي زمن محمد بن طغج الأخشيدي ورد على مصر رسولا ملك الروم رومانس الأول نقولا وإسحاق ومعهما كتاب من الإمبراطور يطلب فيه تنظيم مسألة الفداء وتسهيل المعاملات التجارية لرسله في البيع والشراء . فأجابته الأخشيدي إلى ما طلب وأرسل إليه كتابا جاء فيه : « وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه وأذنا لهم في البيع وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة ... »<sup>(٢)</sup> .

وقد اضطرت مصر إلى الاستعانة بالروم أيام الخليفة المستنصر بالله عند ما نكبت بوباء دام أعواما ورافقه غلاء وقحط شديدان . وذاقت مصر في هذه الشدة العظمى ألوانا من الآلام . فأرسل المستنصر سنة ٤٤٦ إلى قسطنطين رسلا يطلب منه معهم العون وأن يمدده بالفلال والأقوات . ورأت بزنتية أن هذه فرصة سانحة لتحسين علاقاتها بمصر فلبى الإمبراطور طلب الخليفة وتم الاتفاق على بذل العون . ولكن هذه الأقوات لم تصل إلى مصر بسبب موت قسطنطين<sup>(٣)</sup> .

وفي سنة ٦٨٢ وصلت إلى القاهرة رسل صاحب بلاد سيلان ومعهم هدية وذكر الرسول أن لدى سلطانه كثيرا من الجواهر والفيلة والتحف<sup>(٤)</sup> . وكان هؤلاء الرسل قد سافروا إلى مصر عن طريق الخليج الفارسي فالعراق فالشام ، واتخذوا هذا الطريق لكيلا يضطروا إلى

(١) انظر الجزء الأول من 1 V. Histoire du Commerce du Levant . Heyd .

(٢) صبح الأعشى ج ٧ ص ١١ - ١٨

(٣) عبد الله عنان - الرسالة ص ٤٠٨ مارس ١٩٣٥ .

(٤) السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧١٣ .

المرور ببلاد اليمن . وكان سبب هذه السفارة إنشاء علائق تجارية بين الملك الظاهر وبين سيلان<sup>(١)</sup> .

وقد طلبوا من الظاهر أن يرسل رسله إلى ملكهم . وذكروا أن لديهم الجواهر والياقوت والفيصل والتماش الكثير من البز وغيره ، وكذلك البقم والقرفة ، وأن عند ملكهم في كل سنة عشرين مركبا يسيرها إليه<sup>(٢)</sup> .

ويحدثنا القلقشندي أنه في سنة ٨١٤ وصلت القاهرة سفارة من دوج البندقية . وقدم السفير نقولا البندقي إلى السلطان ناصر فرج كتابا من الدوج يرجوه فيه أن يلتقى التجار الطمانينة لديه<sup>(٣)</sup> .

والباحث يرى أن الدول الأوربية كانت تعمل على كسب صداقة مصر وعقد المعاهدات التجارية معها . وأن تقارير قناصل أوربة بالاسكندرية لتدل دلالة واضحة على كثرة التجار الأجانب فيها . ويذكر فيت أن سفارات البلاد الأوربية في مصر زادت كثيراً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر كبعثات أراجون وملك فرنسا وجمهوريات جنوة والبندقية والروم وملك البلغار ووادي الفولجا وأمير سيلان...<sup>(٤)</sup>

### التهنئة والتعزية

ويدخل في أغراض الدبلوماسية التهنئة تارة والتعزية تارة . فقد كانت الرسل تتردد لتهنئة ملك ولي الحكم أو تزوج أو لغير ذلك . وقد كانت رسل الروم تقدم إلى بغداد لتهنئ خلفاءها . ويذكر الخطيب أن الخلافة لما أفضت إلى المهدي قدم عليه وافد من بلاد الروم يهنئه فاستدناه المهدي ، فقال له : إني لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض وإنما قدمت شوقاً إليه وإلى النظر إلى وجهه . فأمر المهدي الربيع بإنزاله وإكرامه<sup>(٥)</sup> .

ولما تولى الملك العادل الملك أرسل الخليفة في بغداد ابن الجوزي ليهنئه بالملك ويعزيه

(١) هايد - ج ١/٤٢٥ .

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ٧٧ - ٧٨ .

(٣) صبح الأعشى ١٢٣/٨ - ١٢٤ .

(٤) فيت . المواصلات في مصر ( في مصر الإسلامية ) ص ٣٨ .

(٥) تاريخ بغداد ١/٩٢ .

بأخيه<sup>(١)</sup> . وكذلك قدم رسول من الروم إلى القاهرة بالعزاء للملك العادل<sup>(٢)</sup> .  
وعند ما استقل ركاب الملك الظاهر وسار إلى وسط بلاد الفرنج ورد رسول منهم يذكر  
أن البيوت (الدويلات الصليبية في الشام) يقبلون الأرض ويهنتونه بالسلامة<sup>(٣)</sup> .  
وقد كانت هذه التهاني تقرن بالتعازي وبتوكيد المودة . فعند ما مات أبو الملك بردويل  
ملك الفرنج كتب إليه صلاح الدين يعزیه ويهنيه ويقتنم الفرصة لتوكيد المودة . وهو كتاب  
عجيب وهذا بعض ما فيه :

« وإن كتابنا صادر عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصدقاء ، والذي وددنا أن قائله غير  
صادق ، بالملك العادل الأعز الذي لقاءه الله خير ما لقي مثله ، وبلغ الأرض سعادته كما بلغه محله ،  
معز بما يجب فيه العزاء ومتأسف لفقده الذي عظمت به الأرزاء . إلا أن الله سبحانه قد هون  
الحادث ، بأن جعل ولده الوارث ، وأنسى المصاب ، بأن حفظ به النصاب ، ووهبه نعمتين :  
الملك والشباب . فهنيئاً له ما حاز ، وسقياً لقبر والده الذي حق له الفداء لو جاز . ورسولنا  
الرئيس العميد مختار الدين آدام الله سلامته قائم عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووصف ما نالنا  
من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه ، وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه .  
وقد استفتحنا الملك بكتابنا وارتياحنا ، وودنا الذي هو ميراثه عن والده من ودادنا . فليلق  
التحية بمثلها ، وليأت الحسنة ليكون من أهلها ، وليعلم أننا له كما كنا لأبيه : مودة صافية وعقيدة  
وافية ومحبة ثبت عقدها في الحياة والوفاة ... فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذي لا يخجل ،  
وليعتمد علينا اعتماد الولد الذي لا يحمل عن والده ما تحمل . والله يديم تعميره ، ويحرم تأميره ،  
ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويلهمه تصديق ظن الصديق<sup>(٤)</sup> .

### المصاحبة

وكانت الرسل تتردد بين الملوك لتصلح بينهم في خلاف وقع أو نزاع نشب ، وأكثر  
ما نجد ذلك في عهد الأيوبيين . فقد كانوا في اختلاف دائم لوفرة الأبناء والأقارب . وكان  
الخليفة في بغداد يرسل رسله ليصلح بينهم بعض الأحيان .

(١) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٢٦٨ . (٢) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) الحاشية ذات الرقم ٢ من ص ٤٨٤ من ج ١ من السلوك .

(٤) انظر صبح الأعشى ٧/١١٥ - ١١٦ .

من ذلك أنه في سنة ٦٢٩ ورد ابن الجوزي الشهير سفير الخليفة ليوقع الصلح بين ملوك بني أيوب<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٦٣٦ قدم ابن الجوزي أيضاً برسالة الخليفة إلى الملك الصالح ليصالح أخاه الملك العادل فأجلّ الملك الصالح قدومه إجلالاً كبيراً<sup>(٢)</sup>.

وورد سنة ٦٥١ الشيخ نجم الدين البادرأئي من قبل الخليفة المستعصم ليصلح بين الملك الناصر صاحب دمشق والملك المعز أيبك<sup>(٣)</sup>. وكان في صحبته عز الدين ازمرد وكاتب الإنشاء في بغداد لتمهيد القواعد، فلم يبرحها إلى أن انفصلت القصة. ثم عاد البادرأئي سنة ٦٥٤ ليجدد الصلح الأول<sup>(٤)</sup>.

### الهدنة والصلح

كان الروم يلجأون كثيراً إلى طلب الهدنة من العرب إذا اشتد عليهم القتال. وكان العرب في أيام ضعفهم يطلبون وقف القتال لعقد هدنة أو صلح.

ففي سنة ٥٨ ورد إلى دمشق سفراء الإمبراطور قسطنطين الرابع ليعقدوا مع معاوية معاهدة صلح ارتضى معاوية بها اضطرته أن يؤدي إلى الروم جزية سنوية متنوعة<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٣١٥ ورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك إلى الوزير علي بن عيسى يلتمس فيه الهدنة<sup>(٦)</sup>.

ومن الوثائق الدبلوماسية المكتوبة أن توفيل صاحب الروم كتب إلى المأمون يسأله الصلح وعقد هدنة بينهما فأجابه المأمون بما يلي:

« أما بعد فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت إليه من الموادعة وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعظفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الأسارى ورفع القتل والقتال. فلولا ما راجمت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالخطر في تقليب الفكرة...

(١) السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٥٧ . (٢) السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٨٣ .

(٣) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٨٥ . (٤) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٩٨ .

(٥) الطبري ج III/١١ ص ١١١١ وانظر كتاب توفيل إليه .

(٦) انظر مثلاً السلوك ج ١ ق ٣ ص ١٠١٧ .

لجملت جواب كتابك خيلاً تحمل رجلاً من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون في ذات الله ماناهم من ألم شوكتكم، ثم أوصل إليهم من الأمداد وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد... غير أني رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التي ثبتت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوجدانية والشرعية الحنفية. فإن آيت فدية توجب ذمة وثبتت نظرة، وإن تركت ذلك ففي يقين المعاينة لنعوتنا ما يغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة، والسلام على من اتبع الهدى<sup>(١)</sup>» .

وفي زمن الصليبيين كان كثيراً ما تعقد هدن بين ملوك المسلمين وملوكهم. وقد نقل القلقشندي والمقريزي نصوص هذه الهدن. وكانت تحتوي أكثر الأحيان على وقف القتال وتأمين الرعايا المسافرين وغير ذلك.

ومن هدنة وقعت بين السلطان قلاوون وفرنج عكا سنة ٦٨٢ ما يلي :

« وعلى جميع السفار والمترددين في البر والبحر والسهل والجبل في الليل والنهار أن يكونوا مطمئنين آمنين في حالتهم صدورهم وورودهم على أنفسهم وأموالهم وعلمانهم وبضائعهم وأتباعهم وعلى جميع ما يتعلق بهم<sup>(٢)</sup> » .

## الزواج

ومن الأعراض التي كان الرسل يسعون في سبيلها الزواج. فقد كان الملوك يخطبون بنات ملوك آخرين فيرسلون الرسل للمفاوضة في ذلك. فإذا قبلوا حملوا الفتاة المخطوبة إليه. من ذلك أنه وصل إلى بغداد سنة ٣٣٥ رسول من ملك كرمان إلى السلطان مسعود يخطب خاتون زوجة المستظهر. كان معه تحف كثيرة. فجاء وزير مسعود إلى دارها فاستأذنها فأذنت فحضر القضاة دار السلطان ووقع الملاك على مائة ألف دينار ونثرت الدراهم والدنانير وسيرت إليه<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٦٣٥ قدم القاهرة رسول غياث الدين كيخسرو فزوج غازية ابنة السلطان

(١) السلوك ١/٣/٩٨٨ الملحق رقم ٨ .

(٢) الوثائق الدبلوماسية زمن الأيوبيين والمماليك (مخطوط للمؤلف) .

(٣) المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ - ٧٨ .



العزیز للسلطان غیاث الدین . وأنکح الملك الناصر صاحب حلب خاتون أخت السلطان غیاث الدین . وتولى العقد ابن العديم الكاتب المشهور<sup>(١)</sup> .

ويذكر المقریزی أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون كان جهز الأمير إيدغدی الخوارزمی فی سنة ٧١٦ یخطب إلى أربك ملك التتار بنتا من الذرية الجنكزية . فجمع أربك أمراء التومانان وهم سبعون أميراً وكلهم الرسول فی ذلك . فنفروا منه ثم اجتمعوا . . . . وقبلوا . فجهزت خاتون طلنبای ومعها جماعة من الرسل . . . فلما وصلوا إلى الإسكندرية سنة ٧٣٠ وطلعت الخاتون من المراكب حملت فی خراكة من الذهب علی العجل وجرها الممالیک إلى دار السلطنة بالاسكندرية ، وبعث السلطان إلى خدمتها عدة من الحجاب وثمانی عشرة من الحرم . . . ثم عقد العقد وبنی علیها وأعاد الرسل بعد أن شملهم من الإنعام ما أربی علی أملهم ، وحملوا معهم هدية جلیلة<sup>(٢)</sup> .

### حمل الهدايا

درجت الرسل علی أن تحمل معها إلى المرسل إليه أطرف الهدايا وألطف المتع وأعجب ما عند المرسل وأندر . وكانت هذه الهدايا معرضاً فی ألوان وضروب ، إذ كانوا يتفننون فی انتقائها واختيارها ويغالون فی جعلها مما یرضى ویعجب . فإذا اختاروا ما هو مألوف أخذوا منه أجوده وأحسنه وأغلاه .

وقد یرسل الرسل أحياناً لحمل هدية فقط للملك المرسل إليه . وقد يكون ذلك مع غرض آخر .

ولقد كانت عادة تقديم الهدايا معروفة لدى الأوربيين ، لكنها كانت معكوسة . فبدلاً من أن يقدم الرسول إلى الملك كان الملك عند عودة الرسول يحمله هدية ثمينة . وهذا ضرب من إكرام الرسل .

وظلت هذه العادة متبعة طويلاً لما فی ذلك من إكرام . علی أنه قامت فی القرن السابع عشر منازعات منشؤها أن الهدية التي قدمت لسفير دولة كانت أكثر مما قدم لسفير آخر .

(٢) خطط المقریزی ٢ / ٦٧ .

(١) السلوك ج ١ فی ٢ / ٢٧٢ .

فقد ذلك إهانة له ولملكه واحتج على ذلك . ولما كثرت المنازعات منعت بعض الدول سفراءها من قبول أية هدية عند عودتهم وتبعتها سائر الدول فسقطت تلك العادة .

على أن الأمر في الإسلام لم يكن كذلك . ولقد كانت الهدايا ذات شأن كبير كما ذكرنا حتى بلغ من شأنها أنه كان لها سجلات خاصة في ديوان الخليفة زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك يقيد فيها ما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل إليهم من الملاحظات<sup>(١)</sup> . وكان يقصد بهذه الهدايا إظهار التعلق بالمرسل إليه واحترامه ، وكلما كانت الهدية عظيمة كان ذلك أدل على عظم شأن المرسل إليه .

وكانت في أحيان أخرى تعد ضرباً من الاعتراف بالسيادة ، كما كان يجري بين صلاح الدين ونور الدين ، أو تعد جزية يدفعها ملك ضعيف إلى ملك قوى كما كان يفعل ملوك اليمن . فقد كانوا يرسلون الهدايا لسلطان مصر إظهاراً لخضوعهم<sup>(٢)</sup> .

وكانت هذه الهدايا تكتب في ثبت وتقدم إلى الوزير ليلتمس من الخليفة أو السلطان قبولها ، فيشير الملك بحضورها فتعرض عليه مع ثبت يتضمن ما فيها فيقبلها<sup>(٣)</sup> .

ولعل من الطرافة أن نعرض عليك ألواناً من هذه الهدايا . فمنها هدية الرشيد لشارلمان وخبرها معروف . وذكر الصولي أن ملك الروم وافى الراضى بالله بهدايا كثيرة منها صياغات وثياب ديباج وآنية طريفة الصياغة<sup>(٤)</sup> . وكان الروم يهدون الخلفاء كثيراً .

وأهدى أحد ملوك المغرب مع رسوله للسلطان في مصر مصحفاً جليلاً غشاه بالذهب المرصع بالجواهر الرائع<sup>(٥)</sup> .

وأهدى أحد سلاطين مصر إلى الملك بركة التتري هدية اشتملت على فيل وزرافة وقرود وحمير وجملة كبيرة من ملبوس ومصاغ وشمعدانات فضة وحصر عبدانية وأمتعة وأواني صيني وثياب اسكندرانية<sup>(٦)</sup> .

ومن هدايا صلاح الدين إلى نور الدين هدية أرسلها سنة ٥٦٨ كان فيها أمتعة وآلات فضية

(١) خطط المقرئى ١ / ٣٩٧ . (٢) تاريخ المماليك البحرية ص ١٧١ .  
(٣) آثار الأول ص ١١٢ . وانظر رسل الملوك لابن الفراء (الباب الثامن عشر) .  
(٤) الأوراق ص ٩٨ . وانظر الروضتين في أخبار الدولتين ١ / ١٢٣ ، وتجارب الأمم ٦ / ٢٠٨ .  
(٥) السلوك ج ٢ ص ٩ .  
(٦) عن النهج السديد ص ١١٢ . الحاشية ذات الرقم ٣ من السلوك ص ٤٩٧ ج ١ ق ١ .

وذهبية وبلورو بشم (حجر قريب من الزبرجد) وأشياء يعزّ وجودها، ومن الجواهر والآلي  
شيء عظيم<sup>(۱)</sup>. وفي مرة ثانية أرسل إليه زبادى وسكارج وإبريق بشم وطشت بشم<sup>(۲)</sup>.  
وأهدى ملك الروم الملك العادل هدية أكثرها من الديباج فقبول بمثل ذلك<sup>(۳)</sup>.  
ومن الوثائق المكتوبة عن الهدايا ما أورده القلقشندي عند ذكر هدية تونس إلى  
السلطان فرج برقوق. وكانت من خيل وكان فيها من كل جنس ومن كل لون. فكتب  
إليه السلطان :

«... ولما عرضت علينا من جودكم عند العشي الصافنات الجياد وحلينا بقلائد منها  
الأجياد، نقسم لقد حيرتنا ألوانها إذ خيرتنا.  
فن أشهب كأن الشهب له قنيصة، أو الصباح ألبسه قيصه، أو كأنما قلب من اللجين  
في قالب البياض.  
ومن أدم كأن النفس لمسه في مداده، أو الطرف أمدته بسواده، أو كأنما تقمص  
إهاب الليل...»

ومن أحمر كأنما صيغ من الذهب، أو لوتن من النار والذهب، أو كأنما الشفق ألقى عليه  
قيصه ثم أشفق، أو الشقيق أجرى عليه دما ووجيبه شقق.  
ومن أشقر... ومن أخضر...<sup>(۴)</sup>»

### الاستنفار والنجدة

وكثيرا ما كانت الرسل تسير لطلب نجدة من ملك على ملك. وكانت هذه النجدة  
على نوعين: ضرب من الروم أو الهند يرسل إلى المسلمين، وضرب من المسلمين يرسل  
إلى المسلمين.

ففي سنة ۶۶۱ مثلا قدمت رسل الملك بركة (ملك الروم) تطلب النجدة على هولاء  
ويخبرون بإسلامه وإسلام قومه<sup>(۵)</sup>.

(۱) السلوك ج ۱ ق ۱ ص ۵۰ .

(۲) السلوك ج ۱ ق ۱ ص ۵۰ .

(۳) الروضتين ۱ / ۱۲۳ .

(۴) صبح الأعشى ۷ / ۳۸۴ .

(۵) السلوك ج ۲ ق ۱ ص ۴۹۵ .

وتذكر كتب التاريخ أن ابن طغون امبراطور الهند أرسل إلى مصر وفدا يطلب إليه المساعدة على المغول<sup>(١)</sup>.

ولما مات الكامل قوى المجاهد أسد الدين صاحب حمص وأغار على حماة وحضرها واستعد أهل حلب واستنجدوا عسكرياً من التركان وعسكرياً من الخوارزمية، وكان قد صار إليهم عدة من أصحاب الملك الكامل فأكرمهم وبعثوا إلى السلطان غياث الدين كيخسرو ابن كيقباز ملك الروم يسألونه إرسال نجدة<sup>(٢)</sup>.

وأكثر ما كانت النجدة تطلب زمن الصليبيين أيام اشتداد الحروب وكثرة عدد العدو وضعف المسلمين. فقد كان السلطان يومئذ يبعث إلى الآفاق رسلاً يستنجدون أهل الإسلام على الفرنج<sup>(٣)</sup>.

ولقد استنجد مرة صلاح الدين أخاه سيف الإسلام صاحب اليمن واستقدمه ليعاونه على قتل الفرنج<sup>(٤)</sup>.

وكانت هذه الكتب ترسل من مصر إلى الآفاق، وكانت الأندلس تستنجد مصر في بعض الأحيان.

ومن أروع كتب الاستنفار والنجدة ما كتب صلاح الدين بن يوسف إلى المنصور يعقوب بن يوسف أحد الخلفاء الموحدين في المغرب يستحثه على الروم الفرنج القاصدين بلاد الروم والديار المصرية.

ومما جاء فيه :

«... وتظاهروا علينا وطاروا إلينا زرافات ووحداً فلم يبق طاغية من طواغيتهم ولا أئمة من أئمتهم إلا أجم وأسرج وأجلب وأرهج وخرج وأخرج وجاد بنفسه أو بولده وبعده وبعده وبذات صدره وذات يده وبكتائبه برّاً وبمراكبه بحراً وبالآقوات للخيال والرجال. وأنهض أبطال الباطل من فارس وراجل ورامح ونابل وحاف وناعل. كلٌ خرج متطوعاً وأهطع مسرعاً حتى ظننا أن في البحر طريقاً يبساً... وزادت هذه الحشود المتوافية وتجاقت

(٢) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٢٦٩.

(١) دولة المماليك ص ٨٤.

(٤) صبح الأعشى ٣٤٢/٧.

(٣) السلوك ج ١ ق ١ ص ١٩٥.

عنها الهم المتجافية وكثرت إلى أن خرجت من سجن حصرها وبقية ثغرها - وهو صور - فنازلت ثغر عكا في أسطول ملك بحره وجمع سلك بره ، فهضنا إليه ونزلنا عليهم وعليه ، فضرب معنا مصاف قتلت فيه فرسانه وجدلت شجعانه وخذلت صلبانه وساوى الضرب بين حاصر القوم ودارعهم . فهناك لاذوا بالخنادق يحفرونها وإلى الستائر ينصبونها وأخذوا إلى الأرض متناقلين ... ولو أن دربة عساكرنا في البحر كدربتها في البر لعجل الله منهم الاتصاف واستقل واحدنا بالعشرة ومثقتنا بالألف . وقد اشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم والمدد الدم . . . ووصولهم على جهة القسطنطينية - يسر الله فتحها - على عزم الاتمام إلى الشام في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف ، والعساكر الإسلامية لم تستقبل وإلى حربهم تنتقل ، فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها ويفرغ لها ويتسلط عليها . وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم فرجما أضر بالإسلام انقسامها .

ولم نر لمكاثرة البحر إلا بجرأ من أساطيله المنصورة ، فإن عددها واف وشطرها كاف ، ويمكنه - أدام الله تمكينه - أن يمد الشام منه بعد كثيف وحد رهيف ، ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف . ويمكنه أن يكف شطراً لأسطول طاغية صقلية ليهيئ جناح قلوعه قبل أن تطير وتعقله في جزيرته ، ويجرى إليه قبل جزيرته<sup>(١)</sup> . . .

### المخالفة

وكان الرسل يترددون بين الملوك لعقد محالفات تربط بعضهم ببعض . وقد كانت هذه المحالفات تجعل العلاقات السياسية والاقتصاد أحياناً بين الدولتين متينة وتنشئ نوعاً من المعاوضة والمسالمة والدفاع .

ومن أبرز المحالفات التي عرفها تاريخ الدبلوماسية الإسلامية تحالف هارون الرشيد وشارلمان . وتحالف عبد الرحمن مع ملوك بزنتية الشرقية .

وتفصيل الأمر أن الدولة الأموية في الأندلس قامت بقوة واندفاع ، فعظم أمرها واشتد أسرها . ولقد حاول المنصور العباسي أن يضربها فلم يفلح ، فقال الحمد لله الذي جعل البحر

(١) انظر الكتاب بتمامه في صبح الأعشى ٦ / ٥٢٦ .

بينه وبيننا . يعنى عبد الرحمن . وفي الغرب كانت دولتان كبيرتان أيضاً تتنازعان : دولة الفرنجة ودولة الروم الشرقية ، وكان بينهما خلاف شديد نشأ على أثر تكسير التماثيل التي قام بها اليون في منتصف القرن الثامن تقريباً . وكانت كل دولة في الغرب عدوة دولة في الشرق . كانت بزنطية تخشى العباسيين ؛ فالغزوات كانت بينهما قائمة قاعدة . وكان الخصاص بينهما يشتد ولا يلين . لا يخفف منه غير معاهدات صلح تدفع الطرفين إلى الاستجمام والتسلح ومعاودة الغزو . وكانت دولة الفرنجة تخشى الأمويين في الأندلس ، وكانت الغزوات بينهما قائمة أيضاً . كل ذلك أدى إلى إيجاد تحالف هارون وشارلمان أوجده رسله الذين وفدوا إلى بغداد ورسل هارون الذين ذهبوا إلى بلاط شارلمان . ويذكر هايد في كتابه تاريخ التجارة أن هذا التحالف أدى إلى قيام صلات بين الدولتين ملؤها الاحترام والتقدير المتبادل . وكان من نتيجة هذا التحالف أيضاً أن استطاع حماية الحجيج إلى البلاد المقدسة ، ثم أعلن بطريك النصارى في القدس سنة ٧٩٩ لشارلمان حق الحماية على القدس والأراضي المقدسة .

وقد كان من نتائج هذا التحالف الثنائي بين شارلمان وهارون ، وبين عبد الرحمن وبزنطية أن أوجد شبه توازن عالمي يوميذ آثار غزوات وحروباً كثيرة<sup>(١)</sup> .

ومن أمثلة التحالف أيضاً تحالف صلاح الدين وإسحاق الثاني بعد فتح بيت المقدس . فقد أرسل صلاح الدين إلى إمبراطور الدولة البيزنطية إسحاق الثاني بعثاً ليخبره بما تم على يديه من الفتوح ويسلم إليه مائة وتسعين رجلاً من رعايا الدولة البيزنطية . فنتج عن هذا البعث أن عقد الإمبراطور والسلطان حلفاً سنة ٥٨٥ كان من آثاره عداة عواهل غرب أوربة للدولة البيزنطية<sup>(٢)</sup> .

ودأب إسحاق الثاني على مخالفته المسلمين حتى آخر حكمه سنة ١١٩٥ م<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر للتوسع في هذا :

Reinaud, Invasion des Sarrazins en France p. 92, 115, 116

Diehl et Marcais, le Monde Oriental de 395—1081

Vasiliev, Histoire de l'Empire Byzantine

(٢) حاشية رقم ١ من ص ٩٨ ج ١ ق ١ حاشية رقم ٣ من السلوك 483 و 11 n IV Camb. Med. Hist.

(٣) السلوك ج ١ ق ١ ص ١٢٩ .

وفي المحالفة التي عقدت مع السلطان قلاوون من قبل ملك اليمن نص على الشروط التي ينبغي القيام بها . وقد جاء فيها : « أن يتعاضد الملكان معاً وأن يسالم ملك اليمن من سالمه قلاوون ويعادى من عاداه وينصر من نصره ويخذل من خذله ، ولا يرضى له ولأولاده إلا ما يرضى لنفسه ، ولا يقبل في حقه سعاية ولا قول واش ، ولا تناله منه مضرة مدى الدهر مادام ملازماً لشروط مودته<sup>(١)</sup> . »

وفي هذا اتحاد وتعاضد كفيلان بإبقاء المودة وضمنان السلام بين الملكين .

---

(١) السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧٠٢ .

## مصادر البحث في القسم الثاني

### الكتب المخطوطة

- تاريخ دمشق لابن عساكر ( مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق )  
 نقد الطالب لرغل المناصب لابن طولون ( مخطوط في خزانة المجمع العلمي العربي )  
 تاريخ مسجد دمشق لمؤلف مجهول ( مخطوط في دار الآثار القديمة بدمشق )  
 إنباء الغمر في أبناء العمر لابن حجر ( مخطوط في باريس وصورة عنه في خزانة المجمع العلمي بدمشق )

### الكتب المطبوعة

- |                                                 |                                             |
|-------------------------------------------------|---------------------------------------------|
| صبح الأعشى للقلقشندي                            | تاريخ الرسل والملوك للطبري                  |
| كتاب البلدان لابن الفقيه                        | مروج الذهب للمسعودي                         |
| معجم البلدان لياقوت                             | الكامل في التاريخ لابن الأثير               |
| دولة المماليك في مصر لوليم مور                  | تاريخ الأمراء والوزراء للصابي               |
| أدب الوزير للماوردي                             | تاريخ بغداد للخطيب                          |
| مسند أحمد بن حنبل                               | تاريخ مختصر الدول لابن العبري               |
| معجم الأدباء لياقوت                             | مهذب تاريخ دمشق لابن عساكر                  |
| الأوراق للصولي                                  | الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير |
| نفع الطيب للمقري                                | لابن الساعي                                 |
| صلاح الدين وعصره لأبي حديد                      | المنتظم لابن الجوزي                         |
| تاريخ المماليك البحرية لعلی ابراهيم حسن         | مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي                 |
| المواصلات في مصر في العصور الوسطى لثيبت         | تاريخ مصر لابن إياس                         |
| حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني               | تاريخ مصر للعسقلاني                         |
| الفتح المبين للنووي                             | تاريخ ابن خلدون                             |
| دائرة معارف البستاني                            | تجارب الأمم لابن مسكويه                     |
| دائرة معارف وجدي                                | كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة   |
| الرحالة المسلمون في العصور الوسطى لزكي محمد حسن | الفخرى في الآداب                            |
| مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام لعبد الله عنان     | السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي         |
| السفارات السلطانية والخلافية لعبد الله عنان     | المخطط والآثار للمقريزي                     |
| الصين وفنون الإسلام لزكي محمد حسن               | المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء          |
| كنوز الفاطميين                                  | ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي                |
| الفهرست لابن النديم                             | البدایة والنهاية لابن كثير                  |
| الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم متر      | تاريخ ابن الوردي                            |
| النجوم الزاهرة                                  | التنبيه والإشراف للمسعودي                   |
| نصاب الاحتساب في الفتاوى للشامي                 | سياسة نامه لنظام الملك                      |
| الشرع الدولي في الإسلام للدكتور الأرمنازي       | آثار الأول في ترتيب الدول                   |
| تاج العروس                                      | الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي      |
| اللسان                                          | الأحكام السلطانية للماوردي                  |
| القاموس                                         | الأحكام السلطانية لأبي يعلى                 |



الكُتُبُ الفَرَنْسِيَّةُ

- P. de Thiersant, Le Mohamétisme en Chite.  
F. Quatremere, Histoire des sultans Mamlouks.  
H. Lammens, Correspondances diplomatiques entre les sultans Mamlouks d'Egypte et les puissances chrétiennes.  
(dans Rev. Or. Chrét 1904).  
H. Lammens, Relations entre la cour de Romaine et les sultans Mamlouks d'Egypte.  
(dans Rev. Or. Chrét 1903).  
W. Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen-age. (trad. franç)  
N. Jorga, Points de vue sur l'histoire du commerce de l'Orient au Moyen-age.  
Diehl et Marçais, Le monde Oriental de 395 — 1081.  
A. A. Vasiliev, Histoire de l'Empire Byzantin.  
L. H. Vincent, Le protectorat de Charlemagne sur la Terre-Sainte.  
(dans Rev. Bibl t XXXVI, 1927).  
A. A. Vasiliev, Byzance et les Arabes.  
Lavisse et Rambaud, Histoire Générale.  
La Peinture au Musée du Louvre. Ency. de l'Islam.

من الكُتُبِ الأَنْجَلِيَّةِ

- A. S. Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages.  
A. S. Atiya, Egypt and Aragon.  
Lane-Poole, History of Egypt in the Middle Ages.

# فهرس الجزء الثانى

من كتاب رسل الملوك

المقدمة

القسم الأول : الرسل والسفراء فى الغرب ... .. ٥٩

الفصل الأول :

الباب الأول : تعريف السفير ... .. ٦١

الباب الثانى : تصنيف الرسل والسفراء ... .. ٦٣

الباب الثالث : إيضاح الأعمال والأسماء ... .. ٦٥

الباب الرابع : محاولة إصلاح التصنيف ... .. ٦٦

الباب الخامس : صفة التمثيل ... .. ٦٨

الفصل الثانى :

الباب الأول : صفات السفير ... .. ٧٢

الفصل الثالث :

الباب الأول : القبول والرفض ... .. ٧٦

الباب الثانى : أوراق الاعتماد — الجواز ... .. ٧٨

الباب الثالث : مراسم الاستقبال ... .. ٧٩

الباب الرابع : واجبات الممثل الدبلوماسى ... .. ٨٠

الباب الخامس : استرداد السفير أوردّه ... .. ٨١

الفصل الرابع :

٨٤ ... .. الباب الأول : حصانة الممثلين الدبلوماسيين

٨٦ ... .. الباب الثاني : الميزات الدبلوماسية

الفصل الخامس :

٩١ ... .. الباب الأول : نحو دبلوماسية جديدة

٩٩ ... .. مصادر القسم الأول

١٠١ ... .. القسم الثاني : الرسل والسفراء عند العرب في الإسلام

الفصل الأول :

١٠٣ ... .. الباب الأول : لمحة عن الرسل في دول الإسلام

١٠٧ ... .. الباب الثاني : تعريف الرسول والسيفير

١١٠ ... .. الباب الثالث : انتقاء السفراء

الفصل الثاني :

١١٣ ... .. الباب الأول : صفات السفراء

الفصل الثالث :

١١٩ ... .. الباب الأول : استقبال السفراء

١٣١ ... .. الباب الثاني : أوراق الاعتماد — الجواز

١٣٤ ... .. الباب الثالث : إكرام الرسل

١٣٦ ... .. الباب الرابع : رد الرسل

الفصل الرابع :

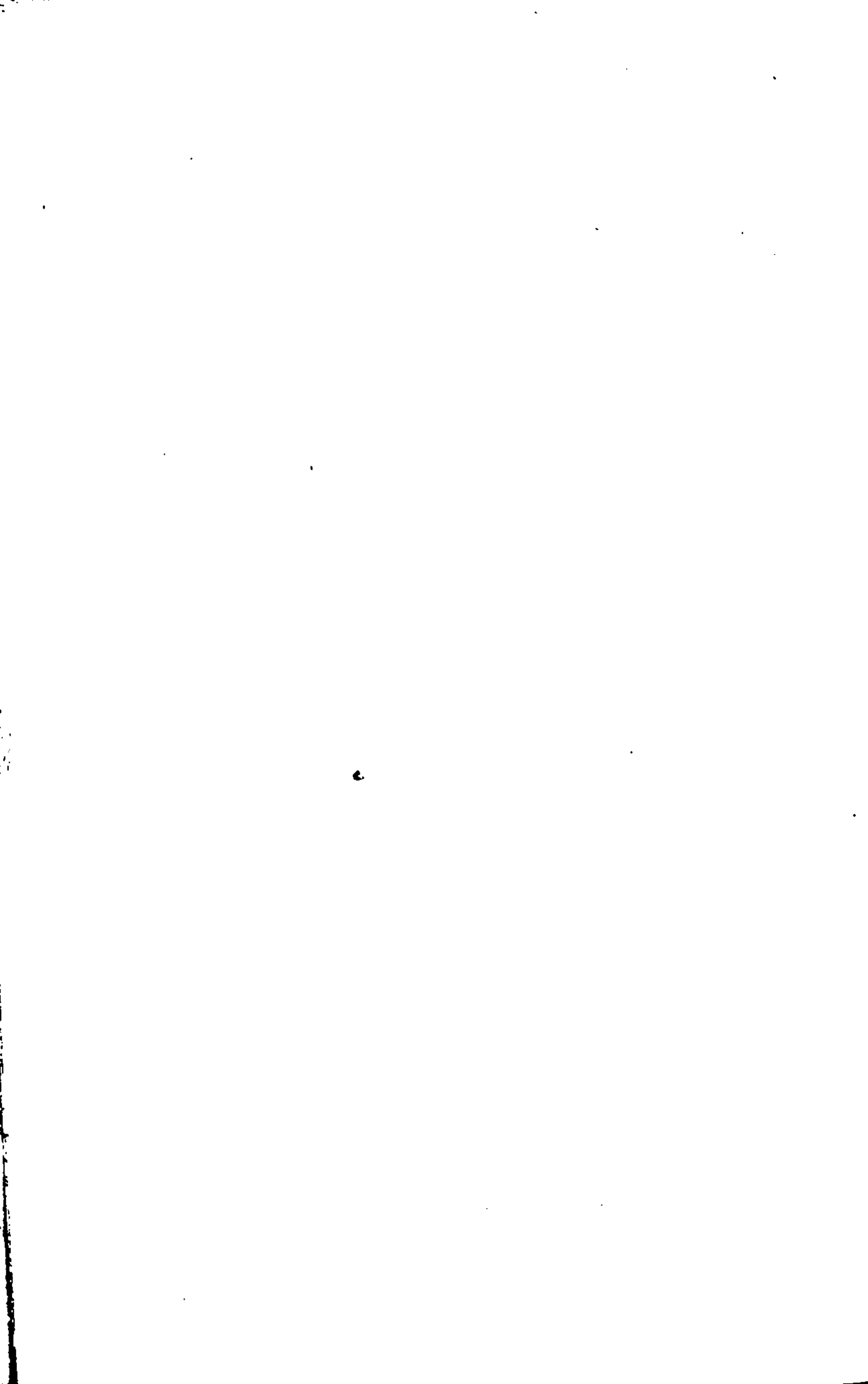
١٣٨ ... .. الباب الأول : أمان الرسل والسفراء ... ..

١٤١ ... .. الباب الثاني : حول ميزات الرسل ... ..

الفصل الخامس :

١٤٤ ... .. الباب الأول : أغراض الدبلوماسية في الإسلام ... ..

١٦١ ... .. مصادر القسم الثاني ... ..



## فهارس

كتاب رسل الملوك

ومن يصلح للرسالة والسفارة

---

- ١ - أسماء الرسل
- ٢ - أسماء البلدان والمحال
- ٣ - الكتب - ملحق عن كتاب السياسة
- ٤ - الألفاظ الدالة على الحضارة
- ٥ - الأعلام في المتن والحواشي
- ٦ - تراجم الأعلام الواردة في المتن ومراجع التراجم
- ٧ - بعض مراجع التصحيح والتعليق

## الرسول الواردة في كتاب «رسول الملوك»

رسول ملك الروم : ٣١	رسول الله : ٣
رسول ملك الروم إلى معاوية : ٣٤	جرير بن عبد الله : ٣
رسول ملك الروم إلى عمر : ٤٥	حاطب بن أبي بلتعة : ٣
رسول ملك الروم إلى المنصور : ٣٩	دحية بن خليفة : ٤
رسول ملك الفرس إلى بعض مجاوريه : ١٧	رسول اسكندر إلى أحد الملوك : ٢٦
رسول ملك الفرس إلى هشام : ١٣	رسول أكرم إلى رسول الله : ٢٩
رسول المنصور إلى سليمان بن علي : ٤٦	رسول باسيل إلى المعتصم : ٣٢
سليط بن عمرو : ٤	رسول بعض الملوك إلى معاوية : ٢٠
شجاع بن وهب : ٣	رسول ابن حديج إلى عبد العزيز بن مروان : ٤٧
الشعبي رسول الحجاج إلى عبد الملك : ٢٠	رسل زياد بن أبيه : ٤٥
رسالة إلى ملك الروم : ٤٥ ، ٥٢	رسول سليمان ، الهدهد : ٢١
عبد الله بن حذافة : ٤	رسول عبد الملك إلى الحجاج : ١٢
العلاء بن الحضرمي : ٤	رسول المأمون إلى ملك الروم : ٤٨
عمرو بن أمية : ٤	رسول المعتصم إلى ملك الروم : ٣٢
عمرو بن العاص : ٣	رسول ملك الحبشة : ٣٢
المهاجر بن أمية : ٤	رسول ملك الخزر : ٣٣

## أسماء البلدان والمحال

العباسية : ٣٩	البصرة : ٤٦
عمان : ٣	بلاد الروم : ٤٩ ، مملكة الروم : ٤١
عمورية : ٣٤	جسر بغداد : ٤٠
الكرخ : ٣٩	حلوان : ٤٧
مصر : ٤٧	دمشق : ٣٤
حرفلة : ٤٢ ، ٤٣	الرقة : ٤٢
	زبطرة : ٣٤

## الكتب الواردة في متن رسل الملوك

السياسة الخاصة : ٢٥	القرآن الكريم (آيات منه) : ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٥
السياسة العامة : ٢٣ ، ٣٠	١١ ، ١٩ ، ٢١
السياسة المختصرة : ١١	أخلاق الملوك : ٢٢
كليلة ودمنة : ٢٨	تصفية الأذهان : ٣١ ، ٣٣
	خد ايتامه الكبير : ٤٥



## ملحق

في مكتبة برلين نختان من كتاب السياسة الذي صنفه أرسطاطاليس لتلميذه الإسكندر ونقله إلى العربية  
يوحنا البطريق ( ٨١٥/٢٠٠ ) . ثبت هنا ما فيه من الفصول .

النسخة الأولى 5603 Spr. 943

### كتاب السياسة في تدير الرياسة

تصنيف الحكيم الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك

الإسكندر بن نيليبس اليوناني المعروف بذي القرنين

#### مبrouه :

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد .  
أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأيده على حماة الدين وأبجاء لرعاية أحوال المسلمين فإن عبده امثل  
أمره والتزم مأخذه من البحث عن كتاب السياسة .

ع

#### مقالات :

- المقالة ١ — في أصناف الملوك . الملوك أربعة ...
- ٢ — القول الثاني في تدير الملك . مما يجب على الملك .
- ٣ — الكلام في العدل . يا إسكندر العدل صفة كريمة .
- ٤ — في صفة وزير الملك ووجه سياسته ونجربة رأيه وصورة العقل المركب فيه . يا إسكندر  
تمهم هذه المقالة .
- القول في الرعية . قد علمت يا إسكندر أن الرعية ...
- ٥ — في الرسل . اعلم يا إسكندر وفقك الله أن الرسول يدل على عقل المرسل .
- ٦ — ( أ ) في الأجناد . يا إسكندر الأجناد زينة الملكة .  
( ب ) القول في الحروب . يا إسكندر لا تباشر الحروب بنفسك .  
( ج ) القول في المدد المخرج للغالب والمغلوب . هنا يا إسكندر السر الذي كنت أضعه لك  
عند لقاءك أعدائك .
- ( د ) القول في الفراسة . يا إسكندر لما كان علم الفراسة من العلوم الطيفة ...
- ٧ — في الطب لما كان هذا الجسد القاني يدخله الضاد ...

## الكلام في خواص الأحجار

المخاتمة : بإسكندر كتابي هذا كاف فيما سألته وهو يقوم مقامى إذا تصفحته وتفهمته فاجمله نجاة فكرك .  
... وتلو على جميع ملوك الدنيا . والله خليفتي عليك وهو حسبنا ونعم الوكيل .  
أما النسخة الثانية فهي برقم 5121 4bg 5604 . وهي تختلف عن الأولى في مقالاتها .

## كتاب السياسة في تدير الرياسة

### المعروف بسر الأسراء

الذى ألفه الفيلسوف الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك الأعظم الإسكندر ابن فيلبوس الفلوى  
المعروف بذي القرنين .

وهذا الكتاب مؤلف من عشرين مقالات .

مقالة ٢ - في حال الملك وهيئته وكيف يجب أن يكون مأخذه على خاصة نفسه . فصل في حفظ الصحة .  
فصل في السلطان .

فصل في فصول السنة .

الكلام على أجزاء الجسد .

ذكر المياه .

ذكر الأغذية .

القول في الحمام .

القول في الشراب .

صناعة العسل الذى يركب منه الدواء .

إختبار القصد والحجامة .

إختبارات لشرب الأدوية .

باب مختصر في علم الفراسة .

٣ - في صورة العدل .

٤ - في الوزراء وعددهم ووجه سياستهم وتجربة آرائهم صورة العقل المركب منهم .

٥ - في كتاب سجلاته ومصائبهم .

٦ - في سفرائه وهيئاتهم ووجه السياسة في بشهم .

٧ - في الناظرين على رعيته وخراجاتها .

٨ - في سياسة قواده والأساورة من أجناده .

٩ - ( أ ) في سياسة الحروب وصورة مكائدها والتحفظ من عواقبها وترتيب لقاء الجيوش والأوقات  
المختارة لذلك .

( ب ) القول في الغالب والمغلوب .

١٠ - في علوم خاصة من علم الطلسمات وأسرار النجوم واستمالة النفوس وخواص الأحجار والنبات .

المخاتمة : وقد أكملت لك يا إسكندر جميع ما رغبت على حسب ما شرطت وقت لك بحق الخدمة وذلك بحسب ما يجب لك على فكن به مؤيداً موقفاً سعيداً . إن شاء الله تعالى .

قسم

Politischer Verkehr.  
Die  
Handschriften - Verzeichnisse  
Der  
Koniglichen Bibliothek Zu Berlin  
W. Ahlwardt  
1863  
Berl

نقل عن هذا الكتاب الطرطوشي محمد بن الوليد في كتابه سراج الملوك في الباب الثالث والأربعين  
فيما يملك السلطان من الرعية .  
وقد دخلت حديثاً إلى دار الكتب الظاهرية نسخة من كتاب السياسة هذا .

## الالفاظ الدالة على الحضارة

المعلم : ٣٧	البريد : ١٣
النير : ٣٧	الديوان : ٣١
المبردات : ٣٣	المؤامرات : ٣١
الدنيات : ٣٣	الزيون : ٣٨
القطف : ٣٨	التونى : ٣٧
الطنافس : ٣٨	الحسروانى : ٣٨
الرشيدى الشفاف : ٣٨	الديقى : ٣٨
رفيع المحفور : ٣٨	الديباج : ٣٨
الزجاج المحكم : ٣٨	الشرب : ٣٧
مخروط البلور : ٣٨	الأصبهانى : ٣٧
الصحون الصينى : ٣٨	الطلى : ٣٧
• البلق : ٣٨	طميم الفرقوبى : ٣٨
• الزمردى : ٣٨	العصب : ٣٧
• السواد : ٣٨	القصب : ٣٧
الحافقيات : ٣٨	المذهب : ٣٧
	المصنف : ٣٧

## الأعلام

### فى المتن والحواشى

أفلاطون : ٢٩	(أ)
أكثم بن صيفى : ٢٩	إبراهيم عليه السلام : ٣
ابن إياس = محمد بن أحمد : ٣٧	ابن الأثير = على بن محمد : ٤٣ ، ٤٢ ، ٣٤
(ب)	أحمد بن إسرائيل : ٣٥
باسيل بن اليون : ٤٤ ، ٣٤	أبو الأسود : ٥٠
البحترى = الوليد بن عبادة : ٤٦	أردشير بن بابك : ٢٥
البلادرى = أحمد بن يحيى : ٣	الإسحاق = محمد بن عبد المطلبى : ٣
البلغى = أحمد بن سهل : ١١	إسكندر : ٣٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠
	الإصطخرى = على بن سعيد : ٣٧

دعومين : ۳۵

(ر)

الراغب الأصفهاني = حسين بن محمد : ۵۰  
الربيع بن يونس : ۴۰

(ز)

زياد بن أبيه : ۴۵

(س)

السبكي = عبد الوهاب : ۱۳  
ستريك : ۳۸  
سليمان بن داود : ۲۱  
سليمان بن علي : ۴۶  
سليط بن عمرو : ۴  
سليط بن قيس : ۴  
السندي أبو العطاء : ۴۹

(ش)

شجاع بن وهب : ۳  
الشعبي = عامر بن عبد الله : ۲۰ ، ۴۵ ، ۴۶  
۵۲

شمر بن الحارس : ۳

(ط)

أبو طالب : ۴۷  
الطبراني = سليمان بن أحمد : ۵۳  
الطبري = محمد بن جرير : ۴ ، ۳۹ ، ۴۲ ، ۴۳  
طرفة بن العبد : ۴۵  
ابن طولون = محمد بن علي : ۱۳  
ابن طيفور = : ۵۰

يكر : ۳۸

اليهقي = إبراهيم بن محمد : ۲۵ ، ۸

(ت)

أبو تمام = حبيب بن أوس : ۵۱  
توفيل بن ميخائيل : ۳۴

(ج)

جرير بن اسماعيل البجلي : ۴۶  
جرير بن عبد الله : ۳  
الجهشباري : ۴۰  
جيفر بن الجندى : ۳  
ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي : ۳

(ح)

الحارث بن شمر : ۳  
حاطب بن أبي بلتعة : ۳  
الحجاج بن يوسف التيمي : ۴۲  
التميمي : ۴۳  
الثقفي : ۱۲ ، ۲۰  
الحسن بن سهل : ۳۳  
حميد بن عطاء : ۳۳  
ابن حوقل = محمد : ۳۷

(خ)

خاتون (أخت ملك الخزر) : ۳۳  
خالد البجلي :  
الخفاجي = أحمد بن محمد : ۳۸

(د)

الداكني :  
دحية بن خليفة : ۴  
دوزي : ۳۷ ، ۳۸

(ع)

- عامر بن لؤى : ٤  
العباس بن الأحنف : ٥٠  
العباس بن محمد بن علي :  
عبد بن الجلندي : ٣  
ابن عبد الحكم = ٣ :  
أم عبد الرحمن بن حسان : ٣  
أبو العتاهية = اسماعيل بن القاسم : ٤٣ ، ٤٨  
عبد العزيز بن مروان : ٤٧  
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٨  
عبد الله بن العباس : ١٤  
عبد الله بن محمد المكي : ٤٢  
عبد الله بن معاوية : ٤٨  
عبد الله بن يوسف : ٤٢  
عبد الملك بن مروان : ١٢ ، ٢٠ ، ٤٥  
ابن عساكر = علي بن الحسن : ٤٦ ، ٥٢  
العلاء بن الحضرمي :  
علي بن أبي طالب : ١٤ ، ٣٢  
عمارة بن حمزة : ٤٠  
عمر بن الخطاب : ٢٠ ، ٤٥  
عمرو بن أمية الضمري : ٤  
عمرو بن الجلندي : ٣  
عمرو بن العاص : ٣

(غ)

الغزالي محمد بن محمد : ٢٧

(ف)

- فرعون : ٦  
الفضل بن سهل : ٣١  
الفضل بن مروان : ٣١  
الفضل بن يحيى : ٤٨

(ق)

- ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم : ٢٣  
القلقشندي = أحمد بن علي : ٢٦  
قيصر ملك الروم : ٤

(ك)

- كرد علي = محمد : ١٠  
كريمي :  
كسرى بن هرمز : ٤

(ل)

لين : ٣٧

(م)

- مارية (أم إبراهيم) : ٣  
المأمون = عبد الله بن هارون : ٤٨  
المبرد = محمد بن يزيد : ١٠ ، ١٥  
محمد رسول الله صلعم : ٣ ، ٤  
محمد بن أمية : ٥٠  
محمد بن عبد الملك : ٣٥  
محمد بن معاوية : ٥٣  
مدرك (أبو طالب) : ٤٧  
المديني : ٥١  
مرزوق = : ٣٧ ، ٣٨  
المسعودي = علي بن الحسين : ٤٨  
معاوية بن أبي سفيان : ٢٠  
معاوية بن حديج : ٤٧  
المعتز = محمد بن جعفر : ٣٤ ، ٣٥  
المنصم = محمد بن هارون : ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٤  
المعتمد = أحمد بن جعفر : ٣٤  
المعز الفاطمي = معد : ٣٨  
المقدسي = محمد بن أحمد : ٣٥ ، ٣٨  
المقريزي = أحمد بن علي : ٣ ، ٣٨  
ابن المقفع = عبد الله : ٤٥

هارون الرشيد : ۴۱ ، ۴۲ ، ۴۳  
هرقل : ۴  
ابن هشام = عبد الملك : ۳  
هشام بن عبد الملك : ۴۱  
هوذة بن علي : ۴

( و )

الواقدي = محمد بن عمر : ۳ ، ۲۸ ، ۳۴

( ی )

ياقوت الرومي : ۳۹  
يحيى بن خالد : ۱۳ ، ۴۲ ، ۴۳  
يزيد بن الطثرية : ۵۱  
يزيد بن المهلب : ۲۴

المفوقس : ۳  
المنذر بن الحارث : ۳  
المنذر بن ساوى : ۴  
المنصور بالله = عبد الله : ۳۹ ، ۴۶  
موسى عليه السلام : ۱۲  
المهتدي = محمد بن هارون : ۳۴  
المهلب بن أبي صفرة : ۲۴

( ن )

النجاشي : ۴  
نقفور : ۴۱ ، ۴۲ ، ۴۳ ، ۴۴

( هـ )

هارثمان : ۱۳  
هارون عليه السلام : ۱۲

## تراجم الأعلام الواردة

في متن رسل الملوك

### ١ - ابراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم (٨-٩)

ابن رسول الله من مارية القبطية . كان من أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم . ولما مات وجد عليه وبكى . وقال : « إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول ما يسخط الرب . ولولا أنه وعد صادق وموعد جامع وأن الآخر منا يتبع الأول . لو جدنا عليك أشد مما وجدنا ، وإنا بك لمحزونون » . وكان له من العمر ثمانية عشر شهراً .

انظر :

أسد الغابة ١/٣٨ . الاستيعاب ١/٢٢ رقم ١ . فتوح مصر لابن عبد الحكم ٤٦  
الكامل لابن الأثير ٢/١٨٦ . شذرات الذهب ١/١٣-١٧ . فتوح البلدان للبلاذري ص ١٨  
الطبرى ١ : ١١٢٨-١٦٨٦-١٧٧٤-١٧٧٥-٢٤٨٠-III : ٢١٢-٢٤٢٩  
٢٤٦١-٢٤١٣ .

### أبو الأسود الدؤلى (٠٠-٩٦) / ٦٨٨ .

ظالم بن عمرو . مخضرم . أسلم في حياة النبي ولم يره . كان أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والأشراف والدهاة والحاضري الجواب . ومن مشاهير البغلاء . والأكثر على أنه أول من وضع قواعد العربية شهد مع علي كرم الله وجهه صفين . مات بالطاعون .

انظر :

أسد الغابة ٣/٧٠ . معجم الأدباء ١٢/٣٤ . نزهة الألباء ٩/٩ . الفهرست لابن النديم ٤٠/  
طبقات القراء لابن الجزرى ١/٣٤٥ . الأغاني ١/٦٣ ( وانظر فهرست الأغاني ١/٤٠ ) .  
البيان والتبيين للجاحظ ١/٢٩١ - ٢٥٨ - ١٤٧/٣ . ومقالة الأستاذ Reckendorf في دائرة  
المعارف الإسلامية . الطبرى ١ : ٣١١٥-٣١١٧-٣١٢٢-٣٣٦٧-٣٣٧-٣٣٩٠-  
٣٤٤٨-٣٤٥٣-٣٤٦٧-٣٤٧٤ III : ٢٥٤٧ . وفيات الأعيان ١/٣٠١ .  
شذرات الذهب ١/٧٦ . البلاذري ٣٥٤-٣٧٩ . تهذيب التهذيب ٥/٣٧ . بروكلمان ١/٤٢

### ٣ - أردشير (٢٢٦ ق . م - ٢٤١) .

انظر :

الأخبار الطوال / ٨٥-٥٧-٤٧-٤٤ . التنبية والإشراف ٨٧/٨٧ . البلاذري ٣٨٦/٣٨٦ .  
الطبرى ١ : ٣٥٤-٦٨٧-٧٠٤-٧٠٨-٧١٠-٧١١-٧٤٤-٧٤٧-٨٦٩  
٨١٣-٨٢٥-٨٣١-٨٩٨-١٠٦٥-٢٠٢٣-٢٢٦٩-٢٤٤٨-٢٤٤٨ III ٢٨٨٤-١٤٤٨

(١٢ - رسل الملوك)



٤ — إسكندر المقدوني (٣٥٦ ق. م. — ٣٢٣) :

إسكندر المقدوني الكبير . ملك مقدونيا . أده أرسطو . تولى العرش سنة ٣٣٦ ق . م . أخضع لحكمه اليونان ثم غزا المرق فاستولى على سورية ومصر وبنى الإسكندرية ثم عاد فجاز دجلة والفرات إلى الفرس فانتصر عليهم وتابع سيره فأخذ بابل وتقدم حتى بلغ الهند . ثم عاد إلى بابل وحمل فيها ومات وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

انظر :

الجزء الأول من فهرست الطبرى ١/١٨٥ . اليعقوبى ١/٩٦ . سعيد بن البطريق : بوكوك /٢٨١ . الأخبار القويمة عن الحوادث القديمة لأبي الفداء ( ذيل الآثار الباقية للطبرى ) /١٦١ . صبح الأعشى ٥/٣٥٠ . البيان والتبيين ٢/١٣٣ . الأغاني ٣/١٤٢ . ومقالة : ر . جست R. Quest في دائرة المعارف و Olexandre le grrud. Georu Radet. Paris 1931 . تاريخ اليعقوبى ١/٩٢ — ٩٦ — ٩٧ — ١٦١ — ١٦٣ . الأخبار الطوال ٤١ ، ٤٢ ، ٤١ — ٣٩ . ١٠٨ ، ٢٢ ، ٦

٥ — أفلاطون ( ٤٢٠ ق . م . — ٣٤٧ ) .

فيلسوف يونانى شهير . تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو . مؤلف محاورات « كريتون وفيدون » وفيدر . وله جورجياس والجمهورية والقوانين وقد نقل العرب طائفة من كتبه أيام المأمون .

انظر :

الفهرست /٢٤٥ . القفطى ١٧ — ٢٧ ط . لير . ابن أبي أصيبعة ١/٤٩ — ٥٤ . تاريخ اليعقوبى ١/١٣٥ . صروج الذهب ( اريس ) ٢/٢٥٠ وما بعدها : مقالة Carra de Vaux في دائرة المعارف الإسلامية .

٦ — أكرم بن صيفى .

أحد الخطباء البلغاء ، والحكام الرؤساء ، فى الجاهلية . أدرك البعثة ولم يسلم . عمر طويلا . كان رفيع المكانة فى قومه عالما بالأنساب حكما يضرب الأمثال . أوفد رئيسا للوفد الذى مثل إلى كسرى فقال له كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

انظر :

البيان والتبيين ١/٢٨٣ . الأغاني ١٥/٧٠ . تاريخ اليعقوبى ١/٢٩٩ . ١١/٢

٧ — باسيل بن اليون المقدوني . ( ٨٨٦ — ٠٠ ) .

مؤسس الأسرة المقدونية وامبراطور دولة الروم الشرقية . حكم من سنة ٨٦٧ إلى سنة ٨٨٦ . وجهد أن يرد غزوات العرب فى البر والبحر . فى زمنه أخذ العرب صقلية ولكنه قاتلهم فيها ونصر السيادة البرنظية فى جنوب إيطاليا . وكان عهده مبدأ تنظيم وعظمة الامبراطورية البرنظية . عاصر من الخلفاء العباسيين المعتز والمعتدى والعتد .

انظر : Bygauce de le Monde musulman G. Desmom bybes P, 458

صروج الذهب 4/458 . N. Larousse Illus tse P

٨ - البحترى (٥٢٠٦ - ٢٨٤) / ٨٩٧ م .

الوليد بن عبد الله . أبو عبادة . شاعر مشهور . ولد بمنج . كان أدبيا فصيحاً بليغاً مجوداً في الشعر قدمه بعض أهل عصره على أبي تمام . مدح التوكل . ديوانه مطبوع . له ديوان الحماسة .  
انظر :

معجم الأدباء ٢٨٤/١٩ . معجم الشعراء للمرزباني ٤٦١/ . الأغاني ١٦٧/١٨ - ١٧٥ .  
( انظر فهرست الأغاني ٥٩/١ ) . الفهرست لابن النديم ١٦٥/ . وفيات الأعيان ٢٣١/٢ .  
مخطوطة ابن عساكر ٩/ ورقة ٤٥٧ - ١ ( ملك الظاهرية ) . مقالة مرجوليوت Margoliouth في دائرة  
المعارف الإسلامية . شذرات الذهب ٣/ ١٨٦ . الطبري ط . أوروبا III : ٩٦٨ - ١٣١٤ -  
١٤٤٨ - ١٦٥٣ .

٩ - البلخي . ( ٢٣٤ - ٣٢٢ ) / ٩٣٤ .

أحمد بن سهل ، أبو زيد ، كان عالماً فاضلاً قائماً بجميع العلوم يسلك في مصنفاه طريق الفلاسفة . وكان بأهل الأدب أشبه . علم الصبيان في شبابه ثم رفعه العلم إلى مرتبة عليا وكان يسمى بالعراق : جاحظ خراسان . مات وعمره ثمان وثمانون سنة .  
انظر :

معجم الأدباء ياقوت ط رفاعي ٣/ ٦٥ . الفهرست لابن النديم ١٣٨/ . البدء والتاريخ ٩/١ ،  
٥/٣ . مقالة Huart في دائرة المعارف .

١٠ - جابر بن عبد الله .

انظر :

فهرست الطبري ط . أوروبا ١/ ٩٣ . الأخبار الطوال ٣٣١ - ٣٣٢ . تاريخ يعقوبي  
٢٣١/٢ - ٢٦٩ - ٣٢٥ - ٣٨٤ . أسد الغابة ١/ ٢٥٦ . الاستيعاب ١/ ٨٦ ، ٢٩٢ رقم  
الأغاني ج ٢٢/١٤ .

١١ - جرير بن اسماعيل البجلي .

لم أجد له ترجمة .

١٢ - جيفر بن الجلندي .

كان رئيس أهل عمان ، هو وأخوه عبد بن الجلندي . أسلما على يد عمرو بن العاص حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ناحية عمان . ولم يقدموا على النبي ولم يرياه وكان إسلامهما بعد خيبر .  
انظر :

الاستيعاب ١/ ١٠١ : رقم ٣٨٠ . ط . أوروبا الكامل لابن الأثير : ١٨٥/٢ . ط . أوروبا  
البلاندي ٧٦ - ٧٧ . الطبري ١ . ١٥٦١ - ١٦٠٠ - ١٦٨٦ - ١٨٩٤ - ١٩٧٧  
١٩٧٨ . تاريخ يعقوبي ٢/ ٨٥ - ١٣٦ .

١٣ — حاطب بن أبي بلتعة (٢٥ في ٥ - ٥٣٠) .

صحابي مشهور شهد بدرًا وأحدًا والحندي والشاهد كلها مع رسول الله . بعثه رسول الله بكتاب إلى المقوقس . كان أحد الرماة المذكورين . وكان تاجرا يبيع الطعام وغيره .  
انظر :

الطبقات الكبير ٣/٨٠ ق ١ . لإصابة ٣١٤/١ . رقم ١٥٣٣ . أسد الغابة ١/٣٦١ .  
الاستيعاب ١/١٣٣ . رقم ٥٢٢ . الكامل لابن الأثير ٢/١٥٣ . فتوح مصر لابن عبد الحكم  
٤٥ / الإمتاع والمؤانسة ٣/١٧٩ . ط القدسي . شذرات الذهب ١/٣٧ . الطبري ١ .  
١٥٥٩ — ١٥٦١ — ١٥٩١ — ١٦٢٦ — ١٦٢٧ — ٢٤٦٢ III — ٢٥٣٩ — ٢٥٤٢  
تهذيب التهذيب ٢/١٦٨ . تاريخ اليعقوبي ٢/٥٨ ، ٨٤ .

١٤ — الحجاج بن يوسف (٤٥ - ٩٥) .

ولد ونشأ بالطائف . انتقل إلى الشام وكان في شرطة روح بن زبياع ، قاتل عبد الله بن الزبير . ثم صار عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان . ولما توفي عبد الملك أبقاه الوليد . وكان قائداً بطاشا سفاكاً داهية خطيباً . وهو الذي بنى واسط .  
انظر :

الأعلام ١/٢١٢ . معجم البلدان . وفيات الأعيان ( بولاق ) ١/١٥٣ . الأغاني ١٢/٣١  
٧٤ ( فهرست الأغاني ١/١١٧ ) . البيان والتبيين — ( الرحانية ) ١/٢٢٦ — ٢٣٧ — ٢٩٧ .  
شذرات الذهب . ( القدسي ) ١/٦٨ — ٧٩ — ٨٣٠ — ٨٦٤ — ٨٨٨ — ٩٢ — ٩٤ — ٩٤  
١٠٠ — ١٠٦ . الأعلام النفيسة لابن رسته ٢/٢١٦ . فهرس الطبري ط . أوروية ١/١٢٤ .  
الأخبار الطوال ٢٨٥ — ٢٨٩ — ٣٣١ — ٣٢٩ — ٣٩٩ — ٢٩٦ . مقالة Lammens  
في دائرة المعارف . تهذيب التهذيب ٢/٢١٠ . البلاذري ٤٧ — ٦٧ — ٦٨ — ٧٣ — ١٦٢ —  
١٦٧ — ٢٣١ — ٢٧٠ — ٢٧٤ — ٢٨١ — ٢٩٠ — ٢٩٢ — ٢٩٣ — ٢٩٤ —  
٣٠٠ — ٣٠١ — ٣١١ — ٣٢٣ — ٣٢٤ — ٣٢٥ — ٣٣٣ — ٣٤٩ — ٣٥٢ —  
J. Perier, Vied'Al Hadjad ibn Yousof al Taqafii ٣٦٤ — ٣٦١ — ٣٦٠ — ٣٥٥  
الكامل للمبرد ( أوروية ) ١٥٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ...

١٥ — دحية بن خليفة .

صحابي مشهور . أسلم قديماً ولم يشهد بدرًا شهد الشاهد مع رسول الله بعد بدر . كان يضرب به المثل في حسن الصورة . وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته وكان إذا قدم المدينة لم يبق مصر إلا خرجت تنظر إليه . وكان رسول النبي إلى قيصر . شهد اليرموك وكان على كردوس . نزل دمشق وسكن الزرة وعاش إلى خلافة معاوية .  
انظر :

الطبقات الكبير ٤/١٨٤ . ق ١ . الإصابة ٢/١٦٢ . رقم ٢٣٨٦ . أسد الغابة ٢/١٣٠ .  
الاستيعاب ١/١٧٢ . رقم ٦٨٧ . الأغاني ٦/٩٣ . أنظر فهرس الطبري ١/١٧٩ . مقالة  
Lammens بدائرة المعارف . تهذيب التهذيب ٣/٢٠٧ . تاريخ اليعقوبي ٢/٧٤ — ٨٣ . سيرة  
ابن هشام ٦٨٥ ، ٧٥٨ ، ٩٧١ ، ٩٧٤ .

١٦ — زياد بن أبيه (عام الفتح — ٥٥٣) .

أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة الخطباء . ولد في الطائف اختلفوا في اسم أبيه . قالوا إنه عبيد الثقفي وقالوا أبو سفيان . ولدت له أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة) وتبناه عبيد (مولى الحارث) . أسلم في عهد أبي بكر . وكان كاتب أبي موسى الأشعري أيام إمارته على البصرة . ولاء على إمرة فارس . ألحقه معاوية بنسبة سنة ٤٤ . ثم ولاء البصرة والكوفة وسائر العراق . وهو صاحب الخطبة البتراء .

انظر :

الأعلام ١/٣٤٠ . الأغاني ٣/١٦ (وفهرست الأغاني ١/٢٠٢) . الاستيعاب ١/٢٠١ .  
رقم ٨٢٩ . البيان والتبيين ٤٧/٢ (الخطبة البتراء) . شذرات الذهب ١/٥٩ الطبري فهرس ط .  
أوروبة ١/٢١١ . البلاذري . ٢٧٦ — ٢٧٧ — ٢٨٠ — ٢٨٧ — ٢٨٨ — ٣٠٠ —  
٣٠٨ — ٣٤٤ — ٣٤٥ — ٣٤٧ — ٣٤٩ — ٣٥٠ — ٣٥١ — ٣٧٠ — ٣٧٧ —  
٣٩٧ — ٤٠٣ — ٤٠٩ — ٤٣٣ — ٤٦٤ . فهرست الأخبار الطوال ص ٢٤ .

١٧ — سليمان بن علي بن عبد الله (٨٢ — ١٤٢) .

أمير عباسي من الأجواد المدوحين . ولاء ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة ١٣٣ . فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة ١٣٩ . فلم يزل في البصرة حتى مات .

انظر :

الأعلام ١/٣٨٩ . الأغاني ٤/٩٢ . فهرست الأغاني ٢/٢٣٦ . البيان والتبيين ٢/٢٧١ .  
البلاذري ١٥١ — ٣٤٩ — ٣٥٣ — ٣٦٣ — ٣٦٧ — ٣٦٩ — ٣٧١ . شذرات الذهب  
١/٢١٠ . تهذيب التهذيب ٤/٢١١ . تاريخ يعقوبى ٢/٣٨٦ — ٤١٩ — ٤٣٥ — ٤٣٩  
٤٤٢ — ٤٦١ . الطبري II ١٢٤٦ . III ٧٣ — ٧٧ — ٧٨ — ٨١ — ٩١ — ٩٨  
٩٩ — ١٢١ — ١٢٤ — ١٢٦ — ١٤٥ — ٤١٩ — ٤٧٨ .

١٨ — سليط بن قيس (٥٠ — ١٤٤) .

صحابي شهيد بدرا وأحدا والخندق والشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . لما أسلم كان يكسر أصنام بني عدى بن النجار . قتل شهيدا . وليس له عقب .

انظر :

الطبقات الكبير ٣/٢٠٦٩ ق . الإصابة ٣/١٢٣ . رقم ٣٤١٨ . أسد الغابة ٢/٣٤٥ .  
الاستيعاب ٢/٥٩٦ . رقم ٢٥٣٦ . البلاذري ٨٦ — ٢٥٠ — ٢٥١ — ٢٥٣ . الطبري ١٤٩٧  
٢١٦٠ — ٢١٦٢ — ٢١٧٥ — ٢١٧٧ — ٢١٧٩ — ٢٣٠٦ — ٢٤٧٤ . الأخبار  
الطوال ١١٨ — ١١٩ .

١٩ — شجاع بن وهب (٣٠ ق . ١٢٥) .

من السابقين الأولين . كان من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية . بعث به رسول الله سرية في أربعة وعشرين رجلا إلى هوازن . كان رسول النبي إلى المنذر أو الحارث بن أبي شمر الغساني . شهيد بدرا

وأحدا والخندق والشاهد كلهما مع رسول الله . قتل يوم اليمامة شهيدا سنة الفتي عشرة وهو ابن بضع وأربعين سنة .

انظر :

الطبقات الكبير ۶۶/۳ . اق . الإصابة ۱۴۹/۳ . رقم ۳۸۳۶ . أسد الغابة ۲/۳۸۶ .  
الاستيعاب ۲/۶۰۹ رقم ۲۶۲۱ . البلاذري ۹۱ .

۲۰ — الشعبي ( ۱۹ — ۱۰۳ ) .

عاصم بن عبد الله بن شراحيل . تابعي جليل القدر وافر العلم راوية يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة . اتصل بعبد الملك وكان نديعه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . كان ضيلا نجيفا ولد لسبعة أشهر . وهو من رجال الحديث الثقات .

انظر :

الطبقات الكبير ۱۷۱/۶ . الأخبار الطوال ۲۲ — ۲۰ — ۱ — ۲۹۷ . الأخبار الطوال ۲۹۷ — ۲۹۸ — ۳۲۲ . وفيات الأعيان ۱/۳۰۶ . الأعلام ۲/۴۶۵ . الأغاني ۹۷/۱۴ ( فهرست الأغاني ۲/۲۵۰ ) . مهذب تاريخ ابن عساكر ۷/۱۳۸ . تاريخ بغداد ۱۲/۲۲۷ . تهذيب التهذيب ۵/۶۵ . فهرست ابن النديم ۲۹ . شذرات الذهب ۲/۱۲۶ . البلاذري ۳۲۰ انظر ج ۱ ( ص ۲۷۱ ) من فهرست الطبري .

۲۱ — فخر بن الحارث .

لم أجد له ترجمة وافية .

۲۲ — أبو المتاهية ( ۱۳۰ — ۲۱۱ ) .

إسماعيل بن القاسم . شاعر عباسي مكثر . نشأ في الكوفة وسكن بغداد ، في شعره إبداع ، يعدّ من طبقة بشار وأبي نواس . زهدياته مشهورة . اتصل بالخلقاء في صدر عمره وأقاد منهم . ديوانه مطبوع .

انظر :

الأعلام ۱/۱۱۰ . وفيات الأعيان ۱/۸۹ . الأغاني ۳/۱۲۴ ( فهرست الأغاني ۲/۲۳۱ ) .  
فهرست ابن النديم / ۱۶۰ . مقالة أويستروب Oestriz في دائرة المعارف الإسلامية . شذرات الذهب ۲/۲۵۰ . الطبري ۵۲۵ — ۶۸۷ — ۶۹۷ — ۱۰۹۸ — ۱۱۵۳ — ۱۴۱۱ . الأخبار الطوال للدينوري . أوروبة . ۲۱ — ۲۲ — ۳۸۷ . بروكلن ۱/۷۸ .

۲۳ — عبد بن الجلندي ( انظر جيفر بن الجلندي ) .

البلاذري ۷۶ — ۷۷ . الطبري ۱/۱۵۶۱ — ۱۶۰۰ — ۱۹۷۷ — ۱۹۷۸ .

۲۴ — أم عبد الرحمن بن حمان .

سيرين أخت مارية القبطية . أهداها الرسول عليه السلام إلى حمان فولدت له عبد الرحمن .

انظر :

الإصابة ١١٨/٨ . رقم ٦٠٦ . الطبرى . ١٥٢٨ — ١٥٩١ — ١٧٨١ — ٢٤٦١ — ٢٤٦٢ .

٢٥ — عبد الرحمن بن حسان (٦ — ١٠٤) .

ابن سيرين القبطية . كان شاعراً معروفاً . روى عن أبيه . له مع يزيد بن معاوية أخبار طوال بعد أن تفزل بأخته رمله بنت معاوية .

انظر :

الطبقات الكبير ١٩١/٥ . الأعلام ٤٩١/٢ . الأغاني ١٠٤/١ (فهرست الأغاني ١٠٤/١) . البيان والتبيين ١٥٢/١ . الطبرى ١٥٢٨١ — ١٥٩١ — ١٧٨١ . III ٢٤٦٢ . تهذيب التهذيب ١٦٢/٦ .

٢٦ — عبد العزيز بن مروان (٠٠ — ٨٥) / ٧٠٤ .

أخو عبد الملك بن مروان بن الحسك أبو الأصبع . أمير مصر طوال عشرين عاماً وعصرة أشهر . بدأت إمارته سنة ٦٥ . سكن حلوان فأعجبه وبني فيها الدور والمساجد وغرس بها الكرم والتخيل . توفي بها سنة ٨٦ . وكان من الأجواد الكرام .

انظر :

ولاية مصر لسكندي ٤٦ — ٥٨ . خطط القرينى ٢١٠/١ . أعلام الزركلى ٥٤٩/٢ . الأغاني ١٤٩/٦ . فهرست الأغاني ٣١٤/٢٢ . تاريخ ابن عساكر ورقة ٤٤٩ — ب/٥ ج . البلاذرى ٣٢ — ٢٢٩ — ٢٣٠ . الطبقات الكبير ١٧٥/٥ . شفرات الذهب ٩٥/١ . تهذيب التهذيب ٣٥٦/٦ . الطبرى I ٤٨٥ . II ٣٩٧ — ٤٧٩ — ٥٧٦ — ٧٨٩ — ٧٩٢ . ١١٣٦ — ١١٦٤ — ١١٦٩ — ١١٧١ — III ٢٥٥٢ . تاريخ اليعقوبى ٣٠٦/٢ — ٣٠٧ — ٣٢٤ — ٣٣١ — ٣٣٤ — ٣٣٥ — ٣٦٦ . مقالة Zettersteent . فى دائرة المعارف .

٢٧ — عبد الله بن حذافة السهمى .

صحابى جليل قديم الإسلام . لم يشهد بدرًا ، كان من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية . أرسل إلى كسرى وسولا . شهد فتح مصر . رافق جيبها فى خلافة عمر إلى ملك الروم فأسره الروم وعذبه ملكهم على أن ينتصر فأبى ، مات فى خلافة عثمان .

انظر :

الطبقات الكبير ٤ ج ١/ق ١٣٩ . الإصابة ٥٦/٤ ص — رقم ٤٦١٣ . أسد الغابة ١٤٢/٣ . الاستيعاب ٣٥٧/١ ص — ١٤٨٩ رقم . البلاذرى ٢١٦ — ٢٢١ — ٢٩٢ . تهذيب التهذيب ١٨٥/٥ . الطبرى I ١٥٦ — ١٥٧١ — ١٥٧٢ — ١٦٥١ . تاريخ اليعقوبى ٨٣/١ .

۲۸ — عبد الله بن العباس ( ۳ ق ۵ — ۶۸ ) .

صحابي جليل حبر الأمة ولد بمكة ولازم الرسول . له في الصحيحين ۱۶۶۰ حديثاً . وكان عمر يلجأ إليه فيما أشكل عليه . ولحسان بن ثابت في وصفه وذكر فضائله شعر .

انظر :

الطبقات الكبير . : اليقوبي ۲/ ۲۰۴ ، ۲۲۰ ، ۲۲۱ ، ۲۲۵ . الإصابة ۲/ ۵۶۲ — رقم . أسد الغابة ۳/ ۱۹۳ الاستيعاب ۱ ج/ ۳۸۳ ص — رقم ۱۵۹۳ . فهرست ابن النديم ۱۰۱ — ۲۰۶ — ۲۳۲ . تاريخ ابن عساكر ورقة ۱۴۸ — ۵/۱ . البلاذري ۱۴ — ۷۴ — ۳۹۰ — ۳۹۵ — ۴۱۲ . الطبري . انظر فهرس الطبري ۱/ ۳۲۷ . الأخبار الطوال الفهرست ص ۳۳ . شذرات الذهب ۱/ ۷۵ . تهذيب التهذيب ۵/ ۲۷۷ مقالة F. Buhl في دائرة المعارف .

۲۹ — عبد الملك بن مروان ( ۲۰ — ۸۶ ) / ۷۰۵ .

من أعظم خلفاء بني أمية . نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً . شهد يوم الدار مع أبيه . استعمله معاوية على المدينة . انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ۶۵ . كان جباراً قوى الهيئة ، نقلت في أيامه الدواوين الفارسية والرومية إلى العربية . أول من صك الدينار في الإسلام .

انظر :

الطبقات الكبير ۵/ ۱۶۵ . الأعلام ۲/ ۶۰۱ . تاريخ ابن عساكر ورقة ۴۸۶ — ۵/۱ ( ۲۲ ت ) دائرة المعارف الإسلامية . فهرست الأخبار ص ۳۵ . تهذيب التهذيب ۶/ ۴۲۲ . الطبري . انظر الفهرست ۱ ج/ ۳۶۰ . الأغاني ۱/ ۱۶ . فهرست الأغاني ۲۲/ ۳۱۷ . فهرست ابن النديم ۸۹ — ۱۰۲ — ۱۲۰ — ۱۶۰ . شذرات الذهب ۱/ ۸۲ — ۹۷ . البلاذري . ۶ — ۳۲ — ۳۵ — ۴۷ — ۵۴ — ۸۹ — ۱۱۷ — ۱۲۵ — ۱۲۷ — ۱۲۸ — ۱۳۲ — ۱۴۳ — ۱۴۴ — ۱۴۶ — ۱۵۴ — ۱۶۰ — ۱۶۲ — ۱۸۰ — ۱۸۱ — ۱۸۸ — ۱۹۳ — ۲۰۵ — ۲۱۶ — ۲۲۹ — ۲۴۰ — ۲۸۱ — ۲۹۰ — ۳۳۲ — ۳۶۲ — ۳۶۸ — ۳۸۳ . مقالة Zettersttsen في دائرة المعارف . ابن الأثير (أوروبة) ۴/ ۹۱ وما بعدها .

۳۰ — العلاء بن الحضرمي ( ۰۰ — ۱۴ ۲۱ ش ) .

صحابي استعمله الرسول على البحرين . أقره أبو بكر ثم عمر . كان مجاب الدعوة . بعثه الرسول إلى المنذر بن ساوى بالبحرين .

انظر :

الطبقات الكبير ۴/ ۲ ق/ ۷۶ ص . الإصابة ۴/ ۲۵۹ رقم ۵۶۳۶ . أسد الغابة ۴/ ۲۵۷ . الاستيعاب ۲/ ۵۱۸ — رقم ۲۱۲۷ . الأغاني ۱۴/ ۱۴ — ۴۴ — ۴۶ . شذرات الذهب ۱/ ۳۲ البلاذري ۷۸ — ۸۹ — ۸۰ — ۸۱ — ۸۳ — ۸۴ — ۸۵ — ۸۶ — ۹۰ — ۳۸۶ — ۴۷۲ — ۴۷۳ . الطبري . الفهرس ۱/ ۳۹۱ .

٣١ - علي بن أبي طالب (٢٣ ق ٥ - ٤٠ هـ) / ٦٦٠ .

أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين أحد العشرة المبشرين ابن عم النبي وصهره . بطل بليغ خطيب . كان أول الناس إسلاماً بعد خديجة . وصاحب لواء الرسول في كل مشهد . بويع له بالخلافة بعد عثمان سنة ٣٥ هـ . في أيامه كانت وقعة الجمل فانتصر فيها سنة ٣٦ ثم موقعة صفين سنة ٣٧ التي انتهت بالتحكيم ثم موقعة النهروان سنة ٣٨ قتلها عبد الرحمن بن ملجم . سنة ٦٣ هـ . خلفته أربع سنين .  
نظر :

الطبقات الكبير ١/٣ ق/١١ . الإصابة ٤/٢٦٩ - رقم ٥٦٨٢ . أسد الغابة ٤/١٦ .  
الاستيعاب ٢/٤٧٠/٢٠١٥ رقم . البلاذري ١٤ - ٣٠ - ٣٢ - ٣٧ - ٤١ - ٦٠ -  
٦٦ - ٦٧ - ١٨٣ - ٢٠٥ - ٢٢٨ - ٢٥٥ - ٢٦٦ - ٢٧١ - ٢٧٤ - ٢٨٤ -  
٣٠٠ - ٣١٩ - ٣٢٢ - ٣٢٩ - ٣٤٥ - ٣٧٦ - ٣٩٠ - ٣٩٥ - ٤٠٨ -  
٤٠٩ . معجم الأدباء ٤١/١٤ . معجم الشعراء للمرزباني ٢٧٩ . الأغاني ١/٩ . فهرست  
الأغاني م ٣٦٤/٢ . تاريخ ابن عساكر (مخطوط) ورقة ٣٢١ - آ . ج ٦ رقم ١٠٥ تاريخ  
(الظاهرية) . البيان والتبيين للجاحظ ٢/١٥٩ . نزهة الألباء للأباري ص ٤ . فهرست ابن النديم  
٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٧٦ - ٨٣ -  
(وانظر البقية في ص ٢٤٥) . عبقرية الإمام - عباس محمود العقاد . شذرات الذهب ١/٤٩ -  
٥١ - ٥٧ - ٦٢ - ٦٤ - ٩ - ١٥ - ٢٥ - ٣٣ . مقالة Huart في دائرة المعارف .  
اليقوي ٥٥٢ .

٣٢ - عمر بن الخطاب (٤٠ ق ٥ - ٢٣ هـ) .

صحابي جليل ثاني الخلفاء الراشدين . أول من لقب بأمير المؤمنين أعدل من حكم . كان في الجاهلية من الأبطال وفي الإسلام من المهاجرين أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات . وكان إسلامه فتحا . بويع بالخلافة سنة ١٣ هـ . كانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر . في أيامه فتحت الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر . أول من دوّن الدواوين في الإسلام ووضع التاريخ الهجري . قتل أبو لؤلؤة فيروز الفارسي .  
انظر :

الطبقات الكبير ١/٣ ق/١٩٠ . الإصابة ٤/٢٧٩ - رقم ٥٧٣١ . أسد الغابة ٤/٥٢ .  
الاستيعاب ٢/٤٢٨/١٨٤٥ . الأخبار الطوال الفهرس ص ٣٨ . البلاذري انظر ص ٤٩١  
من ٧ أوروبية تجرد أرقام الصفحات الأخرى . تاريخ اليقوي ص ٢١١ . الطبري انظر الفهرست  
الطبري ١ ج/٤٠٧ . شذرات الذهب ١/١٦ - ١٩ - ٢٢ - ٢٤ - ٣٠ - ٣٢ -  
٣٣ - ٤٠ - ٤٤ - ٤٦ - ٤٧ - ٥١ - ٦٢ - ٦٤ . الأغاني ٨/٩٨ . فهرست  
الأغاني م ٣٧٢/٢ . عمر بن الخطاب - لابن الجوزي . عمر بن الخطاب - علي الطنطاوي .  
عبقرية عمر - عباس محمود العقاد . دائرة المعارف الإسلامية . الفهرست ٢٤ - ٢٨ - ١٠٢ -  
١٠٣ - ١٩٣ - ١٩٦ - ١٩٩ - ٢٢٥ - ٢٣١ - ٢٥٤ .

٣٣ - عمرو بن أمية الضمري .

صحابي مشهور عرف بالشجاعة والإقدام . بعثه رسول الله رسولا إلى النجاشي بكتابين كتب له في أحدهما أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وفي الآخر يسأله أن يحمل إليه من بقى عنده من أصحابه . مات بالمدينة في خلافة معاوية .



انظر :

الطبقات الكبير ١/٤ ق/١٨٢ ص . الإصابة ٢٨٥/٤ — ٥٧٦٠ رقم . أسد الغابة ٤/٧٦ .  
الاستيعاب ٤٤٢/٢ — ١٨٩٢ رقم . تاريخ ابن عساكر ورقة ١٤٦ — ٧/٣ : الطبرى  
١١٩٨ — ١٤٣٧ — ١٤٤١ — ١٤٤٤ — ١٤٤٨ — ١٥٦٠ — ١٥٦٩  
١٦٠٢ — ٣٠٣١ — ٢٤٤٧ . تاريخ اليعقوبى ٥٧/٢ — ٧٧ — ٨٤ — ٨٥ . شذرات  
الذهب ١/٥٤ .

### ٣٤ — عمر بن العاص السهمى .

أحد عظماء العرب ودهاتهم ، كان فى الجاهلية من الأشداء على الإسلام ، ولاء الرسول لإمرة جيش  
ذات السلاسل ، ثم استعمله على عمان . كان من أمراء الجيش فى الجهاد بالشام زمن عمر افتتح قنسرين وصالح  
أهل حلب ومنيج وانطاكية ولاء عمر فلسطين ثم مصر بعد أن فتحهما ، وهو أحد الحكيم فى صفين .  
ولاه معاوية على مصر سنة ٢٨ توفى فى القاهرة سنة ٤٣ .

انظر :

الطبقات الكبير ٢/٧ ق/١٨٨ . الطبقات الكبير ٢/٣ ق/٢ . الإصابة ٢/٥ ص —  
٥٨٧٧ رقم . أسد الغابة ٤/١١٥ . الاستيعاب ٤/٤٤٧ — ١٩١٤ رقم . تاريخ ابن عساكر  
ورقة ١٦٧ — ب/٧ . الولاة والقضاة للكندى ٦/ — ١١ — ٢٨ — ٣٤ — ٣٠١ —  
٣٠٦ . البيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٣٩ . دائرة المعارف الإسلامية . عمرو بن العاص . حين  
مؤنس . فهرست ابن النديم ٢٣٢ — ٢٥٤ . البلاذرى ٧٦ — ٧٧ — ٩٢ — ٩٧ —  
١٠٨ — ١٠٩ — ١١٦ — ١١٧ — ١٢١ — ١٣١ — ١٣٨ — ١٣٩ — ١٤٠ —  
١٤١ — ١٤٢ — ١٤٧ — ٢١٢ — ٢٢٦ — ٢٣٦ — ٢٣٧ — ٤٥٦ . الطبرى  
انظر فهرست الطبرى ، ١ ج/٤١٩ ص . تاريخ اليعقوبى الفهرس ص ٢١٧ . الأخبار الطوال  
الفهرس ص ٣٩ . شذرات الذهب ١/٥٢ — ٤٦ — ٤٩ — ٤٢ — ٣٥ — ٣٦ — ٣١  
٢٤ . مقالة A. J. Winsinck فى دائرة المعارف Butler, The Arab conquest of Egypt  
Londoe 1902 وترجمته العربية التى صدرت عن اللجنة .

### ٣٥ — الفضل بن مروان ( ١٧٠ — ٢٥٠ ) .

وزير نصرانى الأصل قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء . خدم المأمون ثم وزير للمعتصم ثلاث  
سنين اعتقله بعدما تم إطلاقه . وكان جيد الإنشاء .

انظر :

الفهرست ١٢٧ . الأغاني ٣٨/١٨ — ٣١/٢١ . تاريخ ابن عساكر ورقة ٤٠٧ — ٧/٣ ج .  
وفيات الأعيان ١٥٦/٢ . الأعلام ٧٧٥/٢ . شذرات الذهب ١٢٢/٢ . الطبرى ١١٨١ —  
١١٨٦ — ١٣٢٦ — ١٣٢٩ — ١٣٧٩ — ١٥١٣ . تاريخ اليعقوبى ٥٧٦/٢ ، ٥٨٤ ،  
٥٩٢ .

٣٦ - قيصر .

انظر :

الطبرى . انظر فهرست الطبرى ١ ج/٤٧٢ . فهرست الأخبار الطوال ٤٤ ص .

٣٧ - كسرى بن هرمز .

انظر :

الأخبار الطوال فهرس ص ٤٥ . البلاذرى ٣٦٨ . الطبرى ٣٥٤ - ٧٦٩ - ٩٨٩ -  
٩٩٠ - ٩٩٣ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٤ - ١٠٦٦ -  
١٠٦٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٤ - ٢٨٥٧ - ٨٣٥ - ١٣٣٤ .

٣٨ - مارية القبطية .

انظر :

البلاذرى ١٨ - ٢١٩ . الطبرى ١٥٦١ - ١٥٩١ - ١٦٨٩ - ١٧٧٥ - ١٧٧٧  
١٧٨١ - ١٧٨٢ - ٢٤٨٠ - ٢٤١٠ - ٢٤٦١ - ٢٤٦٣ . الفهرست / ٣٥٣ ،  
٣٥٤ ، ٣٦٠ . يعقوبى ٩٣/٢ ، ٩٥ .

٣٩ - المأمون (١٠٧ - ٢١٨) .

عبد الله بن هرون ، سابع الخلفاء العباسيين وأجد عظماء الملوك ، ترجم كتب اليونان وأتخف ملوك  
الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة وترجمها . قرب العلماء والمحدثين والشعراء ، وأطلق  
حرية الكلام وقال بخلق القرآن . توفى فى طرسوس .

انظر :

الفهرست ١١٦ - ٥ - ٧ - ٨ - ١٠ - ١٩ - ٢١ - ٤٣ - ٥٠ - ٥١  
٦٥ . وانظر بقية أخباره ص ٢٥٦ . تاريخ بغداد لطيفور . الأغاني ١١٩/٢ . الأعلام  
٥٨٩/٢ . شذرات الذهب ٢/٢ - ٣ - ٥ - ٧ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٩ -  
٢٠ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٣٠ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٢ - ٤٤ -  
٤٧ . الطبرى . انظر الفهرست ج ١/٤٩٥ . الأخبار الطوال الفهرس ص ٤٦ . البلاذرى ٣٢  
٣٣ - ٥٤ - ٩٣ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٦٦ - ١٧١ - ١٨٠ - ١٨٥ - ١٩١  
١٩٢ - ٢١١ - ٢٣٦ - ٢٨٨ - ٢٩٧ - ٣١١ - ٣١٤ - ٣٢٠ - ٣٢٤ -  
٣٣٠ - ٣٣٩ - ٣٧٥ - ٣٨٦ - ٤٠٢ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٤٥ - ٤٤٦ .

٤٠ - محمد بن عبد الملك (١٧٣ - ٢٣٣) .

المروف بابن الزيات وزير المعتصم والوائق والمتوكل . نشأ فقيراً فى الدسكرة ونبغ فى الأدب والإنشاء  
وبلغ رتبة الوزارة ، عول عليه المعتصم والوائق ، ونكبه المتوكل وعذبه ، وكان من المقلد الدهاة .

نظر :

الفهرست ص ١٢٢ . مخطوطة ابن عساكر ورقة ١٨٩ — آ پ ج ٨ . معجم الشعراء للمرزباني  
٤٢٥ . البيان والتبيين ١٩٩/٢ . وفيات الأعيان ٧٠/٢ . الأغاني ٤٦/٢٠ — ٥٦ .  
فهرست الأغاني م ٤٧٦/٢ . الأعلام ٩٣٦/٣ . شذرات الذهب ٧٨/٢ . تاريخ البيهقي  
٥٨٤/٢ — ٥٩٠ — ٥٩١ . الطبري . انظر فهرست الطبري ٥٢١/١ .

٤١ — المديني .

سليمان بن أيوب من أهل المدينة ومن الظرفاء الأدباء . كان عارفاً بالغناء وبأخبار المغنين ، له كتاب  
أخبار ظرفاء المدينة .  
الفهرست ١٤٨ .

٤٢ — معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق ٥ — ٦٠ / ٦٨٠) .

صحابي أظهر إسلامه عام الفتح . شهد مع الرسول حينما والطائف وكان له كتابا ، ولاء عمره الأردن  
ثم دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، ولم يزل لعمر واليا حتى قتل ، ثم ولاء عثمان ، كانت ولايته  
عشرين سنة أميرا ، ثم بويج له بالخلافة بعد مقتل علي رضي الله عنه ، وهو مؤسس الدولة الأموية وأحد  
كبار الدهاة . أول من اتخذ المقاصر والحرس والحجاب ، وفي زمنه فتحت جزء من اليونان ، مات سنة  
ستين وعمره ثمان وسبعين سنة .

انظر :

الأخبار الطوال الفهرس ص/٥ . تاريخ البيهقي فهرس . الطبقات الكبير ٧/ق  
١٢٨/٢ . أسد الغابة ٣٨٥/٤ . الاستيعاب ٢٦١/١ — رقم ١٠٧٩ . فهرست الأغاني م  
٥٠٤/٢ . ابن الأثير ٢٦١/٣ . مخطوطة ابن عساكر ورقة ١٠٩ آ ب/ج ٩ . مقالة ليني في دائرة  
المعارف الإسلامية ، البيان والتبيين انظر مثلا ١٠٨/٢ . مقالة Lammens في دائرة المعارف م ٦٦٣/٢ .  
فهرست ابن النديم ٢٩ — ٩٠ — ٩١ — ٩٣ — ٩٦ — ١٠٢ — ١٢٢ — ١٧٥ —  
١٩٣ — ١٩٦ — ٢٣٢ — ٢٤٢ — ٣٠٦ شذرات الذهب ٦٥/١ . الطبري . انظر فهرست  
الطبري ج/٥٥٧ . البلاذري ٣٢ — ٣٥ — ٣٩ — ٥١ — ٥٢ — ٥٤ — ٥٦ — ٦٧ —  
٨٩ — ٩٢ Lammens, Etude sur la règne du Calife Omayyade Mo'awia 1er  
Lammens, Califat de Yed 2id, 1e . البلاذري ١٠٠ — ١٠٢ — ١٠٨ — ١١٧ —  
١١٩ — ١٢٥ — ١٢٩ — ١٣٣ — ١٣٥ — ١٤٠ — ١٤٢ — ١٤٧ — ١٤٨ —  
١٥٢ — ١٥٥ — ١٦١ ، وانظر البقية في ص ٤٩٧ من الكتاب .

٤٣ — معاوية بن حديج الكندي ( — مات سنة ٥٥٢ هـ ) .

أحد الصحابة من شيعة معاوية . ولاء إمرة الجيش التي جهزه إلى مصر . وولى غزوة المغرب ثم صار  
والياً لمصر . وله في القيروان آبار معروفة بآبار حديج . كان أعور عاقلاً واسع العلم مقداما .

انظر :

الأخبار الطوال ٢٠٩ . الإصابة ١١١/٦ / رقم . تاريخ البيهقي ١٧٧/٢ — ٢٢٦ .  
الاستيعاب ١٠٨٤/٢٦٥/١ رقم . مخطوطة ابن عساكر ورقة ١٠١ آ — ج ٩ . ولاء مصر لكندي

١٢ — ١٥ — ١٧ — ١٩ — ٢٧ — ٣٠ . الطبري : انظر فهرست الطبري ١ ج/٥٥٧ :  
الأعلام ١٠٥١/٣ . البلاذري ٢٢١ — ٢٢٧ — ٢٢٨ — ٢٣٥ — ٢٣٧ . طبقات بن سعد  
١٩٥/٧ . شذرات الذهب ٥٤ — ٥٨ .

٤٤ — المعتصم بالله ( ١٧٩ — ٢٢٧ هـ ) .

محمد بن هارون الرشيد ، أبو إسحاق ، من أعظم خلفاء العباسيين ، بويع له بالخلافة سنة ٢١٨ هـ  
بعد وفاة أخيه ، وكان قويا بطاشا ، وهو فاتح عمورية وباني سر من رأى .

انظر :

الأعلام ٩٩٦/٣ . معجم الشعراء ٤٢٥ . الأغاني ١١٦/٩ . فهرست الأغاني م ٥٠٨/٢ .  
شذرات الذهب ٤٤/٢ — ٤٥ — ٤٦ — ٤٩ — ٥١ — ٥٢ — ٥٦ — ٥٨ — ٦٣ .  
الطبري = فهرست الطبري ١ ج/٥٦٠ . فهرست ابن النديم ٧ — ١٠٢ — ١٢٢ — ١٢٧  
٢٩٥ — ٣٤٤ . البلاذري ١٣٤ — ١٤٤ — ١٤٦ — ١٦٥ — ١٦٧ — ١٧١ —  
١٩٢ — ١٩٩ — ٢١١ — ٢٨٨ — ٢٩٢ — ٣٢٤ — ٣٣٠ — ٣٣٩ — ٣٤٠ —  
٣٧٥ — ٤٢٢ — ٤٣١ .

٤٥ — المقوقس .

أمير القبط في مصر من قبل ملك الروم جعله بعضهم في الصحابة وأنكر ذلك ابن الأثير وقال : لا مدخل  
له في الصحابة . أرسل إليه الرسول بحاطب ليدعوه إلى الإسلام فلقبه وله معه حديث طويل تجده في الإصابة  
ثم رد الجواب وحمله هدية وصالح المقوقس عمرا لما فتح مصر .

انظر :

الإصابة ٢١٢/٦/٨٦٠٨ رقم . أسد الغابة ٤١٢/٤ . ولاة مصر للكندى ٨ . فتوح  
مصر لابن عبد الحكم ٤٥ . شذرات الذهب ٣٧/١ . البلاذري ٢١٥ — ٢١٨ — ٢٢٠ —  
٢٢٢ . الطبري . انظر فهرست الطبري ١ ج/٥٦٨ . مقالة A. Grohmann في دائرة المعارف  
السيوطي : حسن المحاضرة ١/٥٨ ، ٦٠ . ابن دقاق : كتاب الانتصار ٤/٥٣ ، ١١٨/٥ . ابن  
تقري بردي (أوروبية) ٩/١ .

٤٦ — المنذر بن ساوى .

كان والي البحرين أثناء العلاء بن الحضرمي يدعوهم ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية . وكانت  
ولاية البحرين للفرس فأسلم المنذر وأسلم جميع العرب بالبحرين ودفع اليهود فيها الجزية للعلاء وللنذر .

انظر :

تاريخ ابن الأثير ١٤٦/٢ . البلاذري ٧٨ — ٨٠ — ٨١ — ٨٣ . الطبري ١٥٦١ —  
١٦٠٠ — ١٧٣٧ — ١٨٩٤ — ١٩٥٨ — ١٩٦٠ . تاريخ يعقوبى ٨٤/٢ —  
٩٠ — ١٣٦ .

۴۷ — المهلب بن أبي صفرة (عام الفتح — ۵۸۳) .

أمير بطاش جواد : قال فيه عبد الله بن الزبير ، هذا سيد أهل العراق ، ولد في دبا ونشأ بالبصرة .  
وقدم المدينة أيام عمر مع أبيه ، ولي إمارة البصرة لمصعب ، وانتدب لقتال الأزارقة ، وولاه عبد الملك  
خراسان ، فقدمها سنة ۷۹ ومات فيها ، قاتل الأزارقة تسعة عشر عاما وظفر بهم .

انظر :

الأخبار الطوال فهرس ۵۲ . الإصابة ۸۶۲۷/۲۱۶/۶ رقم . مخطوطة ابن عساكر ورقة  
۳۲۰/آ ج ۹ . الأغاني ۱۹/۳ . فهرست الأغاني م ۵۲۳/۲ . وفيات الأعيان ۱۹۱/۲ .  
البيان والتبيين مثلا ۱۵۴/۲ . الأعلام ۱۰۷۹/۳ . البلاذري ۱۶۸ — ۳۶۰ — ۳۶۷ — ۳۶۹  
۳۷۸ — ۳۹۶ — ۴۱۱ — ۴۱۷ — ۴۳۲ — ۴۴۲ . الطبري . فهرست الطبري ج ۱/۵۷۷  
فهرست النديم ۱۰۵ — ۱۰۹ — ۳۰۷ . شذرات الذهب ۱/۵۴ — ۷۳ — ۹۰ . مقالة  
K. V. Zettersteen في دائرة المعارف ۳/۶۸۵ . يعقوبی ۲/۳۰۰ ، ۳۱۶ ، ۳۲۴ . الكامل  
للبرد (أوربة) ۶۲۶ .

۴۸ — النجاشي .

ملك الحبشة ، أرسل إليه الرسول كتاباً فأمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب وأرسل  
إليه ابنه في ستين من الحبشة ففرقوا في البحر . خطب إلى رسول الله أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجابت  
وأصدقها أربعمئة دينار .

انظر :

ابن الأثير ۲/۱۴۵ و ۱۹۹ . الأغاني ۱۳۲/۴ . ۵۰/۸ — ۵۱ .  
۷۰/۱۶ . ۷۰/۱۸ . البيان والتبيين ۱/۲۴۹ — ۲۹۵ . شذرات الذهب ۱/۱۳ —  
۱۷ — ۵۴ . الطبري = فهرست الطبري ۱/۵۸۹ . الأخبار الطوال ۶۳ — ۶۴ .

۴۹ — هرقل .

ملك الروم : بعث إليه رسول الله بدحية ، وبق هرقل إلى أن افتتح المسلمون الشام في خلافة عمر .  
فلما غلب المسلمون على أكثر بلاد الشام خرج إلى نجر من الأرض في الرها والتفت إلى الشام وقال :  
« السلام عليك يا سورية سلاما لا لقاء بعده ... »

انظر :

صبح الأعشى ۵/۳۹۷ . شذرات الذهب ۱/۲۷ — ۳۲ . البلاذري ۱۱۳ — ۱۱۸ —  
۱۲۳ — ۱۳۰ — ۱۳۵ — ۱۳۷ — ۱۶۳ — ۱۶۴ — ۲۱۸ — ۲۲۰ — ۴۶۶ .  
الطبري = فهرست الطبري ج ۱/۶۱۰ . الأخبار الطوال ص ۱۱۱ .

۵۰ — نقفور مات ۸۱۱ م .

إمبراطور بزنطى كان على الديوان تحت حكم ايرين ووصل إلى الحكم إثر ثورة أكتوبر سنة ۸۰۲  
وكان يود تلافى ما أنتجته حركة التماثيل وقع مع العرب صلحا يسميه مؤرخو العرب « مئينا » . له حروب

مع هرون الرشيد ، مات في المعركة سنة ٨١١ ، والروم تزعم أن تقفور من ولد جهنم الفسافي الذي تنصر وكان قبل الملك على الديوان .

انظر :

الأغاني ٤٤/١٧ — ٤٥ . الطبرى ٦٩٥ — ٧٠١ — ٧٧٥ . شذرات الذهب . ٣١٠/٢ .

### ٥١ — هارون الرشيد (١٤٩ — ١٩٣) .

هارون بن محمد المهدي ، خامس الخلفاء العباسيين ، وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية ، صالحته الملكة ايرين وافدت منه الملكة بسبعين ألف دينار تؤديها في كل عام . بويغ له بالخلافة سنة ١٧٠ بعد وفاة أخيه المهدي ، كان له صلات مع شارلمان ملك الفرنجة ، في أيامه كانت نكبة البرامكة ، توفي بطوس سنة ١٩٣ .

انظر :

الطبرى . فهرست الطبرى ج ١/٦٠٤ . الأغاني ١/١٤ — ٣٤ — ٣٦ ... فهرست الأغاني م ٢/٥٣٣ . المؤلف والمختلف ٨٤ . الأعلام ٣/١١١٥ . الأخبار الطوال ٣٨٢ — ٣٩١ . تاريخ يعقوبى . فهرست ابن النديم مثلا ٢١ — ٢٢ — ١٠٠ — ١١٩ — ١٢٠ — ٢٢٥ — ٢٢٦ — ٢٧٤ . شذرات الذهب ١/٣٣٤ . البلاذرى ٥٠ — ٥٣ — ٦٨ — ٧٧ — ١٣٢ — ١٤٤ — ١٤٥ — ١٥١ — ١٥٤ — ١٥٨ — ١٦٣ — ١٦٦ — ١٦٨ — ١٦٩ — ١٧٩ — ١٨٠ — ١٧١ — ١٨١ — ١٨٨ — ١٩٢ — ٢٣٣ — ٢٣٤ .

### ٥١ — هشام بن عبد الملك (٧١ — ١٢٥) .

من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد في دمشق ، بويغ له بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ . اجتمع في خزائنه ما لم يجتمع في خزائن أحد من ملوك بني أمية من المال . بنى الرصافة وكانت مصيفاً له ، توفي فيها .

انظر :

الأخبار الطوال الفهرس / ٥٥ . الأعلام ٣/١١٢٤ . الأغاني ٦/٩٩ . فهرست الأغاني م ٢/٥٥٢ . فهرست ابن النديم مثلا ١١٧ — ١٢٥ — ٢٠٧ — ٢٤٤ — ٢٤٢ . تاريخ يعقوبى ج ٢ / ص ٣٧٨ — ٣٩٦ . الطبرى . فهرست الطبرى ج ١/٦١٢ . شذرات الذهب ١/١٦٣ . البلاذرى ٥٤٠ — ١١٧ — ١٥٥ — ١٦٥ — ١٦٦ — ١٦٧ — ١٨٠ — ١٨٦ — ٢٠٦ — ٢٠٧ — ٢٢٣ — ٢٢٩ — ٢٣١ — ٢٨١ — ٢٩١ — ٢٩٣ — ٣١٤ — ٣٦٣ — ٣٦٨ — ٣٦٩ — ٤٢٨ — ٤٢٩ . ابن خلدون ٣/٨٠ . ابن الأثير انظر الفهرست ط تورنبرغ وخاصة ٥/٩٢ — ٢٠١ . مقالة الأستاذ K. V. Zettersteen في دائرة المعارف الإسلامية 1-272-275 Huart, Histoire des Arabes .

### ٥٢ — هودة بن علي الحنفي .

ملك اليمامة زار كسرى فسفاه بكأس من ذهب وأعطاه لهاها . وكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب

واللؤلؤ . سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد يتزو ويصيب من المغازي . وكان له عشرة وله أرسل إليه رسول الله سليط بن عمرو يدعو إلى الإسلام وكان نصرانيا : فأرسل إلى النبي وقد يقولون له : إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره . وإلا قصد حربه . فقال الرسول : لا ولا كرامة اللهم اكفنيه . فات بعد قليل .

انظر :

ناريخ يعقوبي ٢ / ٨٤ . الأغاني ١٦ / ٧٦ — ٧٧ . ابن الأثير ٢ / ١٤٦ . البلاذري ٨٦ الطبري ٩٨٤ — ٩٨٥ — ٩٨٧ — ١٥٦٠ — ١٥٦١ .

٥٣ — الواقدي ( ١٣٠ — ٢٠٩ ) :

محمد بن عمر . كان عالما بالمغازي والسير والفتوح والفقہ والأحكام والأخبار . كان ينشيع ويلزم التوبة خلف بعد وفاته ٦٠٠ قطر من الكتب .

انظر :

الفهرست ص ٩٨ . مخطوطة ابن عساكر ورقة ٢٤٥ ب / ج ٨ . الأغاني ٧ / ١٨٣ . وفيات الأعيان ٢ / ٦٤٠ . طبقات ابن سعد ٥ / ٣١٤ . شذرات الذهب ٣ / ١٨ . الطبري . انظر فهرست الطبري ج ١ / ٦٢١ .

## بعض مراجع التصحيح والتعليق

### (أ)

- آثار الأول في ترتيب الدول : ( الحسن بن عبد الله - ٧٠٨ هـ ) ١٣٠٨ م - القاهرة - بولاق  
أحسن التقاسيم : المقدسي ( محمد بن أحمد البشاري - ٣٨٧ هـ ) ٩٩٧ م - ليدن ١٩٠٦ .  
الأخبار القوية عن الحوادث القديمة : أبو الفداء ( الملك اسماعيل بن علي - ٧٣٢ هـ ) ١٣٣٢ م -  
القاهرة ١٣٣٧ هـ - ذيل الآثار الباقية للطبري .  
إرشاد الأريب : ياقوت ( ابن عبد الله الرومي - ٦٢٦ هـ ) ١٢٢٩ م - القاهرة - دار المأمون .  
أساس البلاغة : الزمخشري ( محمود بن عمر - ٥٣٨ هـ ) ١١٤٣ م - القاهرة -  
دار الكتب المصرية .  
الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر ( يوسف بن - ٤٦٣ هـ ) ١٠٧٠ م -  
حيدرآباد الدكن ١٣٠٩ - دائرة المعارف النظامية .  
أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ( علي بن محمد الجزري - ٦٣٠ هـ ) ١٢٣٣ م -  
القاهرة ١٢٨٠ - جمعية المعارف المصرية .  
الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر ( أحمد بن علي - ٨٥٢ هـ ) ١١٤٨ م - القاهرة -  
مطبعة السعادة .  
الأعلام : الزركلي ( خير الدين ) - القاهرة ١٩٢٧ - المطبعة العربية .  
الأغاني : الأصبهاني ( الحسين بن علي - ٣٥٦ هـ ) ٩٦٧ م - القاهرة ١٢٨٥ - ساسي .  
الأمالي والنوادر : القالي ( اسماعيل بن القاسم - ٣٥٦ هـ ) ٩٦٧ م - القاهرة - دار الكتب المصرية .  
الأنساب : السمعاني ( عبد الكريم بن محمد - ٥٦٢ هـ ) ١١٦٧ م - لندن ١٩١٣ - مرجوليوت .  
إمتاع الأسماع : المقرئ ( أحمد بن علي - ٨٤٥ هـ ) ١١٤١ م - القاهرة ٩٣٨ -  
ت محمود محمد شاكر .

### (ب)

- بنية التلمس في تاريخ رجال الأندلس : الضبي ( أحمد بن يحيى - ٥٩٩ هـ ) ١٢٠٣ م - مجريط ١٨٨٤  
البيان والتبيين : الجاحظ ( عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ ) ٨٦٩ م - القاهرة - المطبعة الرحمانية .

### (ت)

- تاج العروس في شرح القاموس : مرتضى الزبيدي ( محمد بن محمد الحسيني - ١٢٠٥ هـ ) ١٧٩٠ م  
القاهرة ١٣٠٦ - المطبعة الخيرية .  
التاج في أخلاق الملوك : الجاحظ - القاهرة ١٣٣٢ - ت أحمد زكي باشا .



- البر المسبوك في نصيحة الملوك : الفزالي ( محمد بن محمد — ٥٥٠٥ ) م ١١١١ — القاهرة ١٢٧٧ —  
المطبعة الكاستيلية .  
التبصر بالتجارة : الجاحظ — دمشق — المجمع العلمي العربي .  
تاريخ بغداد = مدينة السلام : الخطيب البغدادي ( أحمد بن علي — ٤٦٣ هـ ) م ١٠٧١ —  
القاهرة ٢٣٤٩ .  
تاريخ بغداد ( الجزء السادس من ) : ابن طيفور ( أحمد بن أبي طاهر — ٢٨٠ هـ ) م ٨٩٣ —  
ليزيغ ١٩٠٨ — ت هنس كلر .  
تاريخ دمشق : ابن عساكر ( علي بن الحسن — ٥٧١ هـ ) م ١١٧٥ — مخطوطة الظاهرية بدمشق .  
تهذيب تاريخ دمشق : بدران ( عبد القادر — ١٣٤٦ ) م ١٩٢٧ — دمشق ١٣٥١ —  
ت أحمد عبيد .  
تهذيب التهذيب : ابن حجر ( العسقلاني — ٨٥٢ ) م ١٤٤٨ — حيدرآباد الدكن ١٣٢٥ .

( ج )

- جهرة أشعار العرب : القرشي ( محمد بن أبي الخطاب — ) — القاهرة ١٣٠٨ .  
جهرة رسائل العرب : صفوة ( أحمد زكي — ) — القاهرة ١٣٥٦ .

( ح )

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : السيوطي ( عبد الرحمن بن أبي بكر — ٩١١ هـ )  
م ١٥٠٥ — القاهرة ١٢٩٩ .  
الحماسة : أبو تمام ( حبيب بن أوس — ٢٣١ ) م ٨٤٥ — القاهرة ١٣٢٢ .  
الحماسة : البحتري ( الوليد بن عبيد — ٢٨٤ ) م ٨٩٧ — لندن ١٩٠٩ .

( د )

- دائرة معارف : البستاني ( بطرس بن بولس — ١٢٩٩ هـ ) م ١٨٨٢ — بيروت ١٨٧٨ م .  
ديوان البحتري : البحتري — قسطنطينة ١٣٠٠ هـ — الجوائب .  
ديوان الأحنف : ابن الأحنف ( العباس — ١٩٢ ) م ٨٠٨ — قسطنطينة ١٢٩٨ هـ — الجوائب .  
ديوان أبي العتاهية : أبو العتاهية ( اسماعيل بن القاسم — ٢١٣ هـ ) م ٨٢٨ — بيروت — اليسوعيون .

( ر )

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : ابن قيم الجوزية ( محمد بن أبي بكر — ٧٥١ هـ ) م ١٣٥٠ —  
دمشق ١٣٤٩ — ت أحمد هبيد .

( ز )

- الزخرفة المنسوجة : صهزوق ( عبد العزيز ) — القاهرة .

زهر الآداب : المصرى (ابراهيم بن على — ٤٥٣ هـ) ١٠٦١ م — القاهرة ١٣٥٠ — ط ٢  
زكى مبارك .

(س)

سلوك السالك فى تدبير الممالك : ابن أبى الريم (أحمد بن محمد) — القاهرة ١٢٨٦  
سيرة ابن هشام : ابن هشام (عبد الملك — ٢١٨ هـ) ٨٣٣ م — القاهرة ١٢٩٥ هـ .  
السيرة الحلبية : الحلبي (على بن ابراهيم — ١٠٤٤ هـ) ١٦٣٥ م — القاهرة ١٣٢٠ هـ .

(ش)

شذرات الذهب : ابن العماد (عبد الحمى بن أحمد — ١٠٨٩ — ١٦٧٨ م) — القاهرة ١٣٥٠ .  
شرح ديوان الحماسة : الخطيب التبريزى (يحيى بن على — ٥٠٢ هـ) ١١٠٨ م — بون ١٨٢٨ .  
الشعر والشعراء : ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم — ٢٧٦ هـ) ٨٨٩ م — القاهرة .  
شفاء الغليل : الحفاجى (شهاب الدين أحمد بن محمد — ١٠٦٩ هـ) ١٦٥٩ م — القاهرة ١٣٥٢ .

(ص)

صبح الأعشى : الفلقشندي (أحمد بن على — ٨٢١ هـ) ١٤١٨ م — القاهرة ١٣٢٨ —  
المطبعة الأميرية .

(ط)

طبقات القراء : ابن الجزرى (محمد بن محمد — ٨٣٣ هـ) ١٤٢٩ — القاهرة — برجستراسر .  
طبقات الحنابلة : ابن القراء (محمد بن أبى يعلى) — دمشق ١٣٥٠ — ط . احمد عبيد .  
الطبقات الكبير : كاتب الواقدي (محمد بن سعد — ٢٣٠ هـ) ٨٤٤ م — ليدن ١٣٢٢ —  
ط . سخاو .

(ع)

العقد : ابن عبد ربه (أحمد بن محمد — ٣٢٧ هـ) ٩٣٩ م — القاهرة — لجنة التأليف  
والترجمة والنشر .  
عمر بن الخطاب : ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على — ٥٩٧ هـ) ١٢٠١ م — القاهرة — السلفية .

(ف)

فتوح مصر : ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله — ٢٥٧ هـ) ٨٧١ م — القاهرة ١٩١٤ .  
فتوح مصر للواقدي : الواقدي (محمد بن عمر — ٢٠٧ هـ) ٨٢٢ م  
فتوح الشام : الواقدي — القاهرة ١٣٥٤ هـ .  
فتوح البلدان : البلاذرى (أحمد بن يحيى — ٢٧٩ هـ) ٨٩٢ م — ليدن ١٨٦٦ .

- الفخرى في الآداب السلطانية : ابن الطقطقي ( محمد بن علي — ٥٧٠٢ هـ ) — ١٣٠٢ — غر نفزولد ١٨٥٨ .  
الفهرست : ابن النديم ( محمد بن اسحاق — ٥٣٨٥ هـ ) ٩٩٥ م — ليزينغ ١٨٧١ —  
ط . فلوجل .

( ق )

- القرآن الكريم .  
القاموس : الفيروز آبادي ( محمد بن يعقوب — ٥٨١٧ هـ ) ١٤١٤ م — القاهرة ١٣٠١ — بولاق .

( ك )

- الكامل في التاريخ : ابن الأثير ( علي بن محمد — ٦٣٠ هـ ) ١٢٣٣ م .  
كليلة ودمنة : ابن المقفع ( عبد الله — ١٤٢ هـ ) ٧٥٩ م .  
الكامل في الأدب : المبرد ( محمد بن يزيد — ٢٨٥ — ٨٩٨ م — ليزينغ .

( ل )

- لسان العرب : ابن منظور ( محمد بن مكرم — ٥٧١١ هـ ) ١٣١١ م — القاهرة ١٣٠٠ — بولاق .  
لطائف المعارف : الثعالي ( عبد الملك بن محمد — ٤٢٩ هـ ) ١٠٣٨ م — لندن .

( م )

- مجم الأمثال : الميداني ( أحمد بن محمد — ٥١٨ هـ ) ١١٢٤ م .  
مجم الزوائد : الهيثمي ( علي بن أبي بكر — ٨٠٧ هـ ) ١٤١٣ م — القاهرة ١٣٥٢ — القدس .  
المحاسن والأضداد : الجاحظ .  
المحاسن والمساوي : البيهقي ( ابراهيم بن محمد — ) — جسن ١٩٠٢ — شوال .  
محاضرات الأدباء : الراغب ( الحسين بن محمد — ٥٠٢ هـ ) ١١٠٨ م — القاهرة ١٣٢٦ —  
الطبعة الشرفية .  
محاضرات الأوائل : دده ( علي ) — القاهرة ١٣٠٠ .  
المخصص : ابن سيده ( علي بن أحمد — ٤٥٨ هـ ) ١٠٦٦ م — القاهرة ١٣١٦ — ١٣٢١ — الأميرة  
المغرب في ترتيب المغرب : المطرزي ( ناصر بن عبد السيد — ٦١٠ هـ ) ١٢١٣ م —  
حيدر آباد الدكن ١٣٢٨ .  
مروج الذهب : المسعودي ( علي بن الحسين — ٣٢٦ هـ ) ٩٥٦ م — القاهرة ١٣٤٦ —  
الطبعة البيهقي .  
معجم البلدان : ياقوت — ليزينغ — وسيتفلد .  
المفضليات : الضبي ( المفضل بن محمد ١٧٨ هـ ) ٧٨٦ م — القاهرة ١٩٤٣ — ن أحمد محمد شاكر .  
معجم الشعراء : المرزباني ( محمد بن عمرات — ٣٨٤ هـ ) ٩٩٤ م — القاهرة ١٣٥٤ —  
ط . كرنكو .  
المقامات : الحريري ( القاسم بن علي — ٥١٦ هـ ) ١١٢٢ م — القاهرة .

- المؤلف والمختلف : الأمدى ( الحسن بن بصر — ٨٣٧١ ) ٩٨١ م — القاهرة ١٣٥٤ —  
ت . كرنكو .  
مهذب الأغاني : الحضري ( محمد ) — القاهرة ١٩٢٥ — مط . مصر .  
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : القرينى ( أحمد بن على — ٨٨٤٥ ) ١٤٤١ م —  
القاهرة ١٢٧٠ .

( ن )

- النجوم الزاهرة : ابن تفرى بردى ( يوسف أبوالمحسن — ٨٨٧٤ ) ١٠٦٩ م — القاهرة ١٣٢٨ —  
دار الكتب .  
نهاية الأرب : النورى ( أحمد بن عبد الوهاب — ٨٧٣٢ ) ١٣٣٢ م — القاهرة ١٣٤٢ —  
دار الكتب نزهة الألباب : الأنبارى ( عبد الرحمن — ) — القاهرة ١٢٩٤ .

( و )

- وفيات الأعيان : ابن خلكان ( أحمد بن محمد — ٨٦٨١ ) ١٢٨٣ م — القاهرة ١٢٧٥ — بولاق .  
الولاية وكتاب القضاة : الكندى ( محمد بن يوسف — ٨٣٥٠ ) ٩٦١ م — بيروت ١٩٠٨ —  
ط . رفن گست .



## أهم الأخطاء وتصحيحها

الصواب	الخطأ	س	س
١٦٠٠	١٥٦٠	٢٧	٢
الكتاب ( ١٦ آ ) مقصور	الكتاب مقصور	٨	٧
قال الرسول : هذا ...	فقال هذا ...	١٠	١٢
٢ — رسل الملوك	٢ — رسائل الملوك	٢١	١٧
يمضي	يمضي	١٧	١٩
سورة النحل / ٧٦	سورة النحل / ١٧٦	٢١	١٩
[ مَنْ ]	[ مَنْ ]	١٣	٢٢
يحضر رسالته	من يحضر رسالته	٢٣	٢٢
المعنى بها	المعنى بها	١٨	٢٣
وشدته ورخاؤه	وشدته : رخاؤه	١١	٢٧
وهو دليل الملك على	وهو دليله على	١٣	٣٣
Basile	Basils	٢٠	٣٤
Théophile	Thèophile	٢٣	٣٤
Illustré	Illnshée	٢٥	٣٤
احتياج	اجتياح	٥	٣٧
12	12	٢٠	٣٨
1 : 173	173	٣١	٣٨
البلدان	البلدان	٢٦	٣٩
N cephore	Nicefhore	١٥	٤٢
هذه الرقعة ...	هذه الرقعة ... مختلفة	٢٣	٤٦
Guerrero	Quernero	١٠	٦٩
التثيل	لتثيل	٤	٧٠
Lettre	lettre	١٤	٧٨
فتتضمن	فتتضمن	١٤	٧٨
رسل	وسل	٢٤	٨١
Monnet	Mannet	١٦	٩٩
Mohamétisme	Mohsmétisme	٢٠	١٠٥
تناحر	تناصر	٦	١٠٦
(٣)	(٤)	٢٥	١٠٨
وشهد له الناس	وشهد الناس	٧	١١١
خطاً من خطوط	خطاً من خطوط	٤	١١٤
(٨٦)	(٨٦٠)	٧	١١٦
يحفظ	يحفظ	١٤	١١٦

الصواب	الخطأ	س	س
لم يكن منه بد	لم يكن بئاً	۳	۱۲۷
وأما في زمن	وفي زمن	۳	۱۳۰
Inostrancere	Inostrancey	۲۴	۱۳۳
Califat	Califa	۲۴	۱۳۳
الرسول	الرسول	۴	۱۳۸
الأشرف	الأشراف	۹	۱۳۹
۶۸ — ۶۷ / ۱۴	۶۸ / ۱۴	۲۳	۱۳۹
سيّد	يتسد	۱۳	۱۴۲
عُدّ	عدة	۱۵	۱۴۲
de	dee	۲۳	۱۵۹
Byzantin	Byzantine	۲۳	۱۵۹



كتاب

# رسالة الملوك

ومن يصلح للرسالة والسفارة

تأليف

أبي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء



حقيقته

صلاح الدين بن محمد

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م